جوانب تربوية

في الفقه الإسلامي

أ.د. مصطـفى رجـب

٢٠٠٦

جدارا للكتاب العالمي
عمان- الأردن

عالم الكتب الحديث
إربد- الأردن

الطبعة الأولى

٢٠٠٦

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٥/١٢/٢٨٧٥)

٢٦٩,٦

رجب، مصطفى

جوانب تربوية في الفقه الإسلامي/ مصطفى رجب.- إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦.

(   ) ص.

ر.إ.: (٢٠٠٥/١٢/٢٨٧٥)

الواصفات:/الفقه الإسلامي//التربية//التعلم//الإسلام/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 9957-466-24-0 ردمك



للنشر والتوزيع

إربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي

تلفاكس: ٧٢٧٢٢٧٢ - ٩٦٢+ خلوي: ٥٢٦٤٣٦٣ - ٠٧٩

صندوق بريد (٣٤٦٩) الرمز البريدي (٢١١١٠)

الموقع على الإنترنت

www.almalktob.com

جدارا للكتاب العالمي

للنشر والتوزيع

عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس

تلفاكس: ٥٦٦٧٢١١

فهرس المحتويات



مقدمـــة

قبل خمسة عشر عاماً بدأت أهتم بدراسة الجوانب التربوية في الفقه الإسلامي، من خلال عدة أبحاث ومقالات نشرت على مدى تلك السنوات في عدد من المجلات والصحف العربية.

وقد لبت دراستي للفقه الإسلامي حاجة قديمة في نفسي منذ كنت في أواخر الطفولة وأوائل الشباب أتردد على حلقة المرحوم الشيخ محمد أحمد علي حسن الفقهية بأحد مساجد قرية شطورة "من أعمال محافظة سوهاج". ثم قرأت على والدي رحمه الله بعض متون المذهب الحنفي وغيرها. ثم لما التحقت بمعهد القراءات الأزهري لتلقي علوم القرآن [وكنت آنذاك أستاذاً ووكيلاً لكلية التربية بسوهاج عام ١٩٩٤م] اضطررت- لعدم وجود كتب حنفية- أن أتحول إلى المذهب المالكي! وهو المذهب الشائع في صعيد مصر.

وأتيحت لي خلال إعارتي بسلطنة عمان (٨٩- ١٩٩٢) عميداً للمعهد العالي للدراسات الإسلامية بها فرصة رائعة للتوسع في القراءات الفقهية والجلوس إلى أعيان العلماء من المذهب الأباضي كالشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عمان، والشيخ الدكتور فرحات الجعبيري والشيخ عبد الفتاح بن تمنصورت من علماء تونس وغيرهم، كما أن مكتبة المعهد كانت زاخرة بالمؤلفات الفقهية للمذاهب الإسلامية جميعاً.

ثم لما عملت أستاذاً زائراً للدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك، أتيح لي أن أشارك مع عميدها آنذاك الدكتور عبد الناصر أبو البصل في وضع لائحة لدراسة الماجستير والدكتوراه في التربية الإسلامية بقسم الدراسات الإسلامية فاقترحت عدداً من المقررات ووافق عليها ومنها مقرر

يتناول الجوانب التربوية في الفقه الإسلامي ومقرر يتناول الجوانب التربوية في علم أصول الفقه.

وما بين تلك السنوات أشرفت على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه وجهت طلابي فيها إلى النهل من هذا المنبع الثر من منابع تراثنا التربوي الأصيل في مواجهة هذا المد العولمي الطاغي.

فنوقشت حتى الآن ثلاث رسائل تناولت المذاهب الثلاثة الأولى من خلال تحليل مصادرها الشهيرة وبقي المذهب الحنبلي لم ينته الباحث الذي يدرسه حتى كتابة هذه السطور.

والكتاب الذي أقدمه اليوم ليس كافياً - في تقديري- لسد العجز في المكتبة التربوية الإسلامية الفقهية. ولكن يكفيه أنه محاولة أولية على الطريق. وعسى الله أن يأتي بالفتح حتى يكتمل العمل مع الطبعات التالية . وأرجو من كل من يجد في الكتاب نقصاً أو تقصيراً أن يتفضل مشكوراً مأجوراً بمراسلتي على عنواني حتى أتلافاه في طبعة قادمة

سوهاج في: رمضان المبارك ١٤٢٦هـ

أكتوبر ٢٠٠٥م

د. مصطفى رجب

أستاذ أصول التربية

والعميد الأسبق لكلية التربية بسوهاج

العنوان : سوهاج – كلية التربية – ج.م.ع

الفقــه الإسـلامــي

تعـريـف الفقــه لغـة :

معناه العلم مع الفهم، فقد دعا موسى ربه قائلا ﴿**واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**﴾، والفقه معناه الفهم، ومن ذلك قوله تعالى ﴿**فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا**﴾.

والفقه في اللغة للجرجاني عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه فالفقه العلم بالشيء وتفهمه والوصول إلى أعماقه.

اصطـلاحـاً :

في اصطلاح الفقهاء : يطلق الفقه على العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية، والمراد بالأحكام الشرعية، الأحكام المأخوذة من الشرع المبعوث به محمد ﷺ والمراد بالأحكام العملية الأحكام المتعلقة بأفعال العباد من الوجوب أو الحرمة أو الندب أو الكراهية أو الإباحة، فمثال الوجوب كوجوب الصلاة، ومثال الحرمة كحرمة الزنا، ومثال الندب كصوم التطوع والصدقات، ومثال الكراهية كعدم المحافظة على صلاة الجماعة، ومثال الإباحة كأكل الطيبات من الطعام، والمراد بالأدلة التفصيلية الكتاب والسنة وهما المصدران الرئيسيان للشرع الشريف، وما عداهما يلحق بهما كالإجماع والقياس.

وبين الشريعة والفقه علاقة، فبينهما عموم وخصوص، فالشريعة أعم من الفقه والفقه أخص منها، وهو حفظ الفروع مطلقاً سواءاً كانت بدلائلها أم لا، وعلى هذا يكون الفقيه عندهم من حفظ الفروع وعلم الأحكام الشرعية الفرعية التي توصف بها أفعال العباد والمكلفين من الوجوب والندب والإباحة والحرمة وغيرها.

في اصطلاح الأصوليين: العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، فالفقه عندهم علم الأحكام من دلائلها، والفقيه عندهم هو المجتهد.

تاريخ الفقه الإسلامي:

والحق أن الفقه مر بعصور مختلفة وكان معناه في كل عصر يختلف عن الآخر، ففي صدر الإسلام كان الفقه يشمل كافة علوم الدين، وقد وجد هذا الاتجاه في تعريف أبى حنيفة النعمان للفقه بأنه: "معرفة النفس مالها وما عليها".

واستمر هذا حتى بعد عهد أبي حنيفة، وعندما تمايزت العلوم استقل الفقه بمعنى جديد وهو "العلم بالأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية " كما جاء في تعريف الفقه في كتاب التعريفات للجرجاني "ولم يعرف الفقه بمعناه المصطلح إلا في عهد الشافعي وتلاميذه، وقد عرف الشافعي الفقه فقال "هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية" .

وقد اقترب هذا التعريف من تعريف الفقه في صدر الإسلام لعبد الله بن مسعود حيث عرفه قائلا "هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية مع ملكة الاستنباط الصحيح".

أقسام علم الفقه:

وبالنظر في كتب الفقه الإسلامي نجد الفقهاء يقسمون الفقه إلى قسمين كبيرين عبادات وغير عبادات ويتدرج تحت العبادات الصلاة والصوم والحج والزكاة، ويتدرج تحت غير العبادات المعاملات مثل البيوع والإجارة والشركات والزواج والطلاق والعقوبات والجنايات كالحدود والقصاص والديات.

تعريف أصول الفقه: هو القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة.

الفرق بين الفقه وأصول الفقه:

١- **من حيث التعريف:**

الفقه: هو إدراك الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، كوجوب الصلاة وحرمة القتل.

أصول الفقه: هي إدراك القواعد الكلية والبحوث المتوصل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية.

٢- **من حيث الموضوع:**

موضوع الفقه: أفعال العباد من حيث ما ثبت لها من أحكام شرعية، فالفقيه يبحث في الأدلة الجزئية ليتوصل بالنظر فيها إلى أحكام جزئية متعلقة بفعل المكلف مستعينا بالقواعد الكلية التي يقررها الأصولي.

موضوع أصول الفقه: الأدلة والأحكام، فالأصولي مدار بحثه الأدلة الإجمالية وتقرير قواعد كلية، فهو يبحث في القرآن من حيث حجيته وإثباته للأحكام، وفى السنة والإجماع وحجيته كله منهما، وكون الأمر يفيد الوجوب، والنهى يفيد التحريم.

٣- **من حيث ما يستمد العلم منه مباحث:**

الفقه: يستمد مباحثه من الأدلة الشرعية، كالكتاب والسنة والقياس، ومن أفعال المكلفين وما يصدر عنهم من تصرفات باعتبارها المادة التي يبحث لها عن أحكام.

أصول الفقه: يستمد مباحثه من اللغة العربية، وكذلك من علم الكلام، وكذا من القواعد الشرعية الموضحة مسالك الشريعة ومقاصدها بعد استقراء نصوصها ومراعاة أنواع المصالح التي اعتبرها الشارع في تشريعه.

٤- من حيث الغاية:

غاية الفقه: الفوز بالسعادة في الدارين باتباع الأوامر واجتناب النواهي، والفوز برضا الله سبحانه وتعالى بسبب الامتثال والعمل بالأحكام.

والغاية من أصول الفقه: تطبيق القواعد الكلية على الأدلة التفصيلية لاستنباط الأحكام الشرعية العملية من تلك الأدلة

مصادر التشريع الإسلامي:

قبل أن نتحدث عن مصادر التشريع الإسلامي نعرف التشريع أو الشريعة.

الشريعة لغة: هي ما شرع الله لعباده من الدين والجمع الشرائع، والشرائع في الدين: المذاهب التي شرعها الله لخلقه.

ولهذا قال سبحانه ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِيَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِيَ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيَ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ الشورى/١٣].

الشريعة اصطلاحاً: هي النظم التي شرعها الله تعالى لعباده أو شرع أصولها وقام رسوله بيانها ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه وعلاقته بأخيه مسلماً أو غير مسلم وعلاقته بالكون والحياة.

وعلى هذا فالتشريع أو الشريعة هي ما شرعه الله تعالى لعباده من العقائد والأحكام في شئون الحياة والاستعداد للآخرة لينالوا عز الدنيا وسعادة الآخرة، ومن المعلوم أن الأدلة الشرعية التي تستفاد منها الأحكام كما بينها العلماء أربعة: القرآن والسنة والإجماع والقياس، وهى مصادر أتفق جمهور المسلمين على الاستدلال بها.

وإلى جانب تلك الأدلة توجد أدلة أخرى لم يتفق جميع المسلمين عليها وهى سنة: الاستحسان -المصلحة المرسلة- الاستصحاب -العرف- مذهب الصحابي -شرع من قبلنا. وعلى هذا، فجملة الأدلة الشرعية عشرة - أربعة متفق عليها من الجمهور وستة مختلف في الاستدلال بها.

المصدر الأول: القرآن :

عرفه العلماء بأنه اللفظ العربي المنزل على محمد ص المنقول إلينا بالتواتر وهو حجة الرسول ﷺ على أنه رسول الله، ودستور الناس يهتدون بهداه، وقربه يتعبدون بتلاوته، وهو المرجع الأول للتشريع في الإسلام، ومنه وقبل غيره تستمد الأحكام.

المصدر الثاني: السنة:

لغةً: هي الطريقة المعتادة حسنة كانت أم سيئة، وفيها قوله ﷺ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

اصطلاحاً: في اصطلاح المحدثين كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية، أو سيرة سواء قبل البعثة أم بعدها.

في اصطلاح علماء أصول الفقه كل ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلا شرعياً.

في اصطلاح الفقهاء: كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب.

المصدر الثالث : القياس :

وهو أن يقاس ما لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة على ما ورد فيه نص منهما ويتخذ حكمه، لاشتراك الاثنين في علة هذا الحكم.

المصدر الرابع : الإجماع :

وهو اتفاق أهل النظر في المصالح وهم رجال الشورى الذين تعرض عليهم الحوادث ويتناولونها بالبحث وتتفق آراؤهم فيها.

المصدر الخامس : الاستحسان :

وهو أن يعدل المجتهد عن أن يحكم في المسألة بمثل ما حكم به في نظائرها إلى خلافه لوجه أقوى يقتضي العدول عن الأول.

المصدر السادس : قول الصحابي :

أي فتاوى من اشتهر من الصحابة بالعلم والفقه، فتاواه التي صدرت منه في وقائع وقعت .

المصدر السابع : المصلحة المرسلة :

ومصالح الناس ثلاثة أنواع :

١- مصالح ضرورية : وهى أمور تقوم عليها حياة الناس وترجع إلى المحافظة على خمسة أشياء (الدين - النفس - العقل - النسل - المال).
٢- مصالح خارجية : وهى أمور يحتاج إليها الناس لرفع الحرج والمشقة والضيق عنهم كإباحة الفطر للمسافر والمريض.
٣- مصالح تحسينية : ترجع إلى مكارم الأخلاق ومثاله ما شرعه الإسلام من أنواع الطهارات وآداب المأكل والمشرب.

وهناك من اعترف بحجيتها وهناك من لم يعترف بها.

المصدر الثامن : العرف :

المقصود به هو ما تعارف عليه الناس لتكرر حدوثه ، وأكثر من احتج به الحنفية والمالكية والشافعي بنى مذهبه الجديد على عرف أهل مصر، كما بنى مذهبه القديم على عرف أهل العراق.

المصدر التاسع : شرع من قبلنا :

وهو أحكام كانت مشروعة على من قبلنا وجاء في القرآن أو السنة ما ينسخها أو تقرها أو قد لا يرد، وهو لا يعد شرعاً للمسلمين في رأى بعضهم مستدلين بالآتي :

١- أن الشريعة الإسلامية عامة ناسخة لما عداها من الشرائع.

٢- أن الرسول ﷺ حينما بعث معاذاً قاضياً لليمن قال له: بما تحكم قال: بكتاب الله ، قال: فإن لم تجد. قال: بسنة رسول الله ﷺ . قال: فإن لم تجد. قال أجتهد رأيي، فقال له الرسول: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى الله ورسوله . فلو كان العمل بالشرائع السابقة واجبا لذكره معاذ .

المصدر العاشر: الاستصحاب :

وهو استبقاء الأمر الثابت في الزمن الماضي إلى أن يقوم الدليل على تغييره ، وإذا انتفى أمر من الأمور في وقت من الأوقات فإنه يبقى منتفياً فيما يستقبل من الزمان حتى يرد دليل على إثباته.

ومن قواعده وتطبيقاته :

١- الأصل بقاء ما كان على ما كان حتى يثبت ما يغيره.

٢- الأصل في الأشياء الإباحة.

٣- الأصل في الإنسان البراءة.

٤- ما ثبت باليقين لا يزول بالشك .

وهكذا نكون قد عرفنا المصادر أو الأدلة التي تستنبط فيها الأحكام الشرعية، وعرفنا أن جهود العلماء متفق على الأربعة الأول القرآن، السنة، القياس، الإجماع.

أما باقي المصادر فاختلفوا في حجيتها.

المذاهب الفقهية وكيف تعددت:

أشهر المذاهب الفقهية التي كتب لها البقاء، وظل العمل بها قائماً إلى وقتنا - المذهب الحنفي، المذهب المالكي، المذهب الشافعي، المذهب الحنبلي وهناك مذاهب انقرضت ولم يطل العهد بها، ومذاهب لبعض الفرق كالزيدية، والإمامية.

كيف تعددت المذاهب؟:

لقد كانت أصول التشريع الإسلامي محصورة في مصدرين -القرآن الكريم، والسنة النبوية، ثم أخذت الدولة الإسلامية في الاتساع وواجهت في كل إقليم مشكلات تختلف قليلاً أو كثيراً عن مشكلات غيره، لاختلاف العرف الشائع، ونظم التجارة والمعاملات المالية.

وكانت تأتى المسائل ويعرض الأئمة ما واجههم على كتاب الله وسنة رسوله فلا يجدون نصوصاً صريحة يحكمون بها، وكان لابد لهم أن يجتهدوا.وقد أدى ذلك إلى تعدد الرأي في المسألة الواحدة، فضلا على أن من نصوص القرآن والسنة، ما يحتمل أكثر من تفسير مقبول بحيث لا تلتقي آراؤهم على وجهة نظر موحدة فيها، بالإضافة إلى أن من الأحاديث ما وصل إلى أيدي بعض الفقهاء ولم يصل إلى غيرهم، وإن منها ما استدل به فريق من الفقهاء ولم يستدل به فريق آخر، لعدم اتفاقهم على صحة الإسناد وهكذا تعددت الآراء، ونشأت المذاهب الفقهية .

المذاهب الأربعة وأئمتها

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان

هو الإمام أبو حنيفة النعمان فقيه أهل الرأي في العراق صاحب المذهب الحنفي. أبو حنيفة هي الكنية التي اشتهر بها، أما اسمه فهو النعمان بن ثابت ابن زوطى وهو تيمي بالولاء وأصله من فارس، وهو تابعي، لأنه رأى من الصحابة أنس بن مالك، سهل بن سعد الساعدي، وعبد الله بن أبى أوفى، وأبا الطفيل عامر بن واثلة، وروى عن بعضهم . وقد قال عنه الشافعي "الناس في الفقه عيال على أبى حنيفة" .

مولده ونسبه:

أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى، اقدم الأئمة الأربعة مولداً وأكثرهم بين المسلمين أتباعا، ولد بالكوفة، واختلف في سنة مولده على ثلاثة أقوال قيل: سنة ٦٣ هـ، وقيل سنة ٧٠ هـ، وقيل: سنة ٨٠ هـ. والمشهور هو الثالث. ولد بمدينة الكوفة في عهد الدولة الأموية. حينما دخل الإسلام فارس كان هناك رجل شريف من أهل فارس ذو جاه اسمه "زوطى" وكان المجاهدون يمنون بدل أن يسترقوا، فلم يستمر زوطى في أسره، فأطلق سراحه ومنّ الله عليه بالإسلام وانضم للعرب وانتقل من بلده الأصلي "كابل" لأقرب الحواضر الإسلامية من فارس وهى الكوفة.

فأبو حنيفة فارسي على هذا وقد كان جده من أهل "كابل" والقول بأنه فارسي هو المشهور، وروى أنه بابلي كما جاء في تاريخ بغداد للخطيب "كان أبو حنيفة من أهل بابل" وقد أدعى بعض المتعصبين أنه عربي، وقيل إن زوطى من بنى

يحيى بن زيد بن أسد، وقيل ابن راشد الأنصاري، وكل ذلك مردود، فالمشهور أنه من أولاد فارس وينتمي إلى ساداتهم، وأصل جده الأول من "كابل" وحكام أبيه "ترمذ" أو "نسا" وقيل "الأنبار" ولذا قيل إن أبا حنيفة ولد فيها، والأكثرون يقرون أنه ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ.

وقد أسر عند فتح العرب لهذه البلاد واسترق لبعض بنى تيم بن ثعلبه، ثم أعتق فكان ولاؤه لهذه القبيلة وكان هو تيميا بهذا الولاء. ويذكر إسماعيل أخو عمر بن حماد بن أبى حنيفة عن نسبه أن أبا حنيفة هو النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان (الرئيس من أبناء فارس الأحرار) . ويقول "والله ما وقع لنا رق قط".

ومن أخبار الثقات من العلماء أنه فارسي وليس بعربي ولا بابلي وسواء أكان الرق جرى على حده أم لم يجر فقر ولد هو وأبوه على الحرية وليس يضير أبا حنيفة في قدره وعلمه وشرف نفسه وغايته أن يكون الرق قد جرى على جده أو على أبيه، بل أن يكون قد جرى على نفسه هو فما كان شرفه من نسب ولا مال ونسب ولكن كان جاهه من المواهب والنفس والعمل وذلك هو الشرف.

وقد التقى جده بإمام الهدى على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وأهدى له (فالوذجا) في عيد الفيروز، فقد كان قوى الصلة به وواسع الرزق [فقال على بن أبى طالب: مهرجونا كل يوم]، وتعلق ببيت النبي الكريم، وولد له "ثابت" الذي اتصل أيضاً بالإمام على - كرم الله وجهه - وذكرت الروايات أن عليا دعا "لثابت" أن يبارك له في ذريته وقد استجاب لدعائه إذ أعطاه الله "النعمان" فقيه العراق، بل فقيه الإسلام "والناس في الفقه عيال على أبى حنيفة" كما قال الإمام الشافعي - رضى الله عنهما. وقد تحققت فيه نبوءة النبي ﷺ بقوله: "لو كان العلم معلقاً عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس".

نشأته وعصره:

ولد أبو حنيفة بالكوفة التي كانت مقر خلافة الإمام على بن أبى طالب، وتربى في بيت أبيه ثابت أحد تجار الأقمشة ذوى اليسار وكان رجلاً صالحاً، فوجه أبنه منذ نعومة أظافره إلى حفظ القرآن وتعلم مبادئ العلوم الدينية، كما كان الحال في تربية أبناء المسلمين تلك الأيام كما كانوا يشركونهم في أعمالهم، ولذا كان أبو حنيفة منذ صغره يشتغل في متجر أبيه وينتقل معه إلى مختلف الأسواق التجارية للتعرف على ما فيها من متاجر وما يجرى فيها من معاملات وكان في نفس الوقت مستمراً في حفظ القرآن وتلاوته على الإمام عاصم أشهر القراء السبعة الذين أتقنوا أصول التجويد.

وكان أبو حنيفة حريصاً على ألا ينسى القرآن، فكان من أكثر الناس تلاوة له فختمه عدة مرات حتى لا ينساه. وكان العراق قبل الإسلام ينتشر فيه السريان بمدارسهم في فلسفة اليونان وحكمة الفرس، وبعد الإسلام صار بها أجناس مختلفة وتضاربت الآراء في السياسة وأصول العقائد من الشيعة والخوارج والمعتزلة، وقد التقى النعمان بتابعين مجتهدين أمثال عبد الله بن مسعود ثم على بن أبى طالب [والحقيقة أنهما صحابيان]

ونزل أبو حنيفة بين أصحاب النحل لسليقته المستقيمة - في آخر صباه - فكرس حياته لتجارة أبيه وكان يذهب في وقت فراغه لحلقات العلماء.

إلى العلم والعلماء حرضه العلماء بعد أن استرعى ذكاؤه أنظارهم على العلم، فصار قليل الاختلاف على السوق كثيرة على العلماء، وكان يعشق الجدل منذ صغره فاتجه لعلم الكلام والمعتزلة المتحدثين في العقائد ولكنه وجد الجدل لا يفيد فاتجه إلى الفقه وجد أبو حنيفة الصحابة والتابعين لم يتنازعوا في شئ، وعلموا الناس الفقه وأفتوا واستفتوا، فترك المجادلة وعلم الكلام ووصف المجادلين بغلظ القلب وعدم المبالاة بمخالفة السنة والكتاب فاتجه للفقه ليثبت حقائق التوحيد

بالأدلة العقلية فحفظ الحديث وعرف النحو والأدب ورأى ابنه حماداً يناظر في الكلام فنهاه .

وهكذا عندما شرع أبو حنيفة للتفرغ للعلم وتحصيله أخذ يستعرض ما كان يعرفه من العلوم فنا فنا ليختار منها أكثرها نفعاً له في دينه ودنياه، ليتخصص فيه فلم يجد خيراً من علم الفقه، لأنه رأى فيه ضرورة لتصحيح معتقداته وعباداته ومعاملاته .

عوامل أثرت في شخصيته العلمية وفى فقهه :

لقد نشأ بمعدن الكوفة وسط طائفة من كبار الصحابة وتابعيهم، ومن تابعيهم إبراهيم النخعي فقيه القياس و التخريج أما عن الصحابة فقد ذكرنا منهم على بن أبى طالب -كرم الله وجهه - وغيره ولقد قال "كنت في معدن العلم والفقه فجالست أهله ولزمت فقيها من فقهائهم".

إذن فالعلم لا يستقيم إلا بثلاثة أمور:

١- أن يكون بيئته علمية يعيش فيها ويستنشق عبيره منها.
٢- أن يجالس العلماء ويلتقي بكل أنواع الاتجاه الفكري بعصره.
٣- أن يلزم شيخا من الشيوخ يبصره بالدقائق وينبهه حتى لا يضل وكل ذلك أتاه الله لأبى حنيفة، فكانت الكوفة قد سارت شوطاً بعيداً في البناء على النصوص وقياس ما لا نص فيه ويستخرجون العلل التي بنيت أحكام القرآن والسنة عليها ويختبرون أقيستهم.

ولم يتصل النعمان بفقهاء الجماعة فقط، بل التقى بأصحاب فرق متباينة وتلقى عن أبن عباس فقه القرآن الكريم ترجمان القرآن حيث قابله في مكة وفى الكوفة كان هناك فرق الشيعة المختلفة فاتصل بالزيدية والإمامية فكأنه كان يتغذى من عناصر شتى ثم يخرج مفكراً جديداً.

وكان حريصاً على أن يطلع على أربعة أنواع من الفقه :

- علم عمر المبنى على المصلحة.
- علم على المبنى على الاستنباط والغوص في طلب حقائق الشرع.
- علم ابن عباس الذي هو علم القرآن وفقهه.
- علم عبد الله بن مسعود المبنى على التخريج .

شيوخ أبى حنيفة وأساتذته :

شيوخ الكوفة : حماد بن أبى سليمان ، محمد بن دثار ، سماك بن حرب عبد الكريم أبو أمية ، عبد العزيز بن رفيع ، على أن الشيخ الذي لازمه وجلس إليه أطول مجلس هو(حماد بن أبى سليمان).

شيخه حماد : لقد آلت رئاسة الفقه في عهد أبى حنيفة للعالم حماد بن أبى سليمان وكان موالياً لإبراهيم بن موسى الأشعري.

أخذ الفقه عن إبراهيم النخعي والشعبي وعلقمة بن قيس ومروق ابن الأجدع اللذان تلقيا فقه الصحابيين الجليلين عبد الله بن مسعود وعلى بن أبى طالب.

وقد لازم أبو حنيفة حماداً ثماني عشرة سنة ولم يمنعه ذلك من أن يختلف إلى شيوخ آخرين في الكوفة وآخرين في غير الكوفة.

شيوخ غير كوفيين : كان يستمع أبو حنيفة إلى فقهاء كبار يزورون الكوفة مثل الصحابي الجليل أنس بن مالك ، التابعي هشام بن عروة ابن الزبير ، ولسماعه للصحابي أنس بن مالك عُدَّ أبو حنيفة في التابعين ، لأنه تلقى العلم عن صحابي.

ومن فقهاء الحجاز عطاء بن أبى رباح الفقيه المحدث التابعي وهو يمني المولد مكي الثقافة والإقامة والوفاة ، ومن فقهاء المدينة نافع مولى عبد الله بن عمر ،

الذي سمع عن أبى هريرة وعبد الله بن عمر، وأبى سعيد الخدري وأم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمه -رضوان الله عليهم -.

شيوخ أبى حنيفة من آل البيت:

الإمام محمد الباقر، لقب بالباقر، لأنه تبقر في العلم أي توسع فيه، وهو سليل بيت النبوة أبا وأماً، فأبوه على زين العابدين بن سيد الشهداء الإمام الحسين بن الزهراء فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن الزهراء فاطمة بنت رسول الله والإمام زيد بن على زين العابدين وهو أخ لمحمد الباقر.

والإمام جعفر بن محمد المعروف بالصادق لصدقه وفضله، وكان الإمام الثوري قريباً إلى الإمام جعفر وقد سمع منه كثيراً. وقد أخذ أبو حنيفة عن ابن هرمز، وعمرو بن دينار.

تلاميذ أبى حنيفة النعمان:

روى عن أبى حنيفة أصحابه أبو يوسف وزفر وابن المبارك والطائي ووكيع. وكان أبو يوسف / محمد زميلين له في الدرس لدى الإمام حماد، ثم صارا بعد ذلك تلميذين له وعرفا بالصاحبين، لأنهما ظلا على ولائهما لأبى حنيفة يشاركونه أبحاثه ويدونان آراءه.

- واسم أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري نسبا المكنى بأبي يوسف لولده(يوسف) وعاش بعد أبى حنيفة ٣٢ عاماً.
- أما محمد فهو محمد بن الحسن الشيباني لم يجلس في درس أبى حنيفة كثيراً ولكنه أثر على أبى يوسف ما بدأه مع أبى حنيفة، وهو حافظ الفقه العراقي.

ومن تلاميذه أيضاً حفص بن غياث من كبار المحدثين، وزفر والحسين ابن زياد من كبار الفقهاء، والفضل بن عياض وداود من كبار الزهاد (فهؤلاء هم تلاميذه ووارثو مذهبه ومدرسته).

منهاجه وأصول مذهبه:

أخرج البيهقي عن يحيى بن خريس، قال شهدت سفيان وأتاه رجل فقال ما تنعم على أبى حنيفة ؟ قال وما له ؟ قال سمعته يقول: آخذ بكتاب الله، فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ فإن لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله، أخذت بقول أصحابه من شئت منهم، وأدع قول من شئت ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم.

فأما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء بن المسيب -رجالا - فقوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا، وفى رواية. فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله ﷺ والآثار الصحاح عنه التي فشت بين أيدي الثقات.

أما اجتهاده فيما لم يكن فيه نص من كتاب ولا سنة ولا قول صحابة، فقد كان مرجعه إلى القياس، ومن أنواع القياس عنده الاستحسان الذي فسر بأنه قياس خفي في مقابلة قياس جلي.

لقد كان منهاجه الاستنباط وإذا لم يكن مفصلاً فهو جامع لأنواع الاجتهاد، فكان يأخذ بالكتاب فالسنة ثم أقوال الصحابة ولا يأخذ بأقوال التابعين (وذلك في الاجتهاد بالنصوص).

(أما الاجتهاد بغير النصوص) فكان يمضى على القياس، فإذا قبح يمضى على الاستحسان فيوصل الحديث المعروف الذي أجمع عليه، ثم يقيس عليه ما دام القياس سائغاً، ثم يرجع للاستحسان فيرجع للأوفق.

فمنهاجه :

١ - الكتاب.

٢ - السنة المبينة له.

٣ - أقوال الصحابة مبلغي الرسالة.

٤ - القياس وقد سبق تعريفه.

٥ - الاستحسان -وقد سبق تعريفه -.

٦ - الإجماع -وقد سبق تعريفه -.

٧ - العرف - وقد سبق تعريفه-.

حلقة أبى حنيفة مجمع للبحوث الدينية :

لقد اشتملت على باحثين شبان وشيوخ يرأسهم أستاذهم الذي يفتح باب المناقشة في القضية، وكان أبو حنيفة عالماً منفتحاً غير متصلب ولا متعسف لا يسمح بكتابة رأيه في مسألة ما إذا لم يكن مطمئناً كل الاطمئنان إلى كامل صوابها فها هو يقول ليعقوب وهو يكتب: "ويحك يا يعقوب لا تكتب كل ما تسمعه منى فإني قد أرى الرأي اليوم فأتركه غداً وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غد ".

وكان إذا بحث مسألة مع تلاميذ ظل يتباحث فيها أياماً حتى ينتهي إلى الرأي الصواب ويتأكد فيه ثم يأمر بكتابته. وقد رسم الإمام الأعظم لتلاميذه وغير تلاميذه طريق العلم الصحيح بقوله: "لا يحل لمن يفتى من كتبي أن يفتى حتى يعلم من أين قلت". قال المغيرة بن حمزة: "كان أصحاب أبى حنيفة الذين دونوا معه الكتب أربعين رجلاً كبراء ".

كانوا يختلفون عند أبى حنيفة في جواب المسألة، فيأتي هذا بجواب وهذا بجواب ثم يرفعونه إليه ويسألونه عنها فيأتي الجواب من كثب وكانوا يقيمون في المسألة ثلاثة أيام ثم يكتبونها في الديوان.

ومن هنا نعلم صدق ما يقول الموفق المكي من أن أبا حنيفة وضع مذهب شورى، فكيف يخطئ أبو حنيفة ومعه مثل أبى يوسف وزفر في قياسهما ويحيى بن أبى زائدة وحفص بن غياث وحبان ومندل في حفظهم للحديث، والقاسم بن معن في معرفته باللغة وداود الطائي وفضيل بن عياض في زهدهما ومن كان هؤلاء جلساؤه لم يكد يخطئ، لأنه إن أخطأ ردوه.

أبو حنيفة (صفاته ومعيشته):

كان ورعاً تقيا: لقد كان من أشهر العباد في زمانه وكان أشهر عابد في الكوفة - إن الحسن بن محمد الليثي يخبر عن ذلك بقوله "قدمت الكوفة فسألت عن أعبد أهلها فدفعت إلى أبى حنيفة" فهو يقوم الليل مصليا متعبداً باكيا تائباً، وكان يستعين بالصبر والصلاة والصيام وقراءة القرآن.

كان وفياً مخلصاً: فإذا ما أخذنا الوفاء بمعناه المحدود المتعارف عليه وجدناه في ذلك رائداً، لقد سبق الحديث عن علاقته بأستاذه حماد ولزومه ١٨ عاماً، وعندما قرر أبو حنيفة أن يجعل لنفسه حلقة خاصة به في مسجد الكوفة في مواجهة حلقة أستاذه وما أن دخل المسجد ووقع نظره على أستاذه حتى أحس بالخجل وحث خطاه لكي يجلس في مقعده الأثير بين شيخه ولم ينفرد بحلقة علم في الكوفة إلا بعد وفاة أستاذه.

وكان يستغفر لأستاذه مع استغفاره لوالده في كل صلاة. ولأبى حنيفة صور للوفاء كثيرة فهو وفي لأمه، وفي لزوجته وفي لتلاميذه.. وتتسع دائرة الوفاء لتشمل جيرانه ولو كان هؤلاء الجيران لا يراعون حرمة الجوار فكان له إسكافى جار كان سكيراً صوته يرتفع طوال الليل ويقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليـوم كريهـة سـداد ثغـر

وذات يوم أختفى صوته ومرت الليلة والثانية فسأل عنه فقيل له إنه أخذه العسعس بالليل، فذهب أبو حنيفة لأمير الكوفة وأخرجه من سجنه وسأله: يا فتى أضعناك ؟! قال: لا، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً وتاب الرجل عن الشرب . وكان هادئ النفس ضابطاً لمشاعره لا يثيره ثائر من شئ لا يرضيه كان هادئاً هدوء مَنْ علت نفسه بالمكارم وسمت بالتقوى واتصلت بالله سبحانه سراً وجهراً.

وكان أستاذاً: فكان درة عصره علماً وفقهاً وبحثا فيما وراء النصوص من مقاصد، فكان صاحب عقل فلسفي مكين وكان ناقد الرأي قوى الشخصية. وكان مهيباً ذا تأثير في غيره بالجاذبية وقوة الروح. وصفاته لا شك كانت فطرية وبعضها كسبي.

صفات أبى حنيفة الخلقية:

كان الإمام أبو حنيفة كما وصفه ولده حماد طوالاً تعلوه سمرة، لباساً حسن الهيئة كثير التعطر، يعرف بريح الطيب إذا أقبل أو خرج من منزله.. أما أبو يوسف فهو يصفه قائلاً: إنه ليس بالقصير ولا بالطويل وأنه أحسن الناس منطقاً وأحلاهم نعمة.

ويصفه الفقيه المحدث أبو نعيم بأنه حسن الوجه، حسن الثياب طيب الرائحة شديد الكرم، حسن المواساة لإخوانه.

معيشة أبى حنيفة:

لم يقبل أبو حنيفة عطاء الحكام من الخلفاء أو من كان في منزلتهم فقد كان مترفعاً عن العطاء بتجارته شأنه شأن الأئمة مالك، ابن حنبل، الشافعي. وقد اتصفت تجارته بصفات هي:

- كان غنى النفس لم يستول عليه الطمع.

- كان عظيم الأمانة شديداً على نفسه في كل ما يتصل بها.
- كان سمحاً وقاه الله تعالى شح النفس.
- كان بالغ التدين يرى في حسن المعاملة عبادة.

فكان غريباً بين التجار فشبه بأبي بكر الصديق، وكان يستمتع بالحياة استمتاعاً بريئاً فيهتم بثيابه وكان منظماً في عمله وحياته فيوم السبت يقضى فيه حوائجه، ويجلس في السوق من الضحى للظهيرة والجمعة له دعوة يجمع أصحابه ببيته ويقدم لهم ألوان الطعام.

أبو حنيفة تاجراً:

كان فقيه الكوفة من أكبر تجارها حيث بدأ حياته في التجارة يطبعه الطابع العلمي فدخل السوق يدرس على أستاذ يعلمه التجارة وهى ظاهرة تتراءى لك في حياة أبى حنيفة في غير موضع ، واختار لمكانه مكانا من أبرز-أمكنة الكوفة في دار ليست هينة على التاريخ هي دار عمرو بن جريث الصحابي، وكانت لمظاهر الذوق في ترتيب دكانه. صورة تجدها جلية واضحة.

موقفه في سياسة عصره ووفاته:

حياته في عهد الدولة الأموية:

قضى أبو حنيفة ٥٢ سنة من عمره في الدولة الأموية، رأى خلالها قوة الأمويين وسطوتهم ثم انحطاط دولتهم وعاصر أحداث الفتن والاضطرابات بين شعوبها من شيعة وخوارج ومعتزلة وزنادقة وغير ذلك، وكان لكل أثره العميق في نفس أبى حنيفة فالتزم الحياد والابتعاد عن التناحر وكان يذكر على بنى أمية استيلائهم على منصب الخلافة بغير حق، لذلك كان ميالا للإمام على بن أبى

طالب وأبنائه الذين ذهبوا ضحية ظلم الأمويين وكان يظهر فيه إليهم في دروسه ولقد حزن لمقتل زين بن على زين العابدين، وكان قد بعث إليه بعشرة آلاف درهم كما حزن لمقتل ابنه يحيى وحفيده عبد الله.

وكان ذلك قد أثار غيظ أبى حنيفة على بنى أمية فذكر مظالمهم فكانت ضرباته له بلسانه أشد من السيوف، فترصدته أعينهم خاصة لوجود الدعاية العباسية، وحبسه ابن هبيرة عامل الأمويين في العراق إلا أنه هرب بمساعدة حارس السجن إلى مكة وظل بها حتى قيام الدولة العباسية.

حياته في عهد الدولة العباسية:

لقد كان أبو حنيفة حانقاً على الدولة الأموية منتظراً أفول نجمها الذي اقترب وكان يتمنى أن تأتى الدول العباسية بالحق والنور، وعندما وطدت الدولة العباسية أركانها رأى فيها أبو حنيفة ظلماً يتمثل في سفك دماء المسلمين، فقد كان يحب العدل ويريده، كان يرى أن الدولة القوية تقوى بعدلها لا بجبروتها كما قالها الخليفة الرابع العادل عمر بن عبد العزيز - ﷺ - "حصنها بالعدل".

وكان أبو جعفر المنصور داهية ووجد أبا حنيفة ينتقض القاضي الأكبر فأمره بتولى القضاء مكانه مع علمه بأنه لن يرضى وذلك ليعاقبه بما يبرر عقابه به أمام الفقهاء والعلماء والعامة، وتكرر عرض القضاء وتكرر الرفض وحلف المنصور عليه ليقبلن وحلف أبو حنيفة ألا يفعل وقال: لو هددتني أن تغرقني في الفرات أو أن آتى الحكم لاخترت أن أغرق فطلب منه أن يراجع أحكام القضاء ليقر الصواب ويرفض الباطل، ولكنه أصر على الرفض فأمر بحبسه ومنعه من الدرس والإفتاء وكان يضربه كل يوم عشرة أسواط حتى تلف ومات، وقد أوصى بالا يدفن في مقبرة جرى فيها غصب أو اتهام، فقال المنصور: من يعذرني من أبى حنيفة حياً أو ميتاً. فمات كما يموت الشهيد والصديق ١٥٠ هـ مرتاح الضمير

والوجدان الديني المرهف وصلى المنصور على قبره بعد دفنه، وذهبت أخبار من آذوه فلم يذكروا إلا مظلمة ارتكبوها أو دم أراقوه. أما هو فآراؤه تدرس بالشرق والغرب ﷺ .

وفيه يقول ابن المبارك "أفقه الناس أبو حنيفة، ما رأيت في الفقه مثله ولولا أن الله تعالى أغاثنى بأبي حنيفة لكنت كسائر الناس كان ورعاً سخياً صاحب غوص في المسائل".

وفـاتـــه:

اختلف في تاريخ وفاته، فقيل ١٥٠هـ، وقيل ١٥١هـ وقيل ١٥٣ هـ والصحيح هو الرأي الأول، فكان جلداً في جهاده قوياً في جلاده حتى وهو يلفظ النفس الأخير يوصى بأن يدفن في أرض طيبة لم يجر عليها غصب ولم يتهم الأمير بغصبها. وقبره لا يزال هناك في بغداد معروفاً في حي مسمى باسمه وهو (الأعظمية) نسبة إلى الإمام الأعظم .

ما نقل عن مالك وغيره في أبى حنيفة:

اجتمع مالك وأبو حنيفة ذات يوم في المدينة، ثم خرج مالك وهو يتصبب عرقاً، فقال له الليث بن سعد "أراك تعرق"؟ قال مالك: "عرقت مع أبى حنيفة، إنه لفقيه يا مصري". وقد اعترف أصحاب مالك وكبار المؤلفين في مذهبه بثناء مالك على أبى حنيفة.

أما الإمام الشافعي فهو القائل "الناس عيال في الفقه على أبى حنيفة" أما الإمام أحمد فهو لم يدركه مثل الإمام الشافعي، بل أدرك تلميذه أبا يوسف وكتب عنه، وكذلك تلميذه محمد بن الحسن.

علامات بارزة للإمام الأعظم:

أبو حنيفة الحكيم: كان يوصى تلاميذه في كل أمر لهم علمي أو دنيوي أو ديني وكانت تظهر حكمته من خلال ذلك. وتنسب له رسالة (العالم والمتعلم) ليقرر منها أشياء عظيمة قائلاً:

[اعلم أن العالم تبع للعلم، كما أن الأعضاء تبع للبصر والعلم مع العمل اليسير أنفع من الجهل مع العمل الكثير ومثال ذلك الزاد القليل الذي لابد منه في المفازة مع الهداية بها أنفع من الجهل مع الزاد الكثير لذلك قال تعالى **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾**. ويقول: [العالم إذا وصف عدلاً ولم يعرف جوراً ما يخالفه فإنه جاهل بالعدل والجور].

أبو حنيفة المفكر:

طابع فلسفة أبى حنيفة الفكرية هي الحرية والتسامح والتيسير بين نفسه وبين تلاميذه وبين نفسه وبين الناس قولاً وفعلاً، وفى الأموال والعبادات والآراء والبيع والشراء.

كان الأسلوب التعليمي لأبى حنيفة يضاهى الأسلوب التعليمي في أحدث الجامعات من حيث التحليل والتعليل وتأصيل الأصول وترتيب النتائج مع التجرد العلمي. وتتجلى حكمته وفلسفته الفكرية في رحلاته وتجارته، وتروى الروايات عنه أنه رأى ذات مرة جماعة من الدهريين (وهم الذين يؤمنون بالدهر ويقولون إن الدهر هو خالق الأكوان ومدبرها فلا يؤمنون بالله ولا وجوده) فقال لهم: ماذا تقولون في سفينة مشحونة بالأمتعة والأحمال وهى تجرى آمنت بين أمواج متلاطمة ورياح هوجاء ليس فيها ملاح يقودها ولا ربان يشرف عليها، بل هي المسيرة لنفسها بنفسها، فقالوا: إن هنا لا يجوز عقلاً ولا يمكن أن يتأتى ذلك تلقائياً بغير ملاح يقودها، فقال لهم أبو حنيفة: فكيف يجوز عقلاً أن يوجد هذا الكون بنظامه

العجيب من غير صانع أوجده ولا مدبر يحفظه ؟ فبهت الذي كفر وترك هؤلاء الدهريون عقيدتهم الباطلة.

السمة الواضحة لفقه أبى حنيفة :

اتسم فقه أبى حنيفة النعمان بسمتين :

١- السمة التجارية. ٢- سمة الحرية .

١- السمة التجارية :

كان فقهه متأثراً بالفكر التجاري فيما يخص العقود الإسلامية المتصلة بالتجارة وذلك واضح في أمرين من منهاجه :

- أخذه بالعرف كأصل شرعي يترك به القياس والعرف ضابط للتجارة.
- أخذه الاستحسان المبنى على المصلحة التي مردها النص شرعي أو النهى على العرف والتعامل بين الناس.

وكان يقيد تفريعه في العقود التجارية بقيود أربعة :

- العلم بالبدل علما تنتفي معه الجهالة المؤدبة لنزاع فأساسا العقود في الشريعة الحكم التام بالبدلين فلا تكون ثمة غش ولا ذريعة للخصومات.
- تجنب الربا وشبهته فهو محرم في الشريعة.
- العرف له حكمه في العقود حيث لا يكون نص.
- الأمانة فالمشترى ائتمن البائع في إخباره عن الثمن الأول من غير يمين .

ويقول د. عبد الحليم الجندي "حقا إنك لا تستطيع أن تجزم هل كان التوفيق التجاري قد جاءه من الفقه أو أن الفقه قد أتخذ من التجارة أسباب وجوده- لكن ثمة قدراً تستطيع أن تقرره هو أن الصدق والحزامة في التجارة قد هيأ له من النجاح أسبابا مواتية للتفرغ لدين الله ومن صدق المعاملة أنه طلب رجل ثوب فقال

أبو حنيفة لابنه حماد: يا حماد أخرج ثوبا، فأخرج حماد ثوباً ونشره قائلاً: صلى الله عليه وسلم الله على محمد ! قال أبوه: مه قد مدحته.. ورفض أن يبيعه .

٢- سمة الحرية: (الفقيه الحر)

فقد كان حريصاً على احترام إرادة الإنسان في تصرفاته ما دام لم ينتهك حرمة أمر ديني.

فالنظم القديمة والحديثة للأمم ذوات الحضارات انقسمت قسمين:

الأول: اتجاه تغلبت فيه النزعة الجماعية.

الثاني: نظام تنمية الإرادة الإنسانية.

وكان أبو حنيفة يميل للقسم الثاني، ولنشر لبعض فقهه في ذلك:

المرآة العاقلة تزوج نفسها:

وذلك أجمع عليه الفقهاء إلا أن أبا حنيفة اختلف مع جمهورهم في أنهم يمنعون الحرية خشية أن يقع سوء الاختيار وما يجلب العار، ولكن أبا حنيفة يرى أن تقيد الحرية أنه ضرر شديد والإسلام يقول [لا ضرر ولا ضرار] فإن أساءت الاختيار فعلاً فسد العقد وبذلك يكون قد احتاط للحرية وللأولياء معاً.

لم يجز القضاء التدخل في تقييد حرية المالك إذا ترتب على تصرفه في داخل ملكه أذى لغيره ويترك ذلك للضمير الديني المستيقظ لأن تدخل القضاء يؤدى للخصومة وإضعاف الوازع الديني .

الضجة الكبرى حوله وأسبابها:

كان من حق أبى حنيفة أن يمر اسمه في التاريخ عبقاً عاطراً مجمعاً على جلالته وعظيم خدماته للإسلام. ولكنا نرى هذا الإمام قد أثيرت حوله ضجة كبرى، واستمرت بعد وفاته وانقسم الناس فمنهم من يقر بإمامته وهم جمهور المسلمين ومنهم الحاقد عليه ينفر الناس عنه وعن فقهه.

أسباب الضجة:

١- كان أبو حنيفة أول من افترض الحوادث قبل وقوعها وقد كان العلماء قبله يكرهون ذلك ويرون فيه مضيعة للوقت وكان زيد بن ثابت إذا سئل عن مسألة يقول: هل وقعت ؟ فإن قالوا: لا قال: ذروها حتى تقع، أما أبو حنيفة فقد كان يرى أن المجتهد وظيفته تمهيد الفقه للناس والحوادث وإن لم تكن واقعة ولكنها ستقع . وقد عرفت مدرسته(الأرأيتيين) أي الذين يفترضون الوقائع بقولهم: أرأيت لو حصل كذا ؟ أرأيت لو كان كذا ؟ وبهذا التوسع الذي سار عليه أبو حنيفة في الإستنباط حتى بلغت المسائل في فقهه حداً كبيراً وصلت إلى ألف ومائتي ألف وسبعين ألفا ونيفا(كما ذكر صاحب العناية في شرح الهداية).

٢- تشدد أبى حنيفة في قبول الأخبار، نظراً لانتشار الوضع في الحديث وقد كان العراق مرتعاً للوضع والوضاعين مما دعاه إلى الاحتياط فلم يقبل إلا أحاديث الثقات ويذهب في ذلك مذهباً لم يذهبه المحدثون في الاحتياط والتشدد فضعف أحاديث هي عنهم مقبولة .

٣- كان يحتج بالمرسل إذا كان المرسل ثقة، خلافاً لما ذهب إليه جمهور المحدثين.

٤- اضطراره للقياس وأعمال الري وقد أتاه الله موهبة فذة لا مثيل لها فتباعدت الثقة بينه وبين أهل الحديث وبين فقهاء لا يعلمون بالقياس.

٥- كان أبو حنيفة دقيق الملكة في الاستنباط دقة عجيبة بعيدة المدى قادراً على تقليب وجوه الرأي في كل مسألة لدرجة أن الإمام مالك قال عنه "هذا رجل لو أراد أن يقيم الدليل على أن هذه السارية من ذهب لاستطاع".

وكانت دقته في الاستنباط هذه لا يفهمها العوام من المحدثين وخاصة هؤلاء الذين يكتبون الأحاديث ولا يتفهمون ولا يتدبرون ! نعم كان منهم أميون في التفكير والثقافة.

٦- ولقد كان لأبي حنيفة أقران، وفى عصره علماء، ومن طبيعة التنافس في بنى الإنسان أن تضيق صدورهم بمن يمتاز عليهم بفهم ولقد بلغ أبو حنيفة في علو المرتبة وذيوع الصيت ما جعل بعض أقرانه يتحدثون عنه في المجالس بما لا يصح وينقلون للخليفة عنه ما لم يقع منه ومنهم عبد الرحمن بن أبى ليلى قاضى الكوفة.

نقل مذهب أبى حنيفة:

مؤلفاته:

لم يؤلف أبو حنيفة كتاباً إلا رسائل بسيطة صغيرة نسبت إليه كرسالة(الفقه الأكبر)، (العالم والمتعلم)، (رسالته في الرد على القدرية وكلها في علم الكلام أو المواعظ) ولم يؤلف في الفقه، بل إن تلاميذه هم الذين قاموا بنقل وتدوين آرائه والآثار التي رواها. فقد شملت روايات أبى يوسف تلميذه فقهه منها:

- كتاب الآثار: ويشمل المجموعة الفقهية التي قام عليها استنباط أبى حنيفة.
- كتاب الخراج: وقد وضع فيه نظاماً ثابتاً لمالية الدولة الإسلامية .

أما تلميذه الثاني محمد بن الحسن الشيباني فقد استفاد من أبى يوسف وجمع في كتب سنة الفقه الحنفي كله

- ❖ كتاب الأصل المبسوط .
- ❖ كتاب الزيادات.
- ❖ كتاب الجامع الصغير .
- ❖ كتاب الجامع الكبير.
- ❖ كتاب السير الصغير .
- ❖ كتاب السير الكبير.

انتشار مذهب أبى حنيفة النعمان:

لقد انتشر مذهبه في كثير من البلاد الإسلامية، كالعراق والهند، وأفغانستان وتركيا ومصر، وعلى مذهبه يسير التعليم بمدارسنا كما يعتمد عليه القضاء الشرعي في أكثر أحكامه. - لقد كان أبا حنيفة فقيها أكثر منه محدثاً ولكن معرفته بالحديث لم تكن قليلة إلى الحد الذي يصوره به بعضهم، فقد جمع له العالم محمد بن محمود الخوارزمي خمسة عشر مستنداً.

كما أن لصاحبه محمد بن الحسن كثيراً من الأحاديث التي أخذها عنه في كتابه الآثار. ولكن الفقه ظل الصفة البارزة فيه وحسبه أنه مؤسس المذهب الحنفي وإمام أهل الرأي رضى الله عنه.

الإمـام مـالــك بــن أنــس

هو مالك بن أنس إمام دار الهجرة، بالغ أعظم درجة في علوم الحديث وهى الإمارة. فهو "أمير المؤمنين في الحديث". إنه هو صاحب الموطأ الذي قال عنه الشافعي (ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك)، وفى رواية (ما بعد كتاب الله أنفع من الموطأ) وفى رواية (هو أقرب إلى القرآن من كتاب مالك)، وفى رواية (أكثر صوابا من موطأ مالك).

مـولـــده ونسبــه:

ولد الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو ابن الحارث بن عثمان بن حنبل بن عمرو بن الحارث من بطون حمير من بيوت الملك في اليمن، ولد سنة ثلاث وتسعين للهجرة على أرجح الروايات حيث اختلفت المصادر التاريخية في سنة مولده، ولد في المدينة المنورة، وهو من أسرة يمنية الأصل قد هاجرت إلى الحجاز في الإسلام غالباً أو في الجاهلية، فقد خرج مالك بن أبى عامر جد مالك بن أنس إلى الحجاز متظلماً مما لحقه من ظلم وإلى اليمن إذ ذاك، لكن يبدو أنه خرج على أن يبقى في الحجاز إذا طاب له المقام هناك. وأنس: أبو مالك عاش في ذي المروة وهو مكان به عيون ومزارع وبساتين .

نشـأتــه:

نشأ مالك في المدينة المنورة واشتغل بالعلم منذ نعومة أظافره، وقد كان أبوه وأعمامه وجده من أصحاب العلم وأرباب الفضل وقد هيأت له الأسباب الانخراط في سلك الدراسات وأهم هذه الأسباب الوراثة ووجوده في مدينة الرسول المليئة بعلماء العصر فضلاً عن أم فاضلة تحسن صناعة التربية.

والـــده :

وكان أنس والد مالك نبالاً ، أي يصنع النبال ، وليس في ذلك ما يعيبه ، فالمرء مطالب بكسب رزقه على أن يكون ذلك من حلال ، وكان صاحب علم وحديث.

أم مـالـــك :

هذه السيدة الجليلة أنجبت علماء بارزين لعدة أجيال متعاقبة. هذه الأم هي عالية بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك كانت عربية أزدية ، وهناك من المصادر من يذكرها باسم طليحة ولا يذكر أبا لها ، واختلفت الروايات في اسم هذه الأم العظيمة.

إن مالكاً الطفل لم يكن يريد أن يتجه إلى العلم ، وإنما رغب فى أن يتعلم الغناء ويجيده ، وبالتالي يجعل منه صناعة. والأم العاقلة لا ترضى لوالدها بذلك ، إنما في لطف شديد ولباقة جمة تصرف ولدها عن فكرته وتختار له بديلاً سريعاً هو العلم.

يقول الإمام من تلك الحادثة : نشأت وأنا غلام فأعجبني الأخذ عن المغنيين ، فقالت أمي : يا بنى إن المغنى إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه ، فتركت المغنيين وتبعت الفقهاء ، فبلغ الله بي ما ترى.

إن هذه الأم العظيمة أوصت لابنها أنه قبيح الوجه ، مع أنه كان وسيما ذا شقرة ورواء ولكنها أرادت صرفه فقالت قولتها الشهيرة ووجهته إلى الإمام ربيعة بن أبى عبد الرحمن فقالت له : اذهب إلى ربيعة فتعلم أدبه قبل علمه ، وفى رواية فتعلم علمه قبل أدبه.

العلم في أسرة مالك:

كان أعمامه ثلاثة من فضلاء القوم هم أويس، نافع المكنى بـ أبى سهيل، الربيع وكنيته أبو مالك، وكان الأخوة الأربعة يحسنون الرواية عن والدهم (جد الإمام مالك) فقد كان عالما يروى عنه أبناؤه وهو من كبار التابعين ومصدر علم لحفيده باتفاق العلماء وكان ذا صلة بالخليفة عثمان ﷺ.

مالك الصبي على الطريق السوي:

لقد بدأ مالك الإقبال على طلب العلم وهو جد صغير، وتجمع الأخبار أنه كان مجدا طموحاً على الرغم من صغر سنه، ولم يكن يترك يوماً للراحة متى كان اقتناص العلم مواتيا. وكان لفرط حرصه على حفظ أحاديث رسول الله ﷺالتي يلقيها ابن شهاب في حلقته يحمل معه خيطاً فكلما انتهى ابن شهاب من رواية حديث عقد مالك عقدة في الخيط وفى النهاية يعرف كم من الأحاديث رويت وذلك بمراجعة عدد العقد فيحتفظ الحديث ويعيده على نفسه فإذا هم تسعة وعشرون حديثاً فيلقى الزهري ويسأله عن الحديث الثلاثين فيقول له: لم لم تحفظ؟ فيقول: ثلاثون وإنما ذهب عنى منها واحداً فيدهش الزهري ويقول: هات ما عندك، فيسأله مالك عن الحديث الذي نسيه فيجيبه.

شيوخ الإمام مالك:

لقد أتيح للإمام مالك أن يعرف جعفر الصادق معرفة صداقة وتدارس معاً. وعمل كل واحداً منهما تقديراً عظيماً لصاحبه.وقد عرف كل آثار الصحابة إلا فقه على بن أبى طالب إذ صادره الأمويون وطارده العباسيون.

شيوخ مالك:(ربيعة الرأى) ربيعة بن أبى عبد الرحمن فروخ المديني المتوفى ١١٧ هـ وقيل ١٢٠هـ.

(عبد الله بن هرمز) أبو بكر عبد الله بن يزيد المتوفى في المدينة المنورة ١٤٨هـ (نافع الديلمى) نافع بن سرجيس وكنيته أبو عبد الله الديلمى المتوفى ١١٧ هـ وقيل ١٢٠ هـ.

(ابن شهاب الزهرى) أبو بكر محمد بن مسلم المشهور بأبي شهاب الزهرى مدني الأصل.

(جعفر الصادق) جعفر بن محمد بن على بن الحسين وكان رأس آل البيت في المدينة وتوفى سنة ١٤٨ هـ.

شيوخ آخرون: يمثلون أنماطاً بشرية مختلفة فمنهم عالم الأثر، ومنهم عالم الرأي ومنهم من ملك فقه السنة والرأي جميعاً ومنهم الزاهد في الدنيا ومنهم الشاعر ونقصد به عروة بن يحيى بن مالك القرشي المدني وهو القائل:

يا ديار الحي بالأحَبَة   لم تُبن دارها كَلِمَةْ

طريقة مالك في الفقه وأصول مذهبه:

كان من طريقة الإمام مالك فقهه أن يقدم القرآن أولاً، وقبل بكل شئ ويستعين في فهمه بالحديث والسنة ولكنه كان يدقق في رواية الحديث حتى لا يختلط صحيح بغير صحيح وهو يعد أهل المدينة حجة ومصدراً من مصادر الفقه الهامة وهو يلتزم بالسنة ولا يفارقها إلا لإفتاء وكان كثيراً ما يرد البيت التالي:

وخير أمور الدين ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع

وبعد الكتاب والسنة كان يأخذ بفتوى الصحابة رضى الله عنهم، لأنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. كما كان يأخذ بالإجماع ويقص به ما اجتمع عليه أهل الفقه والعلم وإذا لم يجد نصاً يأخذ بالقياس والاستحسان

والعرف وسد الذرائع والمصالح المرسلة ويشترط في المصالح المرسلة عدة شروط منها:

١- ألا تنافى المصلحة أصلاً من أصول الإسلام ولا دليلاً قطعياً من أدلته.
٢- أن تكون المصلحة مقبولة عند ذوى العقول.
٣- أن يرتفع بها الحرج لقوله تعالى ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾.

ومن أمثلة ذلك: أخذ الإمام مالك بالمصالح المرسلة أنه يرى إذا خلا بيت المال واحتاج الجنود إلى النفقة كان لولى الأمر أن يأخذ من الأغنياء ما يراه كافياً لذلك، حتى يتوافر مال في بيت مال المسلمين.

وهكذا ترى أنه كان يحتج الرسل كأبي حنيفة، وكانت أصول مذهبه هي الأصول المعتبرة لدى الأئمة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وزاد عليها شيئين: عمل أهل المدينة، المصالح المرسلة.. وعمل أهل المدينة عنده أقوى من حديث الآحاد، فإذا تعارض خير الواحد مع عمل أهل المدينة رجح الثاني ولم يوافقه بقية الإئمة والعلماء من بعده على هذا.

مالك المحدث:

وجد مالك في عصر أخذت السنة فيه تنتشر في أنحاء العالم الإسلامي واحتج إلى هذا اللون من النشاط لأسباب متعددة منها:

١- اتساع الرقعة الإسلامية.
٢- تجدد الحاجة إلى حكم الدين في شئون الحياة.
٣- اتجاه العباسيين أكثر من غيرهم للعناية بالسنة وروايتها.

وكان أول من صنف الحديث ورتبه مالك بالمدينة، ابن جريج بمكة والربيع بن صبيح، أو سعيد بن أبى عروبة، أو حماد بن سلمة بالبصرة، سفيان الثوري بالكوفة، والأوزاعي بالشام، وهشيم بواسط، ومعمر باليمن وجرير بن عبد الحميد بالري، وابن المبارك بخراسان، وكان رضى الله عنه يدقق في اختيار التقاة من رواة الحديث ويقول: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون عنه، لقد أدركت سبعين كل يقول: قال رسول الله ﷺ عندهن الساطين وأشار إلى المسجد فما أخذت عنهم شيئاً وأن أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أمينا إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن".

وقال في رواية الحديث: "لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سواهم: لا يؤخذ من سفيه ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعته ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، ولا من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به قال الشافعي: "كان مالك بن أنس إذا شك في الحديث طرحه كله".

صفات مالك وشخصيته:

كان الإمام مالك يتسم بالجمال في الخلق والوسامة في القسمات والرزانة في العقل، وكان يلبس الثياب المروية والخرسانية والمصرية ويتحثم بالفضة.

أما بيته: فكان نظيفاً أنيقاً مليئاً بالأثاث الناعم من نمارق ومخاد محشوة بالريش وبسط، ومكتوب على باب البيت (ما شاء الله) ويسأل مالك في ذلك فيقول: قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً** ﴾ الكهف/٣٩]. وقيل: إن الدار التي كان يسكنها هي دار عبد الله بن مسعود ﷺ.

وقد كان رضى الله نه شديد العناية بلباسه وطعامه ومسكنه، فكان يلبس أحسن الثياب ويأكل أطيب الطعام حتى كان يأكل اللحم يومياً وكان بيته مزوداً بأفخر الرياش، وكان يقول: ما أحب لامرئ أنعم الله عليه ألا ترى أثر نعمته عليه وخاصة أهل العلم ينبغي لهم أن يظهروا مروءتهم في ثيابهم إجلالاً للعلم.

سلوك مالك مع العامة:

كان له تقاليد أختص بها لنفسه وعادات استنها لشخصه، فكان لا يراه أحد إلا متعمماً، لابساً ثيابه وما رآه أحد يشرب أو أكل وكان يرى أنه لا يجمل للعالم أن يذهب للسوق لشراء حاجاته. ومن طريف ذلك أنه كان رأى أبى حنيفة أيضاً.

مصادر أمواله:

كان مالك ينعم بدخل كبير يهيئ له أسباب الحياة الناعمة حيث اشتغل في أول حياته بتجارة البز فلم تف بمتطلبات ويسقط منه حتى بقى هذا. وقال مالك: عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه فسميته(الموطأ).

مكانته:

اختلفت آراء العلماء فيه فقال قوم بأنه مقدم على الصحيحين لمكانة الإمام مالك رحمه الله ولما عرف عنه من التثبت والتمحيص، وممن ذهب هذا الرأي: ابن العربي، وهو رأى جمهور المالكية.

ومنهم من جعله في مرتبة الصحيحين، ومنهم من رأى مرتبته دون مرتبة الصحيحين، وهو رأى جمهور المحدثين، إلا أنهم لم يعتدوا بالمرسل والمنقطع وما عدا المتصل.

معنى الموطأ في اللغة:

قال المجد في القاموس: وطئه بالكسر يطأه داسه كوطأة وتوطأة ووطأه، هيأه، سهله كوطأة في الكل وقيل لأبى حازم الرازي: موطأ مالك لم سمى الموطأ فقال: شئ صنعه ووطئه الناس، حتى قيل موطأ مالك. والموطأ لغة هو المنقح. ولبث ينقح في الكتاب سنين عددا وأخذ منافسوه يخرجون كتباً كثيرة في الأحاديث وآثار الصحابة أسموها الموطأت فقيل له: شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب وقد شركك فيه الناس وعملوا أمثاله، وأخرجوا ما عملوا فقال: ائتونى بما عملوا فأتو بها، فلما فرغ من النظر فيها قال: "لا يرتفع إلا ما أريد به وجه الله" أما تلك الكتب فكأنما ألقيت في الآباء وما يسمع بشيء منها يذكر بعد ذلك.

سبب تأليفه وزمنه:

ألف الموطأ في أواخر عهد المنصور وكان ذلك في سنة ١٤٨هـ وكان سبب ذلك كما روى الشافعي أن أبا جعفر المنصور بعث الحياة فاشتغل في تجارة أخرى، ولم يكن هو نفسه الممارس للتجارة حين غلبت الصفة العلمية على شخصه. وقد واجه صعاباً مالية في أول حياته، ولكنه عاش عيشة مترفة حيث أغرقه خلفاء الدولة العباسية بالعطايا.

أسرة الإمام مالك:

تعرف منهم أبناءه الأربعة: ثلاثة بنين وفتاة. فأما البنون فهم يحيى، محمد، حماد. أما الابنة فهي فاطمة وقد حفظت فاطمة الموطأ ويذكر أنه كان له ابن لا يجلس لمجلس أبيه ولا يستمع إليه يخرج ويدخل. وعلى يده طائر الصيد وفى رجله نعل كيسانى. وكان يألم مالك لذلك ويلتفت إلى تلاميذه ويقول: إنما الأدب أدب الله. هذا ابني وهذه ابنتي.

تقديس مالك للمدينة وحرصه وإجلاله للعلم:

كان رضى الله عنه -يقدس المدينة المنورة ويجلها ولا يركب فيها دابة ويقول في ذلك: كيف أطأ بحافر دابة أرضا تضم حدث رسول الله ﷺ وكان يدقق في اختيار الثقاة من رواة الحديث. وكان إذا حدث عن رسول الله ﷺ توضأ وتهيأ ولبس أحسن ثيابه ولم يكن يجلس على المنصة إلا إذا حدث حديث رسول الله ﷺ وكان يوضع عود بالمجلس فلا يزال يبخر حتى يفرغ الحديث الشريف.

وكان يحفظ للعلم وقاره وللعلماء مكانتهم، فقد طلب إليه الخليفة العباسي هارون الرشيد أن يأتي إلى أولاده يعلمهم فأجابه مالك: يا أمير المؤمنين إن هذا العلم خرج من بينكم فإن أعززتموه عَزَّ، وإن أذللتموه ذُلَّ، العلم يؤتى له ولا يأتي، فقال الخليفة: صدقت، ثم قال لولديه: اخرجا إلى المسجد حتى تسمعا مع الناس، فقال مالك: بشريطة ألا يخطيا رقاب الناس ويجلسا حيث ينتهي بهما المجلس فحضر المسجد على هذا الشرط.

مالك والموطأ:

وقد صنف مالك الموطأ وتوخى فيه القوى من أحاديث أهل الحجاز وفرجه بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وقد وضع مالك الموطأ على نحو

عشرة آلاف حديث فلم يزل ينظر فيه كل سنة إلى مالك لما قدم المدينة وقال له: إن الناس قد اختلفوا في العراق فاصنع للناس كتابا يجمعهم، فوضع الموطأ.

وفى رواية لغير الشافعي أنه قال له مع ذلك: اجتنب فيه شواذ ابن عباس وتشددات ابن عمر ورخص ابن مسعود، فقال له مالك: ما ينبغي يا أمير المؤمنين أن تحمل الناس على قول رجل واحد يخطئ ويصيب. وقد كان المنصور معنياً بأمر الحديث ودراسته. وقد أخرج ابن عبد البر أن أول من عمل كتاباً بالمدينة على معن الموطأ من ذكر ما أجمع عليه أهل المدينة عبد العزيز بن عبد الله ابن سلمه الماجشون المتوفى ١٦٤ هـ ونظر فيه مالك قبل أن يضع الموطأ.

رواياته وأحاديثه وشروحه:

من أشهر الأئمة الذين سمعوه من مالك: الأوزاعي، الشافعي، محمد ورواية محمد له هي إحدى روايات الموطأ المشهورة المعتبرة وقد عنى مالك بتأليفه وتدوينه حتى قيل: إنه مكث فيه أربعين سنة. ومنهم: معد بن عيسى الفزار، عبد الله بن مسلمة بن قعنب المدني عبد الله بن نافع، إسحاق بن إبراهيم الحنينى، سعيد بن إبراهيم الحنيني، سعيد بن داود فاطمة بنت الإمام، وأيوب بن صالح، مطرف بن عبد الله وعتيق بن يعقوب، مصعب بن عبد الله الزبيري (من أهل المدينة) ويحيى بن قزعة، الشافعي (من أهل مكة).

عبد الله وهب، عبد الرحمن بن القاسم، ذو النون المصري سعيد بن كثير الأنصاري، عبد الرحيم بن خالد (من أهل مصر) وعبد الرحمن بن مهدى البصري، قتيبة بن سعيد بن جميل البلخي أحمد بن منصور الحراني، إسحاق بن موسى الموصولي (من أهل العراق) وزياد بن عبد الرحمن الملقب شيطون، سعيد بن الحكم، عبد الرحمن بن هند، سعيد بن عبدوس (من أهل المغرب والأندلس) وأسد بن الفرات، خلف بن جرير بن فضالة (من القيروان) وعلى بن زياد، عيسى

بن شجرة (من تونس)، خالد بن نزار الأيلي، مروان بن محمد، عتبة بن حماد الدمشقي (من الشام).

وشروحه فمن شرحه: ابن عبد البر في (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) وهو كتاب لم يتقدم أحد إلى مثله. وأبو الوليد بن الصفار وسماه (الموعب)، ومحمد بن أبي زمنين وسماه (المغرب)، وغيرهم كثير.

شرح غريبه: وممن ألف فى شرح غريبه: البرقي، أحمد ابن عمران الأخفش، أبو القاسم العثماني المصري.

في رجالة: القاضي أبو عبد الله بن الحذاء، البرقي، أبو عبد الله مفرع، أبو عمر الطلمنكي.

سنده: وألف مسند الموطأ قاسم بن أصبغ، أبو القاسم الجوهري، وأبو الحسن القابسي في كتابه (الملخص).

شواهده: ألف القاضي إسماعيل شواهد الموطأ.

اختلاف الموطآت: ألف أبو الحسن الدارقطني كتاب (اختلاف الموطأت)، وكذا القاضي أبو الوليد الباجي وغيرهم.

نسخ الموطأ: ذكرها الإمام عبد الحي اللكنوي في مقدمة (كتابه التعليق للمجد على موطأ محمد) وكانوا (١٤ نسخة).

المفهومة منهم على الإطلاق في عصرنا هي نسخة يحيى بن يحيى المصمودي نسبة إلى مصمودة قبيلة من البربر..

هل الموطأ كتاب فقه أم كتاب حديث:

ويرى الدكتور على حسن عبد القادر في كتابه (نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي) ص (٢٤٤ - ٢٥٢) أن الموطأ - إذا استثنينا المجموع لزيد - يعد أول كتاب فقهي وصل إلينا في الإسلام، وأنه لا يمكن أن يعتبر كتاب حديث ويتلخص ما ذكره في:

١- مالك لم يكن محدثاً. ٢- موطئه كتاب فقه.

أما أنه كان غير محدث فهذا بحق عليه، فقد كان مالك من كبار محدثي عصره وكانوا يقصدونه من مختلف البقاع لأخذ حديثه ولقد كان مع حديثه وإمامته في الحديث فقيها من أئمة الفقه.

فليس كل من يجتهد ويستنبط يدخل في دائرة الفقه ويخرج من دائرة الحديث والعكس صحيح. وهو مثله مثل سفيان الثوري الذي كان أمير المؤمنين في الحديث وفى الوقت نفسه فقيها كبيراً.

أما أن الموطأ ليس كتاب حديث فينقصه عناية العلماء به على اختلاف مذاهبهم فهاهم علماء الحنفية والشافعية يشرحونه أما أن أبوابه جاءت طبقاً لمقاصد الفقه وبحوثه فهذا لا يخرجه عن كونه كتاب حديث فها هو البخاري يصنف الصحاح ليكون كتاب حديث ثم يبوبه على أبواب الفقه. وأما عدم عده مع الكتب الستة فذلك يرجع لما أكثره مالك فيه من المراسيل.

مالك والغناء:

الذين يتكلمون في مالك والغناء يشيرون إلى أنه لم يذكر في الموطأ أثراً في تحريم الغناء مع أنه تحدث عن حرمة كثير من الأشياء مما يدل على أنه يجوزه أو لا يقاومه - عندهم - ولهم في ذلك روايات وأياً كان الأمر فإن مالكاً عقد لنفسه حلقة في مسجد النبي ﷺ وهو في نحو السابعة عشرة وكان تحريم الغناء درساً من دروسه ولو وقع ما يلام عليه مالك لما سكت عنه النقدة الشداد من معاصرين أدنى إليهم أن يهاجموه من أن يهادنوه.

وينهى مالك في فقهه عن الغناء ويراه عيبا، والشافعي يراه مكروها وأبو حنيفة يراه ذنباً ولم يمتنع مع ذلك عن الغناء والسماع ومن أصول مالك سد الذرائع التي تؤدى إلى مفسدة.

نمو فقهه ومذهبه:

وقد نما فقه مالك واتبعه وأغناه كثير من المفكرين والمجتهدين والفقهاء وانتشر مذهبه في المدينة المنورة وإفريقية والأندلس والسودان وبعض بلاد مصر.

مرضه ووفاته:

شاء الله أن يمرض الإمام مالك بسلس البول فنقل درسه من الحرم النبوي إلى منزله وواصل العلم والحديث والدرس والإفتاء لنهاية أجله المبارك والأكثرون على أنه مات في الليل الرابعة عشرة من ربيع الثاني سنة ١٧٩هـ ولم يخبر رضى الله عنه أحد بمرضه وسبب انقطاعه عن الحرم النبوي إلا يوم وفاته فقال لزواره: "لولا أنى في آخر يوم ما أخبرتكم بسلس بولي. كرهت أن آتى مسجد رسول الله ﷺ بغير وضوء وكرهت أن أذكر علتي فأشكو ربى".

هذا هو الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة الذي قال فيه الشافعي: - "إذا ذكر الحديث فمالك هو النجم الثاقب".

الإمـام الشـافعـي

نسبـه:

هو عالم قريش أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم ابن عبد المطلب بن عبد مناف الذي حدد معالم شخصيته الحديث الشريف: لا تسبوا قريشا فإن عالمها يملأ الأرض علماً.

اللهم إنك أذقت أولها عقابا، أو وبالا فأذق آخرها نوالا وللحديث رواية أخرى هو قوله ﷺ "اللهم اهد قريشا فإن عالمها يملأ طباق الأرض علما اللهم كما أذقتهم عذابا فأذقهم نوالا ".

لقد عرض العلماء للبحث عن ذلك العالم القرشي الذي تنطبق عليه نبوءة الرسول ﷺ وانتهوا إلى أن الشافعي هو المراد بذلك.

مولده وعصره:

ولد سنة ١٥٠ هـ بغزة وهى السنة التي توفي فيها أبو حنيفة إمام أهل الرأي في العراق، وفي هذا تمازح أحد الفقهاء من المذهب الحنفي وفقيه من المذهب الشافعي. قال الحنفي: "إمامكم كان مخفيا حتى ذهب إمامنا، فقال صاحبه: "ونحن الشافعية تقول لما ظهر إمامنا هرب إمامكم، وقد ولد في عصر كثر فيه الجدل بين أهل الحديث وأهل الرأي، وهو عصر ميز بين العالم أو الفقيه أو بين العلم والفقه، فالعلم هو حفظ القرآن والأحاديث والآثار للصحابة. أما الفقه فهو إعمال الفكر والاجتهاد والتأمل وشحذ العقل لاستنباط حكماً شرعياً فيما لا نص فيه، وقد يجمع الرجل الواحد بين العالم والفقه وهؤلاء هم الأئمة العظام.

نشأته وحياته وعصره:

ولد الشافعي من أب قرشي نسيب ولكنه مات والشافعي في المهد ونشأ فقيراً وقد خشيت أمه أن يضيع نسبه ومعه حقوق قد تدفع عنه العوز فلم ترد بعده عن مقام القرشيين، ولذلك حملته على أن يكون مقامه بمكة.

إن الشافعي في نشأته الأولى عاش عيشة اليتامى الفقراء مع نسب رفيع وأن نشأة الفقير مع النسب الرفيع تجعل الناشئ يتجه في أول عمره إلى المعالي بمقتضى نسبه ما لم يكن فيه شذوذاً أو في تربيته انحرافاً، ولم يكن أحدهما في الشافعي، بل كانت ذات التنشئة تتجه به إلى السمو والرفعة من تلقاء نفسها وأن الفقر مع هذا العلو النسبي يجعله قريبا من الناس يحس بإحساسهم ويندمج في أواسطهم، ويتعرف دخائل المجتمع ويستشعر مشاعره.

في ظل مالك ورعايته:

لقد وصل إليه خبر إمام المدينة مالك بن أنس رضى الله عنه ولم يرد أن يذهب إلى مالك خالى الوقاص من علمه، فاستعار كتاب مالك من رجل وقرأه، ولزم الشافعي شيخ الفقهاء مالك بن أنس وعاش في كنفه وكان يرحل أحياناً مع هذه الملازمة إلى الصحراء يدرس القبائل العربية.

والـدتـه:

هي فاطمة بنت عبد الله المحصن بن الحسن المثنى به الحسن ابن على بن أبى طالب وقيل بنت عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على ابن أبى طالب فهو هاشمي الأب والأم.

على أن هناك رواية تذكر كونها هاشمية وتزعم أنها أزدية وكانت هذه الأم ذات حذق وذكاء وتفقه في الدين وقوة عارضة وقدرة على الاستنباط وذات مرة تقدمت مع امرأة أخرى لتدلى بشهادة أمام القاضي وأراد القاضي أن يفرق بين المرأتين، فاعترضت عليه قائلة: ليس لك، لأن الله تعالى يقول ﴿ .. **أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ ..** ﴾ البقرة/٢٨٢].

ولقد رأت هذه المرأة الفاضلة أن المكان الأمثل لتربية ولدها هو مكة لا غزة حيث أهله فرحلت من عسقلان إلى مكة وكان عمر الشافعي عامين .

صفاته وشخصيته العلمية ورحلاته:

وصف ابن الصلاح الإمام الشافعي قائلا: كان رضى الله عنه طويل سائل الخدين قليل لحم الوجه طويل العنق طويل القصبة أسمر خفيف العارضين يخضب لحيته بالحناء حمراء قانئة حسن الصوت حسن السمت عظيم العقل حسن الخلق وهيبا نصيحا من أذرب الناس لسانا إذا خرج لسانه بلغ أنفه".

وقيل إنه كان يختم القرآن كل يوم مرة وكان يختمه في رمضان ستين مرة في الصلاة ويقسم الليل أثلاثا - ثلث للعلم وثلث للصلاة وثلث للنوم .

شخصيته العلمية وصفاته:

١- كان قويا في إدراكه العلمي وفي ذاكرته وحاضراً للبديهة.
٢- كان قوى البيان واضح التعبير بين الإلقاء، فصيح اللسان.
٣- كان ناقد البصيرة، قوى الفراسة، وهى صفة لازمة للأستاذ المجيد.
٤- كان مخلصاً في طلب الحقائق، صادق النظر في الاتجاه للحق الذي لا ينبغي سواه، صافي النفس، مستقيم الفكر والعقل وقد لازمه إخلاصه في طلب الحقائق في كل أدوار حياته حتى كان يطلب الحق أنى يكون فإذا اصطدم

إخلاصه للحقائق بإخلاصه لشيوخه آثر الحقائق فلم يمنعه إخلاصه لمالك من أن يخالفه.

وهناك نوع من الإخلاص يخص به الله به صفوة عباده الذين يكونون أسوة للناس وهو الغناء في الفكرة التي اختصها المؤمن وطالب لها ودعا إليها، وقد أكسبه الإخلاص ذكاء قلب، وقوة نفس، وتباعداً عن الدنايا.

واسطة العقد:

إذا كان الإمام أبو حنيفة قد تزعم مدرسة الرأي وإذا كان الإمام مالك قد تبوءا مكانا في مدرسة الحديث، فإن الشافعي واسطة العقد بينهم من حيث التطور والتجدد فقد أخذ من كلا المنهجين بطرف وهضمهما. حتى أن العالم الفاضل الشيخ محمد أبو زهرة يرى أنه قد جمع بين فقه أهل الرأي وفقه أهل الحديث بمعايير معتدلة.

الشافعي معلماً:

يقول ابن حنبل في الشافعي: الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة واختلاف الناس والمعاني والفقه.

ويقول الجاحظ: نظرت في كتاب الشافعي فإذا هو در منظوم لم أر أحسن تأليفاً منه، فإذا ما كان الأمر متصلاً بالحديث وجرحه وتعديله في كتب الشافعي، فإن يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل يعطينا الجواب بأن طعنا واحداً لمن يوجب في روايات الشافعي وقيل: (من هو أستاذ الأسانيد، قيل الشافعي).

رحلاته العلمية وعصره:

دخل الشافعي العراق، وأخذ عن أهل الرأي علمهم، ونظر فيه وجادلهم وحاجهم، ورحل إلى المدينة حيث أخذ عن مالك بن أنس فلازمه وأخذ عن صاحب أبى حنيفة محمد بن الحسن جملاً ليس فيها شئ إلا وقد سمعه عليه، ثم دخل مصر سنة ١٩٩ هـ، فأقام بها إلى أن مات، يعلم الناس السنة وفقه السنة والكتاب وناظر مخالفيه وحاجهم وكان أغلبهم من أتباع شيخه مالك فبهرهم الشافعي بعلمه وهديه وعقله، ولزموا مجلسه وأخذوا عنه الشعر واللغة والإنسان وعلم الكتاب وعلم الحديث وأفادهم أيضاً في الطب.

قال عنه أحمد بن حنبل لما عتب صاحبه عليه حين ترك مجلس ابن عيينة شيخ الشافعي فقال: "اسكت إنك إن فاتك حديثاً يعلو وجدته يزول، وإن فاتك عقل هذا أخاف ألا أجده ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله من هذا الفتى.

وفي البيت الحرام: طلع تلميذ مالك على آرائه ومنهاجه في الفقه حيث وازن بين الآراء المختلفة وخرج منها بمنهج خاص به، وخرج بقواعد الاستنباط وهو ما سمى من بعد أصول الفقه.

إلى بغداد.. مكث الشافعي في مكة وكان يأتي إليه العلماء من كل فج عميق وجاءه العراقيون وغيرهم، وكان لابد أن ينشر ما وصل إليه في البلاد، كذا رحل إلى بغداد ١٩٥هـ واسترعى نظر كل العلماء فيها واحتف به التلاميذ وبالرغم من أن بغداد في تلك الفترة كانت قصبة الدولة الإسلامية، وعش العلماء إلا أنه لم يمكث بها.. ففي هذا الأوان ١٩٨ هـ قد آلت الخلافة إلى المأمون بن الرشيد وقد كان المأمون يدنى إليه المعتزلة وكان الشافعي غير راض عنهم، ولأن الغلبة في عهد المأمون كانت للعنصر الفارسي وما كان لهذا القرشي أن يرضى بالمقام في ظل سلطان فارسي، وقد عرض المأمون عليه القضاء فاعتذر. وشد الشافعي إلى مصر الرحال ووصل إليها سنة ١٩٩هـ ، وقال عندما أراد السفر إلى مصر:

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر ومن دونها قطع المهامة والفقر
فوالله ما أدرى الفوز والغنى أساق إليها أم أساق إلى القبر

ولقد أجاب القدر عن سؤاله فساقه إليهما معاً فقد نال الغنى إذ فرض ذلك الوالي العربي عطاءً له من سهم ذوى القربى من رسول الله ﷺ ناله بشرف نسبه ونال الفوز بنشر آرائه وعلمه وفقهه، ثم ناله الموت فكان مسوقاً إلى قبره بمصر. هذه رحلاته العلمية، أما عن عصره فكان مزدهراً بالعلوم وابتداء الدواوين ووضع الأصول لكل علم من العلوم، فدون أخلاق أبى الأسود الدؤلي علم النحو والأصرفي وغيره يضبطون روايات الشعر، ووضع الخليل ابن أحمد الفراهيدي علم العروض، وأخذ الجاحظ يوجه الأنظار إلى طرائق النقد الأدبي.

وقد تكونت المدارس المختلفة للفقه وأخذ الفقه طريقة للتدوين، أضف إلى ذلك ترجمت العلوم اليونانية والفارسية والهندية .

زواجه :

وقد تزوج الشافعي من أموية وكان أسمها حميدة بنت نافع بن عتبة بن عمرو بن عثمان بن عفان، فهي عثمانية وعثمان أموي وأنجبت له أبا عثمان محمداً الذي صار قاضياً لحلب وأنجبت له أيضاً فاطمة وزينب .

مكانة الشافعي ومناقبه :

ذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أن الشافعي كان كثير المناقب جم المفاخر فتقطع القرين. قال عنه ابن حنبل ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعي وحكى الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن الحكم قال: لما حملت به أمه رأت كأن المشترى خرج من فرجها حتى أنقض بمصر ثم وقع في كل بلد منه شظية فتأول أصحاب الرؤيا أنه يخرج منها عالم يخص

علمه أهل مصر ثم يتفرق في سائر البلدان. وقال الشافعي: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي: يا غلام ممن أنت؟ فقلت: منك. فقال: أدن مني، فدنوت منه، فأخذ من ريقه وفتحت فمي فأمر من ريقه على لساني وفمي وشفتي وقال: امش بارك الله فيك.

أصول فقهه ومصادره:

استقى الشافعي فقهه من خمسة مصادر، وقد نص عليها في كتابه الأم، فقد قال: العلم طبقات شتى، الأولى للكتاب والسنة إذا ثبتت، ثم الثانية الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة والثالثة أن يقول بعض أصحاب رسول الله ﷺ قولاً ولا نعلم له مخالفاً منهم، والرابعة اختلاف أصحاب النبي ﷺ في ذلك.

والخامسة القياس ولا يصار إلى شئ عند الكتاب والسنة وهما موجودان، وإنما يؤخذ العلم من أعلى. ولقد أبطل الشافعي مبدأ الاستحسان وألف في ذلك كتاباً أسماه إبطال الاستحسان وهو المبدأ الذي أخذ به أبو حنيفة ومالك ويعلل ذلك بقوله: إن الفقيه يأخذ به بعداً استشارة الكتاب والسنة والأثر والإجماع والقياس فيكون قد أخذ بما استحسنه هو وليس بما أعطاه الدليل من الكتاب والسنة. والاجتهاد على أصل من الشرع أو نص من الكتاب والسنة يكون باطلاً.

حبه لآل البيت ورأيه في الإمامة وشرطه:

يقول الشافعي في الصلوات والنوافل "

يا آل بيت رسول الله حبكم … فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم … من لم يصل عليكم لا صلاة له

وعلى الرغم من حبه لهم وحديثه عنهم وجهره بحبهم إلا أنه ليس فيه ذرة من تشيع مذهبي لا يعترف بخلافة الراشدين الثلاثة، ولكنه يحب الراشدين الأربعة ويجعلهم مصدراً للهداية، وإن كان متشيعاً ما تزوج من أموية. أما عن رأيه

في الإمامة وشرطه: فيرى أن الإمامة في قريش دون تعيين بعينها والعبرة حسب ما ذكر الإمام أبو زهرة في أمرين كون المتصدى لها قرشيا؛ اجتماع الناس عليه سواء كان الاجتماع سابقاً على إقامته خليفة كما هو الأمر في حالة الانتخاب أو البيعة أم لاحقاً كحال المتغلب بالسيف. ولعله رأى خطير يصدر من إمام جليل.

رأيه في الخلاف بين على ومعاوية:

كان يقول: إن عليا كان على الحق ومعاوية ما كان على الحق بل كان باغياً وكذلك كان الخوارج وقيل لأحمد بن حنبل أن يحيى بن معين ينسب الشافعي إلى الشيعة، فقال أحمدَ ليحيى بن معين كيف عرفت ذلك؟ فقال يحيى: نظرت في تصنيفه في قتال أهل البغي، فرأيته قد احتج من أوله إلى آخره بعلي بن أبى طالب فقال أحمد: يا عجبا لك!! فبمن كان يحتج الشافعي في قتال أهل البغي، فإن أول من ابتلى في هذه الأمة بقتال أهل البغي هو على بن أبى طالب- كرم الله وجهه-.

انتشار المذهب الشافعي:

انتشر في مصر التي تعتبر الموطن الأصلي والأول له بعد تغلبه على المذهبين الحنفي والمالكي بها إلى أن جاءت الدولة الفاطمية فأبطلت العمل به وجعلته شيعيا حتى ظهور نجم الأيوبيين الذي أحيا المذاهب المعروفة وجعل للمذهب الشافعي الحظ الأوفر من العناية ثم المماليك إلى أن جاءت العثمانية فأجلت المذهب الحنفي، وعلى الرغم من المكانة التي فقدها المذهب الشافعي في مصر إلا أنه قد تغلغل في نفس الشعب في ريف مصر في عباداتهم.

وقد انتشر المذهب الشافعي في شرق أفريقية ومعظم بلاد الشام وبين الأكراد، وفي إندونيسيا والفلبين، وأكثر إمارات الخليج العربي، وهو المذهب المعروف عند مسلمي شرق أسيا.

جملة مؤلفات الشافعي :

لقد أحصى ياقوت الرومي الشافعي مائه وسبعين وأربعين كتابا وسجل ابن حجر له ملخصاً عن البيهقي فيه ذكر المؤلفات.

الرسالة القديمة - الرسالة الجديدة - اختلاف الحديث - جماع العلم - إبطال الاستحسان - أحكام القرآن - بياض الفرص - صفة الأمر والنهى - اختلاف مالك والشافعي - اختلاف العراقيين - اختلافه مع محمد بن الحسن - كتاب على وعبد الله - فضائل قريش - كتاب السنة - كتاب المبسوط - المنثورات - كتاب الأم. وله كتاب اسمه كتاب السير، وله كتاب هام هو كتاب الحجة. ومن أشهرهم كتاب الأم: يحتوى على كتب فكل باب فيه كتاب .

وفـاتـــه :

كانت وفاته ليلة الجمعة ودفن يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب سنة ٢٠٤هـ الموافق ١٩ يناير ٨٢٠م، ودفن بمصر وقبره معروف مشهور إلى الآن وكان قد عاش ٥٤ سنة.

ولقد قيل إنه مات إثر ضربة طائشة من رجل طائش يقال له قتبان من أتباع مالك وقد ذكر هذا في معجم الأدباء لياقوت الحموي ويقول الإمام محمد أبو زهرة أنه يستبعد ذلك لأن الوالي لم يكن ليسكت على من ضرب الشافعي وسواء صحت هذه الرواية أم لا فإنه من المقرر أن مرضه الذي مات به البواسير هو السبب، فقد أصيب بنزيف شديد ولقي ربه راضياً مرضياً وكان قد ترك - رضى

الله عنه - ثروة مثرية، لا تزال معيناً خصباً للفقه وقد روى ذكره بها في المشارق والمغارب.

والحق أنه إذا كانت الحضارة الغربية تقوم على الفكر الأرسطي من علوم مدرسة أرسطو، فإن الأصول التي وضعها الشافعي قد نظمت التفكير الفقهي في الحضارة التشريعية في الإسلام.

الإمـام أحمـد بـن حنبـل

التعـريــف بـــه:

هو أحمد بن حنبل بن هلال الإمام أبو عبد الله الشيباني الذهلي. وتتجلى مكانته بشهادة الشافعي ناصر السنة حينما خرج من العراق وهى مدينة العلم والورع فيقول: خرجت من العراق فما نزلت رجلاً أفضل ولا أورع ولا أفقه من ابن حنبل. ويقول إسحاق بن راهويه: "أحمد حجة بين الله وبين عبيده في أرضه".

مولده ونسبه: ولد الإمام الجليل ١٦٤ هـ، وهو الإمام الذي طبقت شهرته الآفاق أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد ابن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف ابن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاية بن مصعب ابن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أمضى بن مدعى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيباني المروزي الأصلي.

يلتقي نسبه مع الرسول ﷺ في نزار بن معد بن عدنان وأشتهر بابن حنبل مع أن حنبل جده وليس أباه، لأن جده هنا كان معروفا مشهوراً وعمل والياً على سرخس من أعمال خراسان في العهد الأموي وناصر الدعوة العباسية عند ظهورها وكان والده مجاهداً غير مشهور ومات في ريعان شبابه فعرف بابن حنبل نسبة إلى جده، وأمه اسمها صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني وجدها هذا كانت تنزل عليه قبائل العرب فيضيفهم ويكرم وفادتهم وقد نزل به محمد بن حنبل فزوجه من صفية حفيدته من بنته ميمونة، ثم رحل الزوجان إلى خراسان حيث كان الزوج يرابط بمرو ثم عاد بها إلى بغداد فولد الإمام أحمد في بغداد مدينة العلم في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة ١٦٤ هـ، وقيل إنه ولد بمرو وحمل إلى بغداد وهو رضيع ويرجع د. أحمد عمر هاشم الرأي الأول مستنداً لمقولة محمد بن أحمد بن

حنبل حيث قال (سمعت أبي يقول ولدت في سنة أربع وستين ومائة في أولها في ربيع الأول وجئ بي حملاً من مرو، وتوفي أبى محمد بن حنبل وله ثلاثون سنة فوليتني أمي).

نشـأتـه العمليــة:

في مدينة العلم بغداد نشأ الإمام أحمد وتربى وحملت أمه تبعات هذه النشأة، فهي التي كفلته وقامت برعايته، لأن أباه مات في فجر شبابه ولم يرث الإمام أحمد من أبيه سوى منزل يسكنه وعقار قليل لا يغل عليه إلا سبعة عشر درهما كل شهر، فكان يعمل بيده إذا أعوزته الحاجة .

ابتدأ تلقيه الحديث ١٧٩ هـ وهو في الخامسة عشر من عمره فطلبه في بغداد حتى ١٨٦ هـ، ثم رحل إلى البصرة ثم الحجاز.

يقول أحمد: حججت خمس حجج منها ثلاث راجلاً، وأنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهما وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماش فجعلت أقول: " يا عباد الله دلوني على الطريق، حتى وفقت إلى الطريق " طاف أحمد في الأقاليم الإسلامية طالباً الحديث لا يتذكر الكثير من التعب يحمل حقائب كتبه على ظهره . ومن المعروف أن هذا الإمام الجليل اجتمعت عوامل عديدة أثرت في تكوينه العلمي فما هي:

عوامل أثرت في تكوينه العلمي:

١- ما فطر عليه من حب للعلم وتحصيل له. فكان من شدة شغفه به يخرج أحياناً قبل الفجر فتأخذ أمه بثيابه ليبقى ريثما يصبح الصباح.

٢- توصية أسرته له حيث كانت تأمل فيه كثيراً فوجهته أولاً إلى حفظ القرآن الكريم ثم إلى علم اللغة والحديث وسيرة الرسول ﷺ والصحابة والتابعين.

٣- ذاكرته الحافظة القوية وجهها إلى حفظ الحديث إسناداً وإلى فتاوى الصحابة والتابعين .
٤- ورعه وتقواه الذي فطر عليه منذ صغره وثقته وأمانته.

ومن المعروف أنه كان قليل المال وعندما طلب العلم باليمن مع ابن راهويه عند عبد الرازق وقنيت نفقته عرض عليه اسحق شيئاً من المال صلة أو قرضاً فأمتنع عن قبول ذلك واشتغل بصناعة النسيج وفي هذا، يدل على عزة النفس، فقد أكتفي بثروة العلم عن ثروة المال.

والـدتـه:

إنها صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك بن شيبان، فهي شيبانية مثله وهى ليست من عامة شيبان وإنما هي حفيدة لواحد من ساداتهم هو عبد الملك بن سوادة بن هند الشيبانى الذي كان من وجوه بنى عامر لقد وهبت صفية حياتها كلها لطفلها اليتيم، واختارت من أجله الترمل في سن الشباب نهجاً لحياتها. وكانت دون الثلاثين حين مات زوجها وكان أحمد لا يخفي أثر أمه على سلوكه بعد أن كبر وشأن البررة من الأبناء كان أحمد يطيع توجيهاتها ويخشى مخالفاتها. وكان أحمد وحيداً بلا أخ أو أخت.

رحـلاتـه:

ابتدأ رحلاته العلمية في السنة السادسة والثمانين بعد المائة، فرحل المراحل البعيدة وركب المركب الصعب واحتمل خشونة العيش فرحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة ورحل إلى الحجاز خمس مرات والتقى بالشافعي - رضى الله عنه - فيها ولقيه أيضاً في بغداد، وكان يستعذب

المشقة في طلب الحديث وكان يخلص النية في سبيل الله مستمراً في دأبه لطلب الحديث حتى يعد أنه بلغ درجة الإمامة ولما سئل في ذلك قال "مع المحيرة إلى المقبرة".

صفاتــه ومعيشتــه:

وصف الذهبي أحمد بن حنبل نقلاً عن حرملة تلميذ الشافعي بهذا القول "عالم العصر وزاهد الوقت ومحدث الدنيا ومفتى العراق وعالم السنة وباذل نفسه في المحنة وكل أن ترى العيون مثله.. ". وكان أسمر وقيل أنه طويلاً، حسن الوجه في لحيته شعرات سود يلبس غليظ الثياب إلا أنها بيض معتم كما يلبس الإزار لعلوه سكينة ووقار وخشية نظيفاً في ملبسه أنيقاً في هيئة.

كان ذا حافظة قوية واعية وهى صفة المحدثين عامة، كان صبوراً جلداً قوى الإرادة صادق العزيمة فاحتمل الترحال وكان نزيهاً واسع المعاني وكان مخلصاً في طلب علم الكتاب والسنة وكان ذا هيبة مع ثقة مطلقة فكان رجال الشرطة يهابونه عندما يساورون داره، وكان حسن العشرة ولم يكن فظاً غليظاً بل كان طلق النفس والوجه.

معيشتــه:

عاش أحمد فقيراً محدوداً ولم يكن وفيراً وكان يؤثر الخصاصة على أن يكون ذا مال لا يعرف مورده وكانت تضطره الحاجة لأن يعمل بيده ليكسب قوته أو يؤجر نفسه في عمل يعمله إذا انقطع به الطريق.

ومن جهة مورد رزقه فقد ذكر ابن الجوزي: كان أحمد - رضى الله عنه- قد خلف له أبوه طرزاً وكان يأكل من غلة تلك الطرز ويتعفف عن الناس بها، ولعل هذه الطرز هي التي عبر عنها بالحوانيت في كتب أخرى.

أزواجه وأولاده:

كانت أولى زوجاته هي (العباسة بنت الفضل) حسبما ذكر حفيده وحفيدها زهير بن صالح، وكانت عربية من بغداد. عاشت معه (٣٠ سنة) أنجبت منه ولدها صالحاً ولما توفيت أم صالح تزوج زوجته الثانية(ريحانة) وأنجبت منه ولداً واحداً هو عبد الله، فلما ماتت اشترى جارية اسمها (حُسْن) فأنجبت له زينب ثم توأمين هما الحسن والحسين فماتا بعد ولادتهما ثم ولدت الحسن ومحمداً ثم ولدت بعد ذلك سعيداً.

ومن طرائف الأمور أن حسنا كانت مثالاً للوفاء والإيثار فحينما كان يحتاج الإمام إلى المال كانت لا تبخل بمالها فمرة باعت فردة خلخالها بثمانية دنانير ونصف ومرات تغزل وتصنع ثيابا وتدفع بها إلى السوق كي تباع وتنفق بثمنها في شئون المنزل.

وهكذا كانت الحياة الأسرية للإمام تسعة أولاد من ثلاث زوجات خمسة أولاد وأبنة واحدة، نبغ في الفقه منهم صالح، وعبد الله أما سعيد فقد ولى قضاء الكوفة فيما بعد .

حياته العلمية وشيوخه:

كان العصر الذي نشأ فيه الإمام أحمد هو عصر التدوين والنضج العلمي، ففيه ازدهرت علوم الدين واللغة وغيرها فكان معنياً بتدوين ما يسمعه من الأحاديث وآثار الصحابة، وكان يدون ما يسمعه وكان يتلقى علم الفقه والاستنباط عن الشافعي وغيره حتى أصبح حافظاً للحديث والفقه .

وكان تلقيه من الفقهاء الذين جمعوا بين الحديث والرأي كالقاضي أبى يوسف صاحب أبى حنيفة، ثم انصرف بعد ذلك إلى المحدثين فتلقى الحديث أولاً

ببغداد سنة تسع وسبعين ومائة، واستمر بها سبع سنوات اقتصر فيها على جمع أحاديث علماء بغداد وما يحفظون من الفتاوى.

شيوخه:

١- هشيم بن بشير بن أبى حازم الواسطي. لازمه ٤ سنوات وتعلم منه الكثير من الأحاديث والآثار وكان صاحب تأثير كبير في نفس ابن حنبل.

٢- الإمام الشافعي تلقى دروسه في المسجد الحرام وأعجب ابن حنبل بتفكير الشافعي الفقهي وسعة أفقه العقلي، ولذا يعتبر الإمام الشافعي هو الموجه لابن حنبل بعد أستاذه هشيم.

٣- عبد الرازق بن همام شيخ الحديث بصنعاء رآه في الكعبة وهو يطوف صاحبه يحيى بن معين، فكلمه وأخبره أن ابن حنبل يريد أن يلقاه وجلس ابن حنبل لهذا الشيخ في صنعاء وتعلم أحاديثه .

تلاميذه:

١- عبد الملك الميموني: صاحب المكانة المتميزة في مجلس أحمد وفي قلبه فقد صحبه سبعة وعشرين عاماً واسمه عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون ابن مهران الجزرى (١٨١ - ٢٧٤) وكان حسن الكتابة عن أحمد كثير السماع منه.

٢- أبو بكر المروذي: ألصق أصحابه وأقربهم إليه وأكثرهم حيازة لثقته اسمه أحمد بن محمد بن الحجاج وكان يخدم الإمام حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى فكان هو الذي غمض عينيه وقام على غسله وبعد وفاته غزا في سبيل الله، توفي ببغداد سنة ٢٧٧ ودفن قرب قبر شيخه ابن حنبل.

٣- مهنأ بن يحيى: هو أبو عبد الله مهنأ بن يحيى الشامي الأصل، نزيل بغداد وصحب شيخه ٤٣ عاماً أي نصف قرن تقريباً، وكان كثير السؤال حتى أن شيخه كان يضجر منه.

٤- أبو بكر الأثرم: أحمد بن محمد بن هانئ الطائي البغدادي الإسكافي من أنجب تلاميذ ابن حنبل وأكثرهم زهداً وكان حافظاً للفقه وكتب كثيراً من فقه الإمام أحمد، توفي سنة ٢٦١، وقيل ٢٧٣ هـ.

٥- إبراهيم بن إسحاق الحربي: كان أكثر تميزاً وأعمق ثقافة وأوسع شمولاً من أصحاب الشيخ، وأصله من " مرو " وأمه عربية تغلبية وأخواله من نصارى تغلب ولقب بالحربي نسبة إلى منطقة الحربية ببغداد، عاش ٨٧ عاماً، ولد عام ١٧٨ هـ وتوفي ٢٨٥ هـ. وخلف من الكتب والآثار الكثير.

٦- صالح وعبد الله ابنا الإمام أحمد، وهما أكبر أبنائه، ويكبر صالح أخاه عبد الله بعشر سنين، ولد ٢٠٣ هـ وتوفي ٢٦٥ هـ ويعتمد عليه في رواية قصة حياة أبيه.

أما عبد الله فيكنى أبا عبد الرحمن وكان يقص أخبار أبيه أيضاً أما في العلم فعبد الله كان أوفر خطاً من صالح فيه .

محنة الإمام ابن حنبل:

قال فيه ابن حيان: أغاث الله به أمة محمد ﷺ وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله. فقد كان له موقف تجلت فيه الشجاعة الأدبية واحترامه لاقتناعه السليم وتمسكه بالسنة والمحافظة عليها.

تمثلت هذه المحنة في مشكلة (خلق القرآن) حيث زين المعتزلة للخليفة المأمون الذي كان متعصباً لهم زينوا له مقولة خلق القرآن فأقتنع بتلك الفكرة

وحمل الناس على الإيمان بها واستمرت الفتنة إلى عهد المتوكل الذي كان محباً للسنة وأهلها فرفع المحنة وكتب ألا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن. وخلال هذه المحنة لقي أحمد بن حنبل أعنف صنوف العذاب ولكنه استعذب هذا العذاب في سبيل الدين والعقيدة، وقيل عنه: أدخل الكير فخرج ذهباً أحمر وهكذا أصحاب العزائم القوية واليقين الراسخ لا تزيدهم الفتنة إلا قوة في الحق وزيادة في الإيمان.

أصول فقهه وطريقته:

أصول أحمد: نصوص القرآن والسنة وأقوال الصحابة وآثارهم ثم القياس، وكان لا يلجأ إلى القياس إلا إذا لم يجد حكماً في نص القرآن أو السنة أو أقوال السلف، والسلف عنده هم الصحابة والتابعون. فان اختلفت أقوال الصحابة اختار أقربها إلى نصوص القرآن والسنة وإن اختلفت أقوال التابعين اختار منها ما هو أقرب إلى القرآن والسنة أو ما وافق قول الصحابة مجتمعين أو أقرب أقوالهم إلى النصوص.

أما الإجماع فهو يرى أنه لم يتعقد بعد الصحابة، وقال في ذلك: ما يدعى الرجل فيه الإجماع فهو كاذب لعل الناس اختلفوا. ما يدر به ؟ فليقل: لا نعلم مخالفاً. أما الصحابة فهم معروفون بأسمائهم ولكنه لا يتصور حدوثه، ولهذا اعتمد على القياس بعد النصوص وآثار الصحابة.

على أنه يعتمد القياس أصلاً من أصول فقهه، وإنما يفعل ذلك اتباعاً للسنة والسلف الصالح ويقول: القياس لا يستغنى عنه الرسول ﷺ أخذ به وأخذ به الصحابة من بعده.

طريقة أحمد في الفقه:

طريقة أحمد في الفقه وطريقته في الحياة توأمان متشابهان، وتتلخص الطريقة في نواهيه الثلاث:

١- لا فتوى بغير دليل: يقول أحمد لتلميذ له: (إياك أن تفتني في مسألة ليس لك فيها إمام) وطالما قال لسائله (لا أدرى) وأحياناً يحيل الجواب على من يحسنه، وقد يطول نظره في المسألة فهو يقول عن نفسه (ربما مكثت في المسألة سنين قبل أن أعتقد فيها شيئاً) وعندما طلب منه أحدهم أن يكتب إليه العلم كله، كتب إليه (إن العلم كثير ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم كاف اللسان عن أعراضهم لازقاً لأمر جماعتهم، فأفعل).

٢- لا تقليد: الاجتهاد فرع من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأولى الناس بالاجتهاد من يتصدى للفتيا فليس فقيها من يقلد غيره ولا يجتهد رأيه، ولقد سن الرسول ﷺ فيه سننا متواترة بعمله وسجلها بقوله للناس(لا يكن أحدكم دافعه يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم) ولا يتصور أحمد فقيها إلا مجتهداً قال لرجل: (لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الأوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا) والإتباع غير التقليد/ الأول التزام ما تثنيه حجة والثاني رجوع إلى قول لا يعرف المقلد حجة لقائله.

٣- لا تدوين للفتاوى: لعل من أعظم ضروب التضحية عزوف المفكر عن تدوين فكره، وهوى المفكر بنيات فكره، وأحمد لم يكتب بيده فقها إلا مضطراً يوم صلى وراء إمام أساء الصلاة فكتب إليه يعلمه ولما رأى ذات

يوم في مجلسه إنساناً يكتب الفتاوى ومعه ألواح في كمه قال له: لا تكتب رأيي لعلى أقول الساعة بمسألة أرجع عنها غداً .

ومع اختلاف الروايات ظاهر أن أحمد كان يكره كتابة فتاواه فعلاً وإن أجازها في أحوال ذلك يرجع إلى أسباب خوف وأسباب رجاء كمثل أن يسئ المدونون التدوين ما دام الشيخ لا يملى أو أن يختلفوا فتتبذر بذور خلاف جديدة في فقهه أو أن يرجَع عن رأيه ولا يرجع المدونون أو يلتمسوا المال والجاه بتدوين فتاواه ولعل أسباب الرجاء كانت أهم الأسباب ومنها إلزام تلاميذه استكمال جمع النصوص والآثار وإلزام المتفقهين بالاجتهاد ومحاربة التقليد وكانت بدعة التقليد قد بدأت تفشو في الناس من جيلين سبقا.

مجلسه وحلقته:

كان له مجلسان أحدهما في منزله يحدث فيه خاصة تلاميذه وأولاده، وثانيهما في المسجد يحضره العامة والتلاميذ يمثلون عشر الحاضرين وكان درسه بالمسجد بعد العصر، وكان مجلسه يسود فيه الوقار والسكينة وكان يروى الأحاديث من الكتب التي نقلها من أفواه الرواة خشية أن يضل وكان ينهى عن نقل فتاويه شأنه شأن السلف من الأئمة. وقد أمتنع عن مجلسه بأمر المأمون ثم عاد للجلوس بعد إطلاق محبسه عندما ولى الواثق وانقطع عن الظهور بأمره حتى عهد المتوكل ثم توفي ، وقيل أنه انقطع عن الجلوس فجلس العام لم يسمع منه أحد إلا أهل بيته.

وكان يدخل المسجد فلا يتصدر بل يجلس حيث ينتهي به المجلس ويجلس القرفصاء فهي جلسة السلف الصالح وكان يجلس إليه الآلاف ومنهم الزهاد والمحدثون والفقهاء والأدباء وكان خاشعاً في مجلس العلم خشوع تلاميذه.

مسند الإمام ابن حنبل :

بدأ أحمد الجمع منذ شرع يتعلم الحديث ، أما تصنيف المسند فشرع فيه إذا جاوز السادسة والثلاثين لما رجع من عند الرزاق بن همام كما يقول ابنه عبد الله ، وظل دائم التحقيق والتصحيح له طوال الأعوام الأربعين اللاحقة.

ويمتاز مسنده بالشمول والضخامة فهو يحتوى على ثلاثين ألف حديث غير مكررة وعشرة آلاف مكررة. وليس في رواة أحاديثه منكر أو مكذوب كان يحرص فيه على رواية الحديث موصل السند إلى النبي ﷺ . ولم يحسب حسابا لغضب خلفاء بنى العباس وشهواتهم ضد خصومهم فهو يسجل مناقب بنى أمية أعداء بنى العباس لانتشارها بين أهل الشام وكان مسنده أكثر الكتب ذكراً لأهل البيت وهم خصوم بنى العباس ويمتاز بأنه المسند الذي بلغنا تمامه.

وفـاتــه :

فاضت روح الإمام أحمد بن حنبل بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال وجهاد في سبيل الحق في سنة مائتين وواحد وأربعين في الثاني عشر من ربيع الأول.

التوجهات التربوية عند الفقهاء

أهـداف الاتـجاه الفقهـي:

من أبرز أهداف الاتجاه الفقهي ما يلي[1] :

١- الدفاع عن الكتاب والسنة:- فقد تعرض القرآن الكريم والسنة النبوية لهجوم من الخارج ولمغالاة المغالين من الداخل، من هنا برز دور الفقهاء في الدفاع عن مصادر الإسلام.

٢- نشر العقيدة السمحاء بين المسلمين وغير المسلمين: فمع مرحلة الدفاع والصدّ لابد من الانتشار والهجوم فبرز دور الفقهاء في نشر العلوم الشرعية بطول العالم الإسلامي وعرضه، فكان موقفهم واضحاً وثرياً في مؤسسات ومراكز التعليم.

٣- إعداد القضاه ورجال الحسبة: كان اتجاه الفقهاء أكثر اتجاه متصل بسوق العمل واحتياجاته، لأن هدفهم كان إعداد القضاة والمعلمين والموظفين لدواوين الحسبة والخراج.

٤- إعداد المعلمين والعلماء: إذا كانت الكتاتيب تعدّ العاملين في مواقف الدولة، فإن المساجد والمدارس تعد المعلمين والعلماء لتولي شؤون التعليم والوظائف المرموقة.

---

(١) حسان محمد حسان، ناديه جمال الدين، مدارس التربية في الحضارة الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ص٩٢، ١٩٨٤.

خصائص الاتجاه الفقهي :

١- الغاية الدينية : اتسم الفكر التربوي لدى هذا الاتجاه بالغاية الدينية ، حيث كانت النظرة الفقهية في التربية والتأديب تهدف إلى صياغة الإنسان وفق مفاهيم الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه ، فالدين هو أساس كل تربية.

والموجه الرئيسي لكل نشاط إنساني فرأوا أن عمل العالم المربي ، والمعلم يدور كله في إطار الدين والشرع[١].

وبهذا كان مقصود الفقهاء وغايتهم الأولى هي إيجاد الإنسان الذي يحفظ الدين ، ويتمثل لأوامره ونواهيه ، ذلك الإنسان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويلتزم بما ورد في الكتاب والسنة.

وتمثل غرض المتعلم من طلب العلم هو طلب رضى الله وإزالة الجهل عن نفسه وإحياء الدين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢].

٢- السعي نحو تحقيق القيم العليا في التربية : قدم الفقهاء صورة مثالية للعالم والمتعلم، وقد استمدوا هذه الصورة واستلهموها من الدين الحنيف وتعاليمه ، فجعلوا منه كائناً مثالياً في تعامله مع نفسه ، ومع ربه ، ومع أبناء جنسه ، وقد حاولوا من خلال التربية والتعليم تحقيق هذا الكائن المثالي ، وإيجاده في الواقع ، وأدركوا أن التربية والتعليم هما السبيل إلى تحقيق ذلك ، فقد وصفوا صفات جمة ، وصاغوا آداباً كثيرة للعالم والمتعلم[٣].

---

(١) عبد الأمير شمس الدين ، الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي ، بيروت ، دار اقرأ ، ١٩٨٥ ، ص١١٧.

(٢) الفكر التربوي العربي الإسلامي ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، تونس ، ١٩٨٧ ، ص٦٥٦.

(٣) يحيى حسن على مراد ، أوان العالم والمتعلم عند المفكرين المسلمين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣ ، ص١٣٢.

٣- اقتران العلم بالعمل:- مما تميز به الفكر التربوي عند الفقهاء، ربط العلم بالعمل، فالعلم إحسام والعمل تابعه" العالم والمعلم قدوة يحتذي بها، والأنظار متوجهة إليها، لأن عليهما - العالم والمعلم - تقع مسؤولية جذب عامة الناس نحوهما بل نحو الدين الحنيف، لكونهما النموذج والرمز الذي يحتذى به ويسير الآخرون على نهجهما[١].

فالعمل هو مقياس حسن النية وصلاح الباطن والعمل بالنسبة للعلم كالثمرة بالنسبة للشجرة، فكما أن الغرض من غرس الشجرة هو تحصيل ثمرة، أيضا العلم بالنسبة للمعلم هو الثمرة المتوخاة من التعلم والتعليم[٢].

القيمة التربوية للجهد الفقهي:

عندما بدأت حركة التعليم عقب البعثة، كان من الطبيعي أن تكون لحمه هذا التعليم وسداه، القرآن الكريم، فهو الحامل للرسالة التي بعث للدعوة إليها الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكان طبيعياً بعد ذلك أن تنشأ علوم وتظهر دراسات وفروع تدور حول هذا الكتاب السماوي فهما وشرحاً واستنباطاً وبياناً لما جاء فيه من عقائد وأحكام ومعاملات، ولما كان الفقه يدور حول استنباط الأحكام من القرآن والسنة لجأ الناس إلى الفقهاء يلتمسون فهم العلم والرأي بأحكام الدين في مختلف المجالات[٣].

---

(١) عبد الأمير شمس الدين، مرجع سابق، ص٢٠٥.

(٢) يحيى حسن مراد، مرجع سابق، ص١٣٣.

(٣) سعيد إسماعيل على: اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي- القاهرة- دار الفكر العربي، ١٩٩١، ص٧١.

من أجل هذا كان علماء الفقه أبرز فئات الفكر الإسلامي إسهاماً في التعليم، وأقرب إلى قلوب الناس، حيث إن ما يتحدثون فيه هو أحكام الشريعة ومبادئها.

وقد حمل الفقه الإسلامي عدداً من المبادئ تشكل دعماً وترسيخاً لتربية إسلامية سوية بالنسبة للدين والدنيا أجملها مذكور في النقاط التالية[1]:

- مبدأ التخاطب مع العقل: فالتشريع الإسلامي جعل العقول مناط التكليف وخصوصاً فيما يتعلق بأمور الدنيا وبمعرفة الخالق، ولما كان العلم دعامة تزيد العقل نوراً، دعا إليه وحث الناس على التزود فيه.
- مبدأ إحاطة العقيدة بالأخلاق الفاضلة:- قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[2].
- مبدأ المساواة والعدالة: فقد ساوى بين الناس جميعاً دون تفريق بين الأجناس والأفراد لقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [3].
- مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: وهو مبدأ كلي شامل يصلح بمفرده لأن يكن دستوراً للإصلاح الاجتماعي.

عوامل الإقبال على الاتجاه التربوي الفقهي:

إن المدرسة الفقهية كانت أكثر المدارس رواجاً من الناحيتين التربوية والتعليمية، ناهيك عن النواصي الشرعية والسياسية، ومثل هذا الرواج له مبررات وعوامل نذكر منها:

---

(١) محمد سلام مدكور، المدخل للفقه الإسلامي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦، ص٢٠.

(٢) الفرقان ٦٣.

(٣) الحجرات ١٣.

١- ضعف المدارس المناسـ "المدرسة الفقهية، فلقد كانت كل مدرسة واتجاه من الاتجاهات- الصوفية والشيعية والكلامية والفلسفية- مشكلات وأوجه نقص أسهم في النهاية في إضعاف موقفها، ولا يسعفنا في هذا المقام ذكر الأسباب التي أدت إلى ضعفها وبالتالي زيادة رصيد الاتجاه الفقهي(١).

٢- إن هناك عوامل أدت وساعدت على الإقبال على الاتجاه الفقهي فهي مايلي:-

أ- أن الفقه -فقه المذاهب الأربعة- أقرب إلى الناس من أي فقه، ومدارس الفقهاء أرحب بهم من أي مدرسة.

ب- أن الفقهاء أقرب العلماء إلى روح الشرع، ومن ثم أقربهم لروح الشعب.

جـ- أن الفقهاء مسؤولون عن توصيل العلوم الشرعية عن طريق تبسيطها ودراستها وتدريسها (٢).

د- أن الفقهاء كانوا يعملون العلم الذي يؤهل أصحابه لتولي مناصب يعيشون فيها ويتكسبون بها(٣)، فمن خلال العلوم الشرعية والفقهية يمكن للطالب والخريج أن يلتحق بوظائف القضاة والتعليم.

هـ- أن الفقهاء أقرب العلماء للحكام والأمراء ومن ثم كانوا مراكز قوة وسيطرة، كما أنهم تولوا القضاه ونشروا فكرهم وأذاعوا مذاهبهم، والقضاه في الحضارة الإسلامية يمثلون السلطة التشريعية التي تفسر القرآن الكريم، وتنصح الملوك، وتدافع عن الشعب" (٤).

---

(١) حسان محمد حسان، مرجع سابق، ١٢٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١٢٢.

(٣) آدم متر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط٤، ترجمة محمد عبد الهادي، ج١، مكتبة الخانجى، ١٩٦٧، ص٣٣٣.

(٤) خوليان ويبرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة مكي الطاهر أحمد، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ص٣٠.

و- ويذكر الأهواني أن سمو مذاهب المعتزلة العقلية، ومغالاة المتصوفين في مسالكهم الروحية وصعوبة الآراء الفلسفية، كل أولئك قرب بين أهل الفقه والحديث والعامة.. ولهذا كان التعليم في أيدي من يفهمون الشعب[1].

منهج الفقهاء في تناول الموضوعات:

اتسم تناول الفقهاء لموضوع آداب العالم والمتعلم بمنهج ذي ركائز وأسس لم تتغير على مدار تاريخهم الفكري وأهم ملامح هذا المنهج ما يلي:-

١- الاعتماد على القرآن الكريم والحديث الشريف كمصدرين أساسيين من مصادر آداب العالم والمتعلم ثم آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام.

٢- اهتم الفقهاء بحشد أكبر كمية من النصوص في كل مسألة أو فكرة يتعرضون لها، وفي الغالب لا يكون هناك اهتمام بالتحليل أو النقد[2].

٣- اتسم المنهج الفقهي بالصبغة الوعظية الإرشادية، وتميز بالنمطية، حيث اتخذ طريقة التأليف شكلا يكاد يكون واحداً عند أصحاب هذه الاتجاه مع اختلافات يسيره بينهم، في طريقة التبويب والعرض، لكن في كثير من الأحيان نجد تطابقاً واضحاً في العناوين والمحتوي العلمي[3].

٤- عدم الخوض في علوم الحكمة القديمة، بل ويحرمون هذه العلوم، لأن لهم أهدافاً خاصة وغايات مستقلة.

---

(١) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧، ص٣٨.

(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند العلوي، بيروت، دار اقرأ، ١٩٨٥، ص٢٠.

(٣) يحيى حسن على مراد. مرجع سابق ص١٣٧.

أبرز شخصيات الاتجاه التربوي عند الفقهاء

لقد برز في الاتجاه الفقهي، مجموعة كبيرة من الشخصيات الفذة، التي تميزت بالعمق الفكري، والتجديد والاجتهاد، الذي أثرى المكتبة الإسلامية بمجموعة ضخمة من المؤلفات، وعلى رأس هذه الشخصيات الفقهية ما يلي:

❖ ابـن سـحنـون:

محمد بن عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، أبو عبدالله فقيه مالكي مناظر، كثير التصانيف، من أهل القيروان، لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه، ولد ٢٠٢هـ. وسمي سحنون لحدة ذهنه، وشدة ذكائه، وسحنون في الأصل طائر في المغرب حديد النظر[١].

كان ابن سحنون فقيه المذهب المالكي في القيروان ومن عادة الناس في العصور الإسلامية، أن تطرح على الفقيه المشكلة التي تعترضها، لتعلم رأي الشرع في الموضوع، ويبدو من خلال كتاب آداب المعلمين أن ابن سحنون سئل كثيراً في مجال التعليم، حول العديد من القضايا التي تتعلق بالتعليم، مما لجأ ابن سحنون إلى وضع كتاب يجيب فيه على الاستفسارات التي كانت تطرح عليه[٢].

---

(١) خير الدين الزركلي، الأعلام لأشهر الرجال والنساء، من العرب المستعربين والمستشرقين، ط٥، ج٦ بيروت، دار العلم ١٩٨٩٠ ص٢٠٤.

(٢) عبد الرحمن عثمان حجازي، المذهب التربوي عند ابن سحنون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦، ص٤٢.

المنهاج الدراسي:

يتألف المنهاج الدراسي عند ابن سحنون من قسمين هما:-

١- **القسم الإلزامي:** ويتناول فيه القرآن الكريم، وضرورة تعلمه مستشهداً بالأحاديث النبوية الشريفة منها قوله صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[١].

وقوله صلى الله عليه وسلم: إن لله أهلين من الناس قيل من هم يا رسول الله قال هم حملة القرآن، هم أهل الله وخاصته"[٢].

٢- **القسم الاختياري:** ويشمل المواد التالية:

أ- الحساب: وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط ذلك عليه.

ب- الشعر والعربية والخط: وهو في ذلك متطوع "لا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب، وليس ذلك بواجب عليه" [٣].

جـ- تعليمهم الخطب: لا بأس أن يعلمهم الخطب إن أرادوا"[٤].

فتبقي هذه العلوم اختيارية ، ما دام الأهل لم يشترطوا على المعلم تعليمها لصبيانهم، حتى تنتقل من الاختيار إلى الإلزام، ويكون المعلم متطوعاً في حال تعلميها للصبيان[٥].

---

(١) محمد بن سورة ١٦٥٤٣٢١\ الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق، عبد الرحمن محمد عثمان، بيروت، دار الفكر ١٩٨٣. كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في تعلم القرآن ج٣ ص٩.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٨ ، ج٢، باب فضل من تعلم القرن وعلمه.

(٣) حسن حسنى عبد الوهاب، كتاب آداب المعلمين ، تونس، مطبعة المنار، ١٩٧٢ ، ص١٠٢.

(٤) المرجع نفسه، ص١٠٤.

(٥) إبراهيم محمد الشافعي، محمد بن سحنون، مكتب التربية لدول الخليج. من أعلام التربية العربية الإسلامية، مجلد ١ ، ١٩٩٨ ، ص٢٦٨.

ويشير عبد الرحمن حجازي إلى أن منهاج ابن سحنون ينسجم مع فلسفة المجتمع الذي عاش فيه وتستهدف إلى تحقيق غايتين[١] :

الأولى: الإعداد للحياة الآخرة، عن طريق تعليم الصبيان القرآن الكريم وكيفية الصلاة وشروطها.

الثانية: تمكين الصبيان من معرفة طائفة من العلوم والمهارات التي تساعدهم على النجاح، وتنفع المجتمع الذي يعيشون فيه.

في آداب الطلبة وواجباتهم:

آداب المتعلم التي يذكرها لنا ابن سحنون ويعالجها كفقيه، مستنبطاً أحكامها، من الشرع والدين جميعها تدور حول طبيعة العلاقة بين المتعلم وأستاذه، وكيفية تعامله مع كلام الله وما عليه من واجبات دينية.

أ- **في طريقة محو كلام الله:** عن أنس بن مالك قال إذا محت آية الكتاب تنزيل من رب العالمين من ألواحهم بأرجلهم نبذ المعلم إسلامه خلف ظهره .ثم لم يبال حين يلقي الله على ما يلقاه عليه" [٢].

فتأتى حل هذا الإشكال بإيراد طريقة الإمام مالك التي كانت شائعة وملخصها كان المؤدب له إجانة[٣]، وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماء طاهراً فيصبونه فيها فيمحون به ألواحهم قال أنس ثم يحفرون حفرة في الأرض فيصبون ذلك الماء فيها فينشف[٤].

---

(١) عبد الرحمن عثمان حجازي، مرجع سابق، ص٥٥.

(٢) حسن حسنى عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٨٦.

(٣) الاجانة، إناء يغسل فيه الثياب، وجمعها اجاجين، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق عبدالسلام هارون، طهران، المكتبة العلمية١٩٧٧، ج١ باب الهمزة، ص ٧.

(٤) حسن حسنى، مرجع سابق ص٨٧.

ب- **الأمر بالصلاة والعمر المناسب لتعليمها:-** قال ابن سحنون: ينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بنى سبع سنين، ويضربهم، عليها إذا كانوا بني عشر".

يطلب ابن سحنون من المعلم أن يوجب على طلابه القيام بالصلاة وهم في السابعة من عمرهم ولكنه في هذه المرحلة لا يوصي بمعاقبتهم إذا تخلفوا عن أدائها، وتصبح العقوبة عليهم، إذا بلغوا العاشرة، ولم يقدموا بأدائها استناداً إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "علموا أولادكم الصلاة أبناء سبع واضربوهم عليها أبناء عشر"[١].

جـ- **متى وأين يسمح للطالب بقراءة القرآن:** قال مالك ولا بأس أن يكتب المعلم الكتب على غير وضوء، ولا يمس المصحف إلا على وضوء يقول ابن سحنون، لا بأس على الصبي إذا لم يبلغ الحلم أن يقرأ في اللوح على غير وضوء إذا كان يتعلم وكذلك المعلم لا يمس الصبي المصحف إلا على وضوء وليأمرهم بذلك حتى يتعلموه[٢].

واجبات المعلم:

على المعلم أن يلتزم بمجموعة من الواجبات منها ما يلي:

أ- أن يتعهد الصبيان هو بنفسه في وقت انقلاب الصبيان"[٣]، ويتأكد من وصول كل صبي إلى منزله.

(١) محمد بن سورة الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة رقم ٤٠٥، قال أبو عيسى حديث حسن صحيح.

(٢) حسن حسنى، مرجع سابق، ص١١٣.

(٣) حسن عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٩٧.

ب- في حالة غياب الصبيان واجب المعلم الاتصال بأهل الطلاب في ذلك، ويخبر أولياءهم أنهم لم يجيئوا" [١].

جـ- لا يستطيع المعلم أن يقوم بمهامه التربوية على أكمل وجه إلا إذا تفرغ للتدريس ويشير إلى ذلك ابن سحنون، يلزم المعلم الاجتهاد وليتفرغ لهم [٢]، حتى يتمكن من متابعة الصبيان في دروسهم وتأديبهم.

د- وعلى المعلم تأديب الصبيان إذا آذى بعضهم بعضا، لكن دون تجاوز حد التأديب إلى القوة، وإذا تجاوز فعلى المعلم القصاص، وللتأديب شروط عدة منها[٣]:

❖ لا يجوز له أن يضرب رأس الصبي ولا وجهه.
❖ لا يجوز له أن يمنعه من طعامه وشرابه، إذا أرسل وراءه.
❖ أن لا يتجاوز ثلاث ضربات.

المحظورات التي يجب على المعلم اجتنابها:

أ- لا يحل للمعلم أن ينشغل عن الصبيان إلا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه، فلا بأس أن يتحدث وهو في ذلك ينظر إليهم يتفقدهم[٤].

ب- لا يحل له أن يأمر أحدا أن يعلم أحدا منهم إلا أن يكون في ذلك منفعة للصبي في تخريجه أو يأذن والده في ذلك، دليل هو ذلك بنفسه أو يستأجر من يعينه إذا كان في مثل كفايته[٥].

---

(١) المرجع نفسه.
(٢) المرجع نفسه، ص١٠٠.
(٣) محمد منير مرسى، تاريخ التربية في الشرق والغرب، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٤، ص٣١١.
(٤) حسن عبد الوهاب، ص٩٨.
(٥) المرجع نفسه.

ج- لا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان في حوائجه [١].

د- لا يجوز للمعلم أن يعلم أولاد النصارى القرآن ولا الكتب [٢].

هـ- لا يجوز للمعلم أن يأذن للصبيان بالعطلة "إلا بإذن آبائهم لأنه أجيرهم[٣].

و- أكره للمعلم أن يعلم الجواري ولا يخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهم"[٤].

المستوى العلمي للمعلم

لابد أن يحصل المعلم مستوى مغنياً من الثقافة هذه الثقافة تتمثل في ما يلي[٥]:

أ- حفظ القرآن ومعرفة أحكام الترتيل.

ب- العلم بالفقه ليتمكن من خلاله تعليم الصبيان الصلاة وأحكامها والطهارة وشروطها.

ج- المعرفة بالنحو، ليتعلم الصبيان أصول الكتابة بقواعدها النحوية.

د- إتقان الخط، إذ عليه أن يعلم الصبيان أصول الخط.

ما جاء في إجارة المعلم ومتى تجب:

من أهم المبادئ التي أوردها ابن سحنون تحت هذا العنوان مايلي[٦]:

١- يجوز أن يؤجر المعلم شهرياً أو سنوياً أو يدفع له الأجر حسب الاتفاق.

---

(١) المرجع نفسه، ص١٠٩.

(٢) المرجع نفسه، ١٠٢.

(٣) المرجع نفسه، ص١٠١.

(٤) المرجع نفسه، ص١١٧.

(٥) عبد الرحمن عثمان حجازي، مرجع سابق، ص٦٦.

(٦) محمد منير موسى، مرجع سابق، ص٣١١.

٢- يستحق المعلم الأجر المتفق عليه ولو كان لمدة سنة في حاله مرض الصبي أو خروجه مع والده في سفر.

٣- يجوز أن يستأجر المعلم لجماعة من الصبيان إذا تراضى الآباء بذلك ويقوم كل منهم بدفع نصيبه، قال سحنون وقد سئل بعض علماء الحجاز، أن يستأجر المعلم لجماعة وأن يعرض على كل واحد ما ينوبه، فقال يجوز إذا تراضى بذلك الآباء لأن هذا ضرورة ولابد للناس منه".

ما جاء في إجارة المصحف

يجوز أن يستأجر المصحف للقراءة فيه قال سحنون: " قلت لابن القاسم: أرأيت المصحف أيصح أن يستأجر ليقرأ فيه؟ فقال لا بأس به. لأن مالكاً قال لا بأس ببيعه[١].

تعليم الإناث: نص ابن سحنون في رسالته على مبدأ تعليم الإناث واعترف بحقها في التعليم انطلاقها من أن التكاليف الدينية واجب على الرجل والمرأة، وهو بحق يتفق مع روح الإسلام وذلك في قوله: اكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن[٢].

القابسي:

هو أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي، ولد ٣٢٤هـ[٣].

تعد رسالته المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتكلمين طرحاً فكرياً في التربية والتعليم مستمداً من واقع مجتمعه الذي عاش فيه، وحلولاً لمشاكل

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، ص١٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص١١٧.

(٣) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق أحمد بكر محمود، بيروت، مكتبة الحياة، د.ت.ج. ص٦١٦.

كانت موجودة في عصره، وتأتي بالمرحلة الثانية في الأهمية. أي بعد رسالة ابن سحنون في آداب المعلمين والتي اعتمد عليها القابسي اعتماداً كبيراً.

وجاءت هذه الرسالة على شكل إجابات لتساؤلات طرحها سائل كان قد كتبها وألح على إجابتها، فما كان من القابسي إلا أن يجيب على هذه الأسئلة مستنداً في ذلك على نصوص القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

المنهاج الدراسي:

يستمد المنهج الدراسي من البيئة الاجتماعية لذلك كان المنهج الدراسي عند القابسي يدور حول الدين وتهيئة الصبي للحياة الدينية، فقد كانت البيئة الاجتماعية في عصر القابسي بيئة دينية بعيدة على الروح المادية.

والمنهج الدراسي ينقسم إلى قسمين هما[١].

أ- **المنهج الإجباري:** ويشمل القرآن الكريم، والصلاة والدعاء وبعض النحو والعربية والقراءة والكتابة، وهو يركز على تعليم القرآن لأن لا سبيل إلى معرفة الحدود الشرعية الصحيحة إلا بمعرفة الأصل الأول من أصول الدين وهو القرآن.

ب- **المنهج الاختياري:** ويشمل الحساب والشعر وأيام العرب وأخبارها، وجميع النحو والعربية والغاية عند القابسي من تعليم الصبيان هو أن ينشأوا على الإسلام لذلك جعل هذه العلوم اختيارية، وفي ذلك يقول عن الحساب، فينبغي أن يعلمهم الحساب وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط

---

(١) عبد الأمير شمس الدين، مرجع سابق، ص٨٧.

عليه، والأهواني يرى أن في تعليم الحساب مصلحة دينية، لأنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث[١].

في آداب الطلبة:

نص القابسي على مجموعة من الآداب التي يتحلى بها الصبيان فهي ما يلي[٢]:

أ- ينص القابسي على أن يتحلى الصبيان بفضيلة الطاعة ليس نحو المعلم فقط، وإنما هي واجب المسلمين كافة، لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣] فطاعة الصبيان لمعلمهم كطاعتهم لوالدهم، فهو بمنزلة الوالد منهم، وفي ذلك يقول القابسي، فإنما هو لهم عوض من آبائهم".

ب- واجب الصبي التقيد بالنظام في حضور الكتاب، وفي انصرافه عنه، وفي استماعه للدرس، وفي أعماله المدرسية، لأن الفوضي مفسده للجميع.

جـ- وفي طريقة محو كلام الله: ويحل الإشكال في هذه القضية بإيراد طريقة الإمام مالك التي أشرنا إليها سابقاً عند ابن سحنون.

---

(١) الأهواني، مرجع سابق، ص١١٨ – ١١٩.

(٢) الأهواني، مرجع سابق، ص١١٦ – ١١٧.

(٣) النساء، ٥٩.

المحظورات التي يجب على الطلبة الابتعاد عنها(١).

١- ينبه القابسي في رسالته عن اللعب، فهو ينص على أن اللعب من الذنوب التي تستوجب العقاب. لأنه في اللعب انصرافاً عن المعلم وطلب العلم، وفي ذلك يقول القابسي، فإن اكتسب الصبي جرساً من أذى ولعب وهروب من الكتاب".

٢- حذر القابسي من رذيلة خلقية كانت كثيراً ما تقع بين الصبيان وهي التبايع فيما بينهم كبيعهم كسرة بزبيب، فنظر إليها القابسي نظرة دينية فحرمها لما فيها من ربا.

واجبات المعلم:

نص القابسي في رسالته على الواجبات التي ينبغي أن يلتزم بها المعلم وهي ما يلي(٢):

١- أن ينصرف إلى عمله ولا ينشغل عن تعليم الصبيان بأي شئ كان، فهو يتناول أجراً على عمله، وعليه أن يفي حق ما استؤجر عليه.

٢- أن لا يطلب من الصبيان فوق أجرته شيئا كهدية أو طعام.

٣- أن لا يكلف الصبيان بقضاء حوائجه أو إحضار غرض له.

٤- لا يجوز له الصلاة على الجنائز أو عيادة المريض، لأنه أجير لا يدع عمله.

٥- أن يتحمل مسؤولية تقصير الصبيان في التعليم، وذلك لأن هذه المسؤولية مستمدة من السلطة التي أعطيت له، فهو بمنزلة الوالد منهم، فإن قصر في ذلك وجب معاقبته ومحاسبته على أعماله.

---

(١) الأهواني، مرجع سابق، ص١١٨ — ١١٩.

(٢) الأهواني، مرجع سابق، ١٧٥ — ١٨١.

٦- وتقع عليه مسؤولية في العقوبات التي يوقعها على الصبيان إذا خرجت على الحدود المشروعة .

٧- من واجبات المعلم إيقاع العقوبة على المذنب إلا أنه وضع شروطاً لهذه العقوبة[١] :

- أن لا يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب.
- أن يكون الضرب بقدر الذنب ولا يزيد من واحد إلى ثلاث ضربات.
- أن يقوم المعلم بالضرب بنفسه ، ولا يوكله لواحد من الصبيان .
- أن يكون الضرب على الرجلين ويتجنب الضرب على الوجه والرأس.

المستوى العلمي للمعلم

لابد أن يحصل المعلم على مستوى معين من الثقافة تتمثل فيما يلي[٢] :

١- معرفة القرآن الكريم لأنه أصل الدين.

٢- معرفة النحو والعربية وأيام العرب والشعر.

أجـر المعلـم :-

نص القابسي في رسالته على ضرورة أن يأخذ المعلم أجراً في تعليمه للصبيان ووجه لضرورة قوله : "إنه لو اعتمد الناس على التطوع ، لضاع كثير من الصبيان ولما تعلم القرآن كثير من الناس فتكون هي الضرورة القائدة ، إلى السقوط في فقد القرآن في الصدور ، والداعية التي تثبت أطفال المسلمين على الجهلة" [٣].

---

(١) محمد منير مرسي ، مرجع سابق ، ٣٠٦.

(٢) عبد الأمير شمس الدين ، مرجع سابق ، ص٨٧.

(٣) الأهواني ، مرجع سابق ، ص١١٤.

إلـــزام التعليـــم:

ذهب القابسي إلى إلزامية التعليم لجميع أبناء الشعب لا فرق بين غني أو فقير مستنداً في ذلك على أدلة قوية وهي أن معرفة العبادات واجبة بنص القرآن، ومعرفة القرآن واجبه لضرورتها، في الصلاة فإن الوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والصلاة لأن حكم الولد في الدين حكم أبيه، فإذا لم يتيسر للوالد أن يعلم أبناءه بنفسه فعليه أن يرسلهم إلى الكتّاب لتلقي العلم بالأجر، فإذا لم يكن الوالد قادراً على نفقة التعليم فأقرباؤه مكلفون بذلك، فإذا عجز أهله على نفقه التعليم فالمحسنون مرغبون في ذلك، أو معلم الكتاب يعلم الفقير احتساباً أو من بيت المال، وبالتالي يتحقق التعليم لجميع أبناء المسلمين أغنياء وفقراء[(١)]، وهذه هي الديمقراطية في التعليم فهي ديمقراطية تفتح الأبواب للجميع لينهلوا من بجور العلم.

تعليم الإناث:

اتفق القابسي مع من سبقه في وجوب تعليم الإناث والاعتراف بحقها في التعليم لقوله: أكره للمعلم أن يعلم الجواري، ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك[(٢)] فساد لهن".

---

(١) عبد الأمير شمس الدين، مرجع سابق ص٨٧.

(٢) حسن حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، ص١١٧.

القيم الإسلامية في الحدود

القيم في التربية الإسلامية

التعريف بالقيم التربوية :

تمثل القيم التربوية خُلق الفرد، ودافعه إلى الخير، فهي تُشكل إطاراً عاماً للجماعة، ونمطاً من أنماط الرقابة الداخلية في حركتها، ومعايير تصرفها، بما يجعل الفرد يقترب من إطاره الثقافي وماضيه التاريخي ومستقبله الذي ينبغي أن يصنعه وفق قدراته الفكرية العليا، ولكي يُحافظ المجتمع على تماسكه وسلامة بنيانه، لابد من إشراك أعضائه في قيم معينة تسود بينهم وتعمل على وحدته وتساعد على حُسن التفاعل بين أفراده.

والقيم تتغلغل في حياة الأفراد والجماعات وترتبط عندهم بمعنى الحياة، لأن القيم ترتبط بدوافع السلوك والآمال والأهداف، فالإنسان يبذل طاقته وجهده للحصول على شيء ذو قيمة، فإذا فقد هذا الشيء قيمته قل دافعه لبذل الجهد والطاقة والحماس تجاه هذا الشيء.

والقيم من المفاهيم الأساسية في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتمس جميع العلاقات الإنسانية لأنها ضرورية جداً.

والفهم الحقيقي لماهية القيم وطبيعتها يتطلب إيمانا بالله تعالى، وفهما دقيقاً لطبيعة الكون وحقيقة الحياة الدنيا، وطبيعة الذات الإنسانية وسر وجودها ومصيرها في هذا الكون.

وتأتي أهمية القيم ودورها في التربية في تشكيلها وإشاعتها في عالمنا المعاصر في ظل التقدم العلمي والتقني المذهل. والذي أصبح يمس كل مكون من مكونات حياة الإنسان. لذلك على الأمة ممثلة بمفكريها مراجعة أمور التربية فيها

خاصة جمال القيم الحيوان، لأن فقدان التربية للقيم التي تُبنى عليها الشخصية، يفقدها روحها.

إن تنمية القيم التربوية في الشخصية المسلمة تعتمد على تكوين الوازع الذاتي في النفس البشرية، إذ يُصبح الإنسان كائناً ذا ضمير حي وإحساس مرهف، يراقب ويحاسب نفسه بنفسه، وتُعد القيم صمّام أمان في مجتمعنا المعاصر وهي كفيلة بضبط علاقات الأفراد بربهم وبأسرهم وبمجتمعهم.

والقيم بمجملها لا تأتي من فراغ بل من البيئة بمعناها الواسع. ونظراً لأهمية القيم فلابد من العمل على ترسيخها في الفرد، فهي إن ترسخت فيه ظهر أثرها على سلوكه في الواقع العلمي.

تعـريـف القيـم:

نظراً لخصوبة مجالات القيم، وتعدد ميادينها، اكتسبت أهمية خاصة، وبذلك تعددت تعريفات القيم.

فتعني القيمةُ الاستقامة، وهي اعتدال الشيء واستواؤه[1].

ومنه قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2].

وقال الزّجاج: معناه للحالة والصواب التي هي أقوم الحالات وهي توحيد الله ورد "فاستقيموا له: أي التوجه إليه دون سواه سبحانه"[3].

وقد تشتق كلمة (القيمة) في اللغة العربية من القيام وهو نقيض الجلوس والقيام بمعنى العوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾[1].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، جزء ٥، ص٣٧٨٢، القاهرة.

(2) سورة الإسراء، الآية ٩.

(3) الجوهري، الصحاح، جزء ٥، ص٢١٧، ط(٢)، ١٩٨٢م.

وقد تجيء كلمة (القيمة) بمعنى المحافظة والصلاح لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[٢].

والملّة القيّمة: المعتدلة وكذلك الأمة القيّمة ويُقال: ما لفلان قيمة: حالة ثبات ودوام على الأمر[٣].

القيم اصطلاحاً:

تعددت تعريفات القيم وتباينت، بحسب الموقف والمجال الذي تستخدم فيه ومن جملة هذه التعريفات:

إن مفهوم القيمة في الاصطلاح الشرعي: "معيار نابع من الشرع وينبثق من العقيدة الإسلامية ليُحدد سلوك الأفراد تجاه الأشخاص، والأفعال، ويكون محل التزام من الجميع"[٤].

والقيمة أيضاً هي "مكون نفسي وعقلي ووجداني، إلهي المصدر يوجه السلوك نحو مرضاة الله تعالى[٥].

وتعريف القيم أيضاً من منظورها الإسلامي هو "أنها مجموعة الأنظمة والقوانين والتشريعات والمقاييس التي بينها الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وسنة رسوله الكريم، أما الأمور التي لم ترد فيها نصوص شرعية فإن قيمتها تكمن

---

(١) سورة الجن، الآية ١٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٣٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ص٤٩٧، ١٩٧٠م.

(٤) الريان، محمد هاشم، أساليب تدريس القيم والاتجاهات، ص٦٥٥، مركز التدريب التربوي، وزارة التربية، ١٩٩١م.

(٥) الفرحان ومرعي، إسحاق وتوفيق، اتجاهات المعلمين نحو القيم الإسلامية في مجال العقائد والعبادات والمعاملات، ص٩٧- ١٣٦، ١٩٨٨م.

فيما تحققه من خير للناس وللمجتمع بجانب الانسجام التام مع الدين الإسلامي وتعليماته المؤثرة[١].

وتعرّف أيضاً "بأنها مجموعة من المبادئ والقواعد والمُثل العليا التي نزل بها الوحي والتي يؤمن بها الإنسان وتحدد ملوكه في ضوئها وتكون مرجعاً في كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وتصرفات تربطه بالله والكون"[٢].

وتُعرّف القيمة من منظور اجتماعي ب "أنها مجموعة من التنظيمات النفسية لأحكام فكرية وانفعالية يشترك فيها أشخاص بحيث تعمل تلك التنظيمات في توجيه دوافع الأفراد ورغباتهم في الحياة الاجتماعية الكبرى بخدمة أهداف محدودة تسعى لتحقيقها تلك الفئة"[٣].

وأيضاً تُعرّف من منظورها الاجتماعي على أنها محصلة تفاعل الإنسان بما يملك من مكنونات شخصية مع التغيرات الاجتماعية والثقافية وغيرها[٤].

والقيم هي معيار للانتقاء من بين البدائل أو الممكنات الاجتماعية المتاحة للأشخاص في مواقف اجتماعية[٥].

---

[١] الحياري، حسن أحمد، أسرار الوجود وانعكاساتها التربوية، ص (٢٤)، دار الأمل، إربد، ١٩٩٤م.

[٢] بكرة، عبدالرحمن الرفاعي، القيم الأخلاقية في التربية الإسلامية من واقع منهج المدرسة الابتدائية العامة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، مصر، ١٩٨٠م.

[٣] الهاشمي، عبدالجيد، المرشد في علم النفس الاجتماعي، ص٩٦، ط٢، جدة، دار الشروق، ١٩٨٩.

[٤] زاهر، ضياء، القيم في العملية التربوية، ص٣٧، ط٢، مؤسسة الخليج العربي، ١٩٨٦.

[٥] خليفة، محمد، تنمية القيم العلمية لدى طلاب الجامعة، ص٣٩، مؤتمر التربية والنظام العالمي الجديد، قسم أصول التربية، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، ١٩٩٢م.

أهميــة القيــم التربــويــة :

هناك أهمية للقيم التربوية على المستويين الفردي والجماعي، فعلى مستوى الفرد يحتاج الإنسان في تفاعله الاجتماعي إلى نظام من القيم يعمل بمثابة موجهات لسلوكه، وتشكل هذه القيم مكوناً هاماً من مكونات مفهوم الذات، ومحدداً رئيسياً للسلوك، فلكل فرد نظام قيمي يحكم سلوكه ويحدد اهتماماته وحاجاته، بالإضافة إلى النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه[١].

وللقيم دورها المهم في توجيه ميول الأفراد واهتماماتهم نحو أيدلوجية سياسية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية معينة، فهي الوسيلة التي من خلالها يعبر الفرد عن نفسه للآخرين وتساعده على التبرير المنطقي للسلوكات والاعتقادات والاتجاهات والتصورات غير المقبولة اجتماعياً[٢].

أما على المستوى الاجتماعي فنجد أن القيم :

١- تحفظ للمجتمع مثله العليا ومبادئه الثابتة المستقرة.

٢- تُنقي المجتمع من الأنانية والنزعات والشهوات الطائشة.

٣- تعمل على وحدة وتماسك المجتمع.

٤- يمكن استخدام القيم في مجال التوجيه والإرشاد النفسي وانتقاء الأفراد الصالحين لبعض المهن.

٥- المجتمع الذي يحمل أصحابه قيماً وأخلاقيات مجتمع له حضارة عريقة ويتنبأ له برقي وازدهار[٣].

---

[١] نشواتي، عبدالمجيد، علم النفس التربوي، ص٤٥، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٤م.

[٢] البطش، وليد، البناء القيمي لدى طلبة الجامعة الأردنية، ص٩٣- ١٣٦، مجلة دراسات، العدد ٣، ١٩٩٠م.

[٣] أبو العينين، علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها، ص٦١، ط١٠، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم الحلبي.

مصادر القيم التربوية :

هناك فكرة قديمة تشير إلى أن مصدر القيم هو الفرد، وترجع هذه الفكرة إلى السفسطائيين في المجتمع الإغريقي القديم. فقد اعتبروا الإنسان هو مقياس كل شيء وهو الذي يحدد ما هو صواب وما هو خطأ، وبهذا يجب أن تكون القيم محققة لرغبات الفرد واهتماماته[١].

والقيم التربوية تنشأ من خلال النشاط الإنساني في الحياة اليومية أو من خلال تفاعل الإنسان في مجتمع مع مواقف الحياة اليومية[٢].

ويمكن إرجاع القيم التربوية في منظورها الإسلامي إلى المصادر الآتية :

أولاً : القرآن الكريم :

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأهم والأساسي للقيم الإسلامية بدليل الكثير من الآيات القرآنية التي حثت على القيم.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْأَحْسَانِ**﴾[٣]، والعدل مطلوب في كل نواحي الحياة.

كما دعا الإسلام إلى قيمة الشورى واهتم بها، قال تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾[٤]، وهناك علاقة وثيقة بين الشورى والعدالة من أجل تحرير الفرد والمسلم وإطلاق طاقاته في الإبداع والمشاركة الفعالة[٥].

---

(١) مرسي، محمد منير، فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها، ص٥٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.

(٢) بركات، لطفي، التربية ومشكلات المجتمع، ص٤٨، دار النهضة العربيةن ١٩٧٨م.

(٣) سورة النحل، آية ٩٠.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٥) التل، بسام، القيم الإسلامية وأثرها، ص١٣، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٩٦م.

والقرآن الكريم يرشد الإنسان إلى الطريقة المُثلى التي يكتسب بها المعرفة، ومن الآيات التي تُحث الإنسان على التفكير في الكون[1] قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾[2].

فالقرآن الكريم يحثنا على أن نبدأ العلم والمعرفة بالنظر فيما يحيط بنا في عالم الشهادة، ثم يطالبنا بعد ذلك بالانتقال إلى عالم الغيب والإيمان بالله، وكذلك فقد تضمن القرآن الكريم طرقاً متعددة في التربية منها القصة والمثل والقدرة، فالقرآن الكريم يحثنا على مطابقة القول بالعمل[3].

ثانياً: السنة النبوية:

وللسنة النبوية دور بارز في إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل، وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم، واستنباط الأسلوب التربوي في حياة الرسول ﷺ مع أصحابه[4].

كما وتساعد السنة النبوية الإنسان على كيفية تطبيق منظومة القيم التربوية وذلك من خلال طرح القصص والأمثال وذكر تصرفات الرسول ﷺ من خلال وضوحها[5].

---

[1] النحلاوي، عبدالرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص٣٣، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩م.

[2] سورة آل عمران، آية ١٩٠.

[3] فريحات، تهاني، مستوى الاعتقاد لمنظومة القيم التربوية الإسلامية، ص٢٤، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإدارة وأصول التربية، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٩٨م.

[4] النحلاوي، عبدالرحمن، مرجع سابق، ص٣٥.

[5] الحياري، حسن أحمد، ماهية القيم وأنواعها إسلامياً، ص٢٩، قسم الإرشاد وعلم النفس، كلية التربية والفنون، جامعة اليرموك، ١٩٩٩م.

فالمصدر الأول للقيم هو الحق عز وجل استناداً إلى علمه الكامل المحيط في كل شيء في السموات والأرض والمصدر الثاني للقيم هو الإنسان كونه يستطيع أن يصل المستوى العلمي والمعرفي المتقدم لإعطاء الأمور التي تندرج تحت هذا النوع قيمها الحقيقية، ويندرج تحت هذا النوع جميع القيم المادية للأشياء التي يمتلكها الإنسان من مركبات فضائية وأجهزة إليكترونية ومشاريع تجارية[1].

ثالثاً: الإجماع:

إن الإجماع مصدر للقيم، والفقه مشهود له بالحجة والاعتبار، ويمكن الإفادة منه في الأحكام الشرعية للوقائع الجديدة في الوقت الحاضر.

ومسند الإجماع قد يكون نصاً من الكتاب والسنة كما قد يكون قياساً أو عرفاً، أو غير ذلك، فالإجماع على أن ميراث الجدة السدس مُسندة إلى سنة الآحاد، والإجماع على تحريم شحم الخنزير مسندة إلى القياس على تحريم لحمه[2].

---

(1) الحياري، حسن أحمد، مرجع سابق، ص٣٢.

(2) زيدان، عبدالكريم، الوجيز في أصول الفقه، ص٢٣٧، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

خصائص القيم الإسلامية:

١- إنها تستمد من الأحكام الشرعية، باعتبار أن الحياة الإسلامية كلها تقوم على هذه الأحكام، وتأتي القيم في صورة أمر بالفعل أو أمر بالترك وهي بهذا توجّهات الإنسان في حياته حيال الأشياء والمواقف تاركة له مساحة من الاختيار[١].

٢- تتميز القيم الإسلامية بالشمولية والعمومية، حيث أنها ترتبط بجميع مجالات الحياة، وترسم لكل مجال منهجاً سلوكياً يستهدف تطور البشرية[٢].

٣- أنها ترتبط بالجزاءات الدنيوية والأخروية، ولذا وجد الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، ولكن هناك هدفاً آخراً سمي وراء الالتزام بعد الاختيار القائم على وعي كامل لما جاء به الشرع، وأمر الالتزام به، ذلك الهدف هو إرضاء الله عز وجل[٣].

٤- تتصف القيم الإسلامية بالضرورة إذ أنها تلازم الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته وفي كل تصرف من تصرفاته[٤].

---

(١) شومان، علي سعيد، القيم التربوية التي تضمنها السؤال في القرآن الكريم، ص١٥، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم أصول الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٩٣م.

(٢) العاجز، فؤاد، والعمري عطية، القيم وطرق تعلمها وتعليمها، ص٨، جامعة اليرموك، إربد – الأردن.

(٣) التل، بسام، القيم الإسلامية وأثرها، مرجع سابق، ص٥٥.

(٤) التل، بسام، مرجع سابق، ص٥٦.

٥- أنها تقوم على أساس الضبط والتوجيه والتنمية والتربية، ولذا فإن أهداف التربية في أي مجتمع إنما تُشتق من هذه القيم التي تهتم بجوانب الإنسان المختلفة وبصورة كاملة[١].

٦- أنها جامعة للثبات والمرونة، فهناك قيم عليا ثابتة لا تقبل الاجتهاد أو التغيير أو التبديل، كالقيم العقدية، وقيم العبادات، وقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما القيم الأخرى فهي نسبية[٢].

تصنيـف القيـم الإسلاميـة:

يمكن طرح تصنيفات القيم الإسلامية حسب الآتي:

تقسم القيم الإسلامية حيث الإطلاق والنسبية إلى مستويين هما[٣]:

١- القيم المطلقة، وترتبط بالأصول وهي قيم ثابتة ومطلقة ومستمرة لا تتغير بتغير الزمان والأحوال ولا مجال للاجتهاد فيها إلاّ الفهم والوعي.

٢- القيم النسبية، وترتبط بما لم يرد نص فيه أو تشريع صريح وهي تخضع للاجتهاد الذي لا يتعارض مع نص صريح، ومعنى نسبيتها أنها متغيرة بتغير المواقف عبر الزمان والمكان وتحتاج إلى اجتهاد.

---

(١) قمحية، جابر، المدخل إلى القيم الإسلامية، ص٧٦، دار الكتاب المصري.

(٢) قمحية، جابر، مرجع سابق، ص٧٦.

(٣) دراز، محمد عبدالله، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، ص١٢٣- ١٢٤، الكويت، دار القلم، ١٩٨٠م.

ويمكن أن تصنف القيم في سلسلة من الأشكال المتقابلة، وهذه الأشكال هي[1]:

١- القيم الكامنة مقابل القيم الوسيلية: فالقيمة الكامنة هي التي لا تكون وسيلة لغاية معينة أخرى، فالسعادة مثلاً هي قيمة تطلب لذاتها وليس لغيرها.

أما القيمة الوسيلية، هي قيمة خيرية، ولكنها لا تطلب لذاتها، بل تطلب لشيء آخر نسعى للحصول عليه من خلال هذه الوسيلة، فالمال مثلاً، لا يطلب لذاته، بل وسيلة لكثير من الأمور التي نرغب في الحصول عليها.

٢- القيم العليا مقابل القيم الدنيا: فالقيم العليا مرتبطة بأعمال الإنسان في المجال العقلي والروحي والذهني، في حين أن القيم الدنيا هي القيم التي تهتم بإشباع حاجات الإنسان المادية.

٣- القيم الاشتمالية مقابل القيم الاستبعادية، فالقيم الاستبعادية هي التي يستبعد أن يمتلكها شخص آخر غير مالكها بنفس الوقت كالقيم الاقتصادية مثلاً في حين أن القيم الاشتمالية قد يشترك فيها أفراد كثيرون بنفس الوقت كالقيم الجمالية كقيمة الضحك أو الدعابة أو غيرها.

٤- القيم الدائمة مقابل القيم العابرة: وتكونت المفاضلة بين هذه القيم حسب الموقف أي أن الموقف هو الذي يُعطى للقيمة معنى، فيجعل الدائمة أفضل من العابرة أو العكس، فشربة الماء مثلاً في يوم عطش شديد الحرارة تكون أفضل من أي قيم دائمة سواء كانت أخلاقية اقتصادية أو غير ذلك.

---

[1] الخوالدة، محمد، البعد الفلسفي في التربية، ص١٠٩- ٢١٢، وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب، سلطنة عمان، ١٩٨٤م.

وهناك تصنيف للقيم حسب الفوائد المنتظرة أو المتوقع أن تحققها القيم، وتتمثل في[1]:

قيم مادية وجسمانية: الصحة، الراحة، الآمان، قيم اقتصادية: الإنتاج، الكفاية، قيم أخلاقية: الأمانة، العدالة، المساواة، قيم اجتماعية، التعاطف، الإحسان، قيم سياسية: العدالة، الحرية، قيم جمالية: الجمال، قيم دينية: الصلاة، الحج، الزكاة، قيم عقلية: الزكاة، صفاء الذهن، التعقل، قيم مهنية، الوعي المهني، النجاح المهني، قيم عاطفية، الحب، الرضا.

تبايـن القيـم:

تتباين القيم وفقاً لتباين الأفراد في العديد من العوامل منها عمر الفرد ومستوى نضجه والجنس والقدرات والخبرات التعليمية والوضع الاقتصادي والاجتماعي والخلفية الثقافية، كما أن للخبرات المدرسية أثراً في تشكيل القيم التربوية لدى الطلبة والتي ترتبط مباشرة بالعمل المدرسي ومفهوم الذات. إضافة أنها تساعد على تكوين وتوجيه علاقات الاجتماعية. وتُنظمها مع الآخرين. وأن هذا التباين يكون بين فرد وآخر وبين جماعة وأخرى وقد يعود هذا التباين إلى التباين الطبقي والاقتصادي والاجتماعي والمهني بغض النظر عن قومية الفرد أو جنسيته.

ومن هنا يمكن الحديث عن نسبية القيم، أي أن لكل أمة قيمتها الخاصة والتي ترتبط بثقافتها فالقيم تختلف من ثقافة لأخرى، فالقيم تختلف باختلاف الطبقات والجماعات حتى داخل الجماعة الواحدة، أما بالنسبة للنسبية الزمانية

---

[1] الجمل، علي، القيم ومنهاج التاريخ الإسلامي، دراسة تربوية، ص٤٩، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦م.

للقيم، فالقيم يمكن الحكم عليها حسب الظروف ومعايير المجتمع والزمن الذي وجدت فيه[1].

علاقة القيم بالتربية في التصور الإسلامي:

ترتبط التربية الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بالقيم الإسلامية كارتباط الروح في الجسد، فإذا كانت التربية الإسلامية تحرص على تربية الإنسان الصالح والمصلح وتنمية جميع جوانب حياته العقدية والاجتماعية، والخلقية وفق ما يريده الإسلام وشريعته السمحة، فإنه لابد من أن تستند هذه التربية إلى القيم الإسلامية المتنوعة كقيم العقيدة والتشريع والأخلاق والمعاملات، والتصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة يرتبط بالقيم الإسلامية ارتباطاً وثيقاً لذا فلابد من ارتباط التربية الإسلامية بتلك القيم، وملازمتها لتحقيق هدف التربية في تحقيق الخلافة لله في الأرض[2].

أهمية القيمة التربوية الإسلامية في بناء الأمة:

لكل أمة من الأمم فلسفتها التربوية التي تؤمن بها، أما التربية الإسلامية فهي تربية متميزة عن غيرها ابتداء لأن مصدرها مرتبط بعقيدة مُوحى بها من عند الله عز وجل، فهي أقوى على التغيير والبناء، فهي تدعو إلى بناء الإنسان الصالح، وتعتبر ذلك هدفاً تربوياً هاماً.

---

(١) الخلف، معين، القيم التربوية الواجب توافرها لدى طلبة كليات التربية الرياضية من وجهة نظرهم، ص١٤- ١٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، ١٩٩٦م.

(٢) شومان، علي سعيد، القيم التربوية التي تضمنها السؤال في القرآن، مرجع سابق، ص١٥.

فتحولت الأمة العربية التي كانت تعيش في جاهلية قبل الإسلام تقوم على التعصب القبلي والتناحر وتسودها العادات والتقاليد الجاهلية التي لها منهجها وأهدافها، فأعزها الله بعد تمزق وذل.

وهذا التحول بفضل الله عز وجل وصدق رسول الله ﷺ في دعوته أمته أنتج أمة تحترم القيم والمبادئ، كقيمة الصدق، والوفاء بالوعد، والأمانة والتضحية، وقيمة الخلق القويم[1].

تشكيل القيم:

"تتشكل القيم من ثلاثة عناصر أساسية وهي الجانب العقلي، المعرفي، الذي يقتضي التعرف إلى القيمة وإدراك معناها وأبعادها، والجانب الانفعالي الذي يقتضي اختيار القيمة وتقديرها، والتحسس لها والاعتزاز بها والسعادة باختيارها وتبنيها والجانب السلوكي الذي يقتضي تمثل القيمة سلوكاً في واقع الحياة بحيث توجه صاحبها الوجهة التي تتسق مع ما يتبنى"[2].

---

[1] شومان، علي سعيد، مرجع سابق، ص٢٠.

[2] الريان، محمد هاشم، أساليب تدريس القيم والمفاهيم، ص٥- ٦، مركز التدريب التربوي، وزارة التربية، ١٩٩١م.

التعريف بالحدود الشرعية وعلاقتها بمقاصد الشريعة

إن هدف النظام العقابي الإسلامي هو حماية المصالح الواجب حفظها فمن اعتدى على أية مصلحة منها لقي العقوبة التي يحددها هذا النظام.

إن المصالح أو المقاصد الضرورية التي تكفلت الشريعة بحمايتها يمكن ردها إلى أصول خمسة هي:

١- حفظ الدين: والذي يحفظ الدين ويحميه حدي (الحرابة والردة).

٢- حفظ النفس: كما يمكن حفظ وحماية النفس من خلال (حد الحرابة) والمحارب.

٣- حفظ العقل: بتقرير حد الشرب واحترام العقل وتحريم المخدرات والحشيشة.

٤- حفظ النسل: بتقرير حد الزنا وحد القذف وحماية الأعراض والنسل والنسب.

٥- حفظ المال: بتقرير حد السرقة والتعزير على الاختلاس والنهب والغصب، وتقرير كذلك حد الحرابة إذا قصد المحارب السلب وأخذ المال.

وإن أساس هذه المصالح وقاعدتها التي تنطلق منها هو الدين لأن الدولة الإسلامية تقوم أساساً على الدين، ولهذا فإن من خرج منه فقد خرج عليها أو من هدم الدين في هذا المجتمع يكون قد هدم المجتمع بكامله.

وبالإضافة إلى ذلك فإن استقامة الحياة لا تتأتى إلا من خلال حفظ الدين وحفظ باقي الضروريات الخمس وذلك لأن العلاقة بينها تكاملية.

والجرائم والحدود على اختلاف أنواعها يجمعها جامع واحد هو أنها محظورات شرعية معاقب عليها.

وعقوبات الحدود هي العقوبات المقدرة حقاً لله تعالى، وهي مقدرة لسبعة جرائم هي:

١- جريمة الزنا.

٢- جريمة القذف.

٣- جريمة الشرب.

٤- جريمة السرقة.

٥- جريمة الحرابة.

٦- جريمة الردة.

٧- جريمة البغي.

وتسمى العقوبة المقررة لكل جريمة من هذه الجرائم حداً.

علّة التجريم والعقوبات الشرعية[1]:

لقد بينت الشريعة الإسلامية العلل والمقاصد الكامنة وراء تجريم بعض الأفعال المعاقب عليها، ويمكن حصر هذه المقاصد بما يلي:

١- أن بإتيان الجرائم ضرراً بنظام الجماعة وعقائدها وحياة أفرادها، وأموالها، وأعراضها، ومشاعرها.

٢- شرع العقاب على الجريمة لمنع الناس من اقترافها.

---

[1] عودة، عبدالقادر، التشريع الجنائي الإسلامي، جزء ١، ص٦٨، دار الكاتب العربي، بيروت، زيدان، عبدالكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص٣٣٤-٣٣٥، مؤسسة الرسالة، مكتبة القدس.

٣- لولا العقاب لأصبحت الأوامر والنواهي أمور ضائعة وضرباً من العبث، لأن العقاب هو الذي يجعل للأمر والنهي معنى مفهوماً.

٤- رغم أن العقوبات شرعت للمصلحة إلا أنها بحد ذاتها مفاسد -إلا أنها تؤدي لمصلحة الجماعة الحقيقية- وقد تكون الجرائم مصالح ولكن الشريعة نهت عنها بسبب أدائها للمفاسد - فالزنا به مصلحة للفرد لكن حرم بسبب أدائها لمفسدة الجماعة.

٥- عقوبات الشريعة تحمي المجتمع من الآفات الضارة، فرغم شدتها إلا أنها عادلة، ومصلحة تتفق ومصالح الناس، لكن النظر العميق لا يرى ذلك، فلا يعتبر عقوبة السرقة غير متكافئة مع الجريمة لأن الجريمة بالسرقة ليست هي ضياع عشرة دراهم كما يفهم من ظواهر العبارات الفقهية، وإنما الجريمة الآثمة هي إزعاج الآمنين وتهديد المطمئنين[1].

فلو كانت العقوبة لأجل المال لوجب عقاب الغاصب بالقطع لكن الشارع قطع يد الساق، وعزر الغاصب حتى لو كان ما اغتصبه قنطاراً من الذهب والفضة، فالغاصب إذا روع فإنه يروع الفرد، أما السارق فإنه يروع حياً أو بلداً[2].

٦- الحدود والعقوبات علاجاً للنفسية الإنسانية والطبيعة البشرية، فإذا نظر الإنسان لمصلحته الخاصة وما يترتب عليها من عقوبات نفر منها لرجحان المفسدة في العقوبة على المصلحة[3].

٧- شرعت العقوبات لحمل الناس على ما يكرهون ما دام يحقق مصلحة الجماعة[4].

---

(١) أبو زهرة، محمد، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، ص٤٦- ٤٧، دار الفكر العربي.

(٢) أبو زهرة، محمد، المرجع السابق نفسه، ص٤٧.

(٣) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء١، ص٦٩.

(٤) عودة، عبدالقادر، المرجع السابق نفسه، جزء١، ص٦٩.

٨- حفظ مصالح الجماعة، وصيانة نظامها، وضمان بقائها قوية متضامنة ذات أخلاق إسلامية[١].

فالأخلاق الفاضلة هي أولى الدعائم لقيام المجتمع، لأن الشريعة تقوم على الدين وإن الدين يأمر بمحاسن الأخلاق، والدين لا يقبل التغيير والتبديل فالشريعة إذاً باقية.

لهذا فالنتيجة هي ارتفاع مستوى الأخلاق والقيم الروحية بالدول المطبقة للشريعة الإسلامية، وينحط مستواها بالبلاد المطبقة للقوانين الوضعية فحل محلها القيم المادية والإباحية البهيمة، وذلك لقيام هذه القوانين على العادات والتقاليد وليس على أساس الدين، كما أن مصدرها الحكام والأفراد فكلٌّ يراعي أهوائه ونزعاته للتحلل من القيود، كما أن القواعد والعادات قابلة للتغيير والتبديل، فهي غير ثابتة[٢].

فشرب الخمر مثلاً تعاقب عليه الشريعة الإسلامية لمجرد الشرب (أي لذاته) لأنه ينظر إلى الجريمة من الجهة الخلقية المتسعة لكل النواحي، لأنه إذا حسنت الأخلاق ستصان عدة أمور:

أولاً: الصحة والأعراض.

ثانياً: الأموال والدماء.

ثالثاً: الأمن والنظام.

بينما القانون يعاقب إذا كان الشرب بالطريق العام لأنه يعرض الناس للإيذاء[٣].

---

(١) عودة، عبدالقادر، المرجع السابق نفسه، جزء١، ص٦٩.

(٢) عودة، عبدالقادر، المرجع السابق نفسه، جزء١، ص٧٠- ٧١.

(٣) عودة، عبدالقادر، التشريع الجنائي الإسلامي، جزء١، ص٧٠.

وكذلك الزنا؛ فالشريعة الإسلامية تعاقب عليه بكل الأحوال لمساسه بالأخلاق بينما يعاقب عليه القانون الوضعي إذا كان بالإكراه لإضراره بالناس[1].

لهذا تتقرر القيم المقاصدية التربوية المتضمنة في الحدود من خلال عدة أمور:

أولاً: المصدر؛ فمصدر الشريعة هو الله، لقيامها على الدين والدين لله، فاعتبر بعض الأفعال جرائم وقررت عقوباتها من (القرآن والسنة، والهيئة الحاكمة).

ثانياً: ثبات القواعد؛ وذلك لارتباط الشريعة بالدين الثابت، رغم تغير الأنظمة والحكام – ملكي أو جمهوري.

ثالثاً: الاحترام من الحاكم والمحكوم للشريعة: لاعتقادهم الجازم أنها من الله، فيجب عليهم احترامها. وهذا يحمل الأفراد على طاعة القواعد الشرعية، لأن المعصية موجبة للعقوبة.

رابعاً: نسبة الشريعة لله تقرير للواقع والمنطق؛ لأن من يؤمن أن الدين من الله يجب أن يؤمن أن الشريعة كذلك من الله، لأن الشريعة قواعد للدين، وهذه النسبة لا تفيد الله شيئاً لأنه غني عن خلقه.

خامساً: الأخلاق الفاضلة[2].

الأمور المترتبة على توقيع العقوبة:

يمثل الفقه العقابي قاعدة الظمآن لتطبيق أحكام الشريعة وظمآن الالتزام من المكلفين وذلك بوسيلتين:

١- الردع.

---

(١) عودة، عبدالقادر، المرجع السابق نفسه، جزء١، ص٧٠.

(٢) عودة، عبدالقادر، المرجع السابق نفسه، جزء١، ص٧٠- ٧٤.

والزجر القائمين في العقوبات الشرعية.

فالردع لذات الشخص الجاني، والزجر لغيره من الناس، لهذا فالعقوبات الشرعية حاسمة جازمة، ترتب أثراً يحقق بحد ذاته الردع والزجر.

فالعقوبات الشرعية (الحدود) ترتب عدداً من الآلام التي تعود على الجانب النفسي والبدني والاجتماعي والاقتصادي في آه واحد[١].

٢- تحقيق العدالة: فتوقيع العقوبة يطهر نفس الجاني وينزل ألم به، حيث أن للقاضي ثلاثة مهام هي:

١- العدل.

٢- الحكم والقضاء بين الناس.

٣- الفصل بالتمييز بين شيء وآخر.

٣- تحقيق الآمن والسلامة للجماعة والاستقرار[٢].

٤- فتح باب الإصلاح والتهذيب أمام الجاني[٣].

بيان الحدود الشرعية:

أولاً: حد الزنا:

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[٤] وفي قبيحه من جرائم الاعتداء على الأعراض، ومن الكبائر.

حيث يلاحظ في حد الزنا عدة أمور هي[١]:

---

[١] أبو حسان، محمد، أحكام الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية، ص١٨٥، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٨/١٩٨٧م.

[٢] أبو حسان، محمد، المرجع السابق نفسه، ص١٨٦.

[٣] زيدان، عبدالكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٣٦، أبو حسان، محمد، مرجع سابق، ص١٨٦.

[٤] سورة النور، آية ٢.

١- وضع الجلد كحد للزنا لأنه يصرف عن الإتيان بالجريمة قبل حدوثها، فدافع الزنا هو اشتهاء اللذة والاستمتاع بالنشوة، والدافع الذي يصرف عن هذه اللذة هو الألم والعذاب من خلال الجلد.

٢- وضعت الشريعة الإسلامية عقوبة الجلد على أساس طبيعة الإنسان وفهم نفسيته وعقليته.

٣- اعتبار الزنا من الجرائم المضرة بمصلحة الجماعة لأنها اعتداء على كيان الأسرة التي هي أساس المجتمع[٢].

٤- دفعت الشريعة الإسلامية العوامل النفسية الداعية للزنا بعوامل نفسية صارفة ومضادة.

٥- بينت الشريعة الإسلامية العلة والحكمة من التغريب كعقوبة تابعة للعقوبة الأصلية، وهي تتمثل بـ:

- حماية المجتمع من أجل نسيان الجريمة –لأن ببقائه إحياء لذكرى الجريمة.
- حماية للجاني من المضايقات والمتمثلة:
  - أ- قطع رزقه.
  - ب- تحقيره.
  - ج- مهانته وإيذاؤه[٣].

---

(١) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٣٦، أبو حسان، محمد، مرجع سابق، ص٢٥٩- ٢٦٠.

(٢) زيدان، عبدالكريم، مرجع سابق، ص٣٣٨.

(٣) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٤٠.

٦- بينت الشريعة الإسلامية كيفية التغريب والمتمثلة بالإبعاد عن موطن الفاحشة والتأكيد بإخلائه ببدنه تحت نظر السلطة إلى حيث تقرر إبعاده، مع استمرار التيقن من وجوده حيث أُبعد مدّة الإبعاد وهذا يقتضي مراقبته حيث يكون الإبعاد بالبدن دون تقييده عن رزقه بل يعيش حياة طبيعية دون مضايقة.

٧- فرّقت الشريعة الإسلامية بين عقوبتي الزاني المحصن وغير المحصن كما يلي:

١- بينت أن عقوبة الزاني المحصن هو الرجم حتى الموت، مراعاة للعلل التالية:

- لأن الإحصان يصرف الشخص عن التفكير بالزنا، فإن فعل لهذا يدل على اشتهائه للذة الحرمة، فوجب أن توضع له عقوبة شديدة الألم والعذاب حتى تكون صارفة له عن الزنا بحيث يذكر معها العقوبة المقررة.
- الزاني المحصن مثلٌ سيء لغيره من الرجال والنساء المحصنين، وليس للمثل السيء بالشريعة الإسلامية بقاء، لاتصاف الشريعة بالفضيلة والأخلاق وحفظ الأعراض والأنساب الطاهرة[1].

٢- بينت عقوبة الزاني غير المحصن المتمثلة بالجلد والتغريب، حيث شفعت له في هذه العقوبة الخفيفة أمور وعلل تتمثل بما يلي:

---

[1] الرافعي، أحمد، العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، جزء ١١، ص٢٣٥، عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٤١، زيدان، عبدالكريم، مرجع سابق، ص٣٣٨، أبو حسان، محمد، مرجع سابق، ص٢٤٢.

- تأخره بالزواج الذي أدى للجريمة، كما لم تجعل الشريعة الزواج أبدي حتى لا تجعل للشخص بعد الإحصان سبيلاً للجريمة.
- أباح الإسلام للمرأة أن تكون العصمة بيدها، وأباح لها طلب الطلاق للغيبة والمرض والضرر والإعسار، وأباح للرجل الطلاق والزواج بأكثر من واحدة. فإذا انقطعت الأسباب المؤدية للجريمة انقطعت بذلك معاذير التخفيف[1].

٨- بيان أن عقوبات الشريعة وعقوبة الرجم للزاني المحصن هي عقوبة (ناجحة وعادلة، وحافظة للحقوق وغير محابية أو ظالمة لأي من أطراف المعادلة الجنائية، ومحققة للاحترام والنظام وذلك لأن نتيجة الزنا للمحصن هو الموت مهما كانت الأداة أو الآلية والوسيلة وسواء كان الموت بالفأس أو الرصاص أو الحجارة، إلا أن الرصاص قد يؤخر الموت لأن عدد رماة الرصاص وطلقاتهم محددة، أما عدد رماة الحجارة غير محدود.

والشنق لا يزهق الروح بالسرعة اللازمة، وضرب الفأس لا يكفي لقطع الرقبة والتسميم والحرق والتقطيع يبطئ بالموت، ومن المفروض أن يعرف أفراد المجتمع المسلم أن العقوبة مؤلمة وليست لينة حتى يخافون[2].

---

[1] عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٤٢.

[2] عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٤٣.

ثانياً: حـد القـذف:

القذف في اللغة هو الرمي، واصطلاحاً هو رمي المحصن بالزنا أو نفي نسبه، وهو من الكبائر، ويتعلق به الحد[1].

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

حيث راعت الشريعة الإسلامية في عقوبة القذف ما يلي[3]:

١- عدم معاقبة القاذف إلا إذا كان كاذباً بما يقول أو مختلقاً له.

٢- بيان البواعث الدافعة للكذب وهي:

أ- الحسد.

ب- المنافسة.

ج- الانتقام.

٣- وضعت الشريعة عقوبة القذف على أساس محاربة الدوافع النفسية الداعية للقذف بدوافع نفسية مضادة، لتبعد الشخص عن الجريمة قبل الوقوع بها، لهذا حددت العقوبة فيتذكر الشخص التحقير الذي تفرضه عليه الجماعة فيصرفه عن الجريمة[4].

٤- بيان الآثار المترتبة على جريمة القذف والمتمثلة بما يلي:

---

(١) الفيومي، أحمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، جزء٢، ص٤٩٤، عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جز٢، ص٤٥٥؛ الماوردي، علي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص٣٤٨؛ بغداد، الجوارنة، أسامة رضوان، دراسة وتحقيق الجانب الجنائي من مخطوط الأنوار لأعمال الأبرار، ص٢٢١، رسالة ماجستير، ١٤٢٢/٢٠٠١م.

(٢) سورة النور، آية ٤.

(٣) أبو حسان، محمد، مرجع سابق، ص٣٣٩- ٤٤٠، عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٤٦.

(٤) أبو حسان، محمد، مرجع سابق، ص٣٤٨.

أ- سقوط عدالة القاذف.

ب- عدم قبول شهادته.

ج- يوصم بالفسق.

د- الإيلام البدني[1].

٥- بيان حكمة حد القذف وعقوبته والمتمثلة: بحفظ إنسانية الإنسان وشرفه وكرامته وذاتيته.

ثالثاً: حد السكر:

حرمت الشريعة الإسلامية الخمر تحريماً قاطعاً، منذ خمسة عشر قرناً، لأنها تعتبر الخمر أُم الخبائث، وتراها مضيعة للنفس والعقل والمال والصحة، فجاء مبدأ التحريم التدريجي المراعي للطبيعة البشرية[2].

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**﴾[3].

حيث يمكن حصر القيم المقاصدية في حد الشرب بما يلي:

١- بيان الدوافع الداعية للشرب والمتمثلة بـ:

أ- نسيان الآلام النفسية.

ب- الهرب من عذاب الحقائق إلى سعادة الأوهام[4].

---

(١) أبو الفتوح، أبو المعاطي حافظ، النظام العقابي الإسلامي، دراسة مقارنة، ص٢٤٠، ١٩٧٦، أبو حسان، محمد، مرجع سابق، ص٣٤٨، عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء١، ص٦٤٧.

(٢) الجوارنة، أسامة رضوان، دراسة وتحقيق الجانب الجنائي من مخطوط الأنوار لأعمال الأبرار، مرجع سابق، ص٢٤٥.

(٣) سورة المائدة، آية ٩٠.

(٤) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٤٩.

٢- حاربت الشريعة العوامل النفسية الداعية (الدافعة للشرب) بعوامل نفسية مضادة تصرفه عن الجريمة فإذا فكر بالشرب لينسى ألمه النفسي تذكر الألم البدني، لهذا وضعت الشريعة أسباباً للعقوبة وهي:

أ- مضاعفة ألمه بين البدني والنفسي.

ب- مضاعفة عذابه بين عذاب الحقائق والعقوبة البدنية.

٣- بيان الشريعة لحكم ومقاصد التحريم:

أ- إفساد العقل والصحة.

ب- ضياع المال والنسل.

ج- ضياع إنسانية الإنسان وكرامته.

د- العقم.

هـ- ضعف النسل[(١)].

٤- حرم الإسلام الخمر منذ ١٥٠٠ سنة والدول الشرقية والغربية تشهد بأن الإسلام كان على حق لما حرمها وذلك لأن الخمر أم الخبائث كما أثبت بالقرن العشرين وتحاول الدولة الأمريكية والهند وغيرها من الدول فلم تنجح هذه الدول لأن العقوبات التي فرضتها ليست رادعة[(٢)].

---

(١) زيدان، عبدالكريم، مرجع سابق، ص٣٣٩، عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٤٩.

(٢) زيدان، عبدالكريم، مرجع سابق، ص٤٥، عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٤٩- ٦٥٠.

رابعاً: حد السرقة:

السرعة محرمة بالنص وعقوبتها قطع اليد إذا توافرت شروط الجريمة؛ قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ﴾[1].

حيث بينت الشريعة الإسلامية القيم المقاصدية المتمثلة بحد السرقة بما يلي:

١- بيان حد السرقة المتمثل بالقطع والتفريق بين السرقة من جهة والنهب والاختلاس والغصب من جانب آخر[2].

٢- بيان الأسباب الداعية للسرقة والمتمثلة بما يلي:

أ- زيادة الكسب والثراء واستصغار ما يكسبه السارق بالحلال.

ب- طلب التعالي على الناس.

ج- طلب الراحة[3].

٣- بيان لمقاصد وعقوبة حد السرقة المتمثلة بالقطع بما يلي: أن قطع اليد يؤدي إلى (نقص المال والكسب، ونقص الثراء، ونقص القدرة على الإنفاق، ويدعو إلى كثرة العمل). فدفعت الشريعة العوامل النفسية الداعية للسرقة بعوامل نفسية صارفة عن الجريمة، فإذا غلبت العوامل الداعية العوامل الصارفة وقعت العقوبة، وهذا هو أساس عقوبة السرقة بالشريعة الإسلامية وهو سر نجاح عقوبة السرقة قديماً وحديثاً[4].

٤- أخفقت عقوبة السارق في القانون الوضعي في محاربة الجريمة لأنها عقوبة لا تخلق بنفس السارق العوامل النفسية الصارفة عن الجريمة، فالمسجون لا يحتاج إلى كسب في الحبس لأن الطلبات موفرة له وإذا خرج عمل وزاد

---

(١) سورة المائدة، آية ٣٨.

(٢) أبو الفتوح، أبو المعاطي حافظ، مرجع سابق، ص٢٤١، عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ٢، ص٥١٨.

(٣) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٥٢.

(٤) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٥٢.

كسبه وثروته بالحلال والحرام معاً ويخدع الناس ويظهر أمامهم شريف فيتعاونوا معه[1].

٥- ليست الإنسانية أن تقابل السارق بالمكافأة على جريمته وتشجيعه عليها، ويعيش المجتمع باضطراب وخوف ونكد وتعب، ليستولي على ثمار عملنا اللصوص والعاطلون.

٦- أساس عقوبة القطع هو دراسة نفسية وعقلية الإنسان، إذاً فهي ملائمة للأفراد والجماعة لأنها تقلل الجرائم[2].

وللاستزادة من موضوع السرقة يرجع إلى كتاب (السرقة الموجبة للقطع في الفقه الإسلامي، لعبد الفتاح أبو العينين)[3].

خامساً: حد الحرابة (قطع الطريق):

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾[4].

الحرابة: هي قطع الطريق والإخافة بأي سلاح يؤدي إلى تعطيل حركة الإنسان.

---

[1] عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٥٣.

[2] عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٥٤- ٦٥٦.

[3] أبو العينين، عبدالفتاح محمد، السرقة الموجبة للقطع في الفقه الإسلامي، مطبعة الأمانة، مصر، ١٩٨٣.

[4] سورة المائدة، آية ٣٣.

وهذه الجريمة من الجرائم الخطيرة لما فيها من المجاهرة بالإجرام وترويع الناس وأخذ أموالهم بالقوة والقهر وما يترتب على ذلك كله من إخلال خطير بأمن الدولة[1].

وتتحدد عقوبة المحارب بحسب نوع الجريمة وماهيتها على النحو الآتي[2]:

١- **القتل:** تجب عقوبة القتل على المحارب إذا قتل وهي حد ليس بقصاص.

٢- **القتل والصلب:** تجب عقوبة القتل والصلب معاً على المحارب إذا قتل وأخذ المال فالقتل مرحلة مسهلة للأخذ.

٣- **القطع:** تجب عقوبة القطع إذا أخذ المال ولم يقتل.

٤- **النفي:** تجب عقوبة النفي إذا أخاف الناس ولم يقتل ولم يأخذ مال.

ويمكن بيان المقاصد الشرعية من وراء هذه العقوبات فيما يلي:

١- المقصد الشرعي من وراء عقوبة (القتل) هو أن السبب الذي يدفع المحارب للقتل هو الخوف على نفسه فإذا علم أنه حين يقتل غيره إنما يقتل نفسه أيضاً، امتنع غالباً عن القتل فدفعت الشريعة العوامل النفسية الداعية للقتل بعوامل نفسية مضادة والتي تمنع من ارتكاب الجريمة[3].

٢- أما المقصد الشرعي من وراء عقوبة القتل المصحوب بالصلب فهو التمييز والتفريق بين عقوبة القتل وحده، وعقوبة القتل وأخذ المال. لأن كل منهما غير متساويين فوجب اختلاف عقوبتهما، والغرض من العقوبة هو:

---

[1] زيدان، عبدالكريم، مرجع سابق، ص٣٤٠.

[2] أبو الفتوح، أبو المعاطي، مرجع سابق، ص٢٤٢، عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٥٦- ٦٦٠، جزء ٢، ص٦٤٧- ٦٤٨، زيدان، عبدالكريم، ص٣٤٠.

[3] عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٥٦.

أ- تأديب الجاني.

ب- زجر غيره.

فالصلب بحقيقته لا يؤثر على المحكوم عليه وإنما على الناس المحيطين، وإنما يجعل لعقوبة القتل أهميتها وقيمتها بين جمهور الناس وقطاع الطرق[1].

٣- أما المقصد الشرعي من عقوبة القطع فهو أن المجرم في أغلب الأحيان واثقاً بنفسه ونجاحه ولا يستطيع أحد مطاردته حيث يرتكب جريمته عادة في الطرق بعيداً عن العمران، وهذا قد يقوي العوامل النفسية الداعية للجريمة ويغلبها على العوامل الصارفة، فوجب لهذا تغليظ العقوبة حتى تتعادل العوامل[2].

٤- أما النفي فيقصد منه شرعاً علتان:

أولا: إن قصد المحارب في هذه الحالة الشهرة وبعد الصيت، فعوقب بالنفي، مما يؤدي للخمول وانقطاع الذِّكر، فإذا فكر بالجريمة لهذا الغرض ذكر العقوبة فعلم جزائها.

ثانياً: ن قصد تخويف الناس فإنه ينفي الأمن عن الطريق بجزء معين، لكن عوقب بنفي الأمن عنه بكل الأرض، فإذا فكر بالجريمة لهذا الغرض ذكر العقوبة فعلم أنه سينفى من الأرض وينفى عنه الأمن، وبهذا تغلب العوامل الصارفة على العوامل الدافعة، وأساس العقوبة هو فهم طبيعة البشرية وأنفسهم[3].

---

(١) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٥٨.

(٢) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٥٨- ٦٥٩ و جزء ٢، ص٦٥٠.

(٣) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ١، ص٦٥٩- ٦٦٠ و جزء ٢، ص٦٤٨- ٦٤٩.

سادساً: حد الردة:

الردة هي الرجوع عن دين الإسلام بالفعل أو القول[1].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

وكل تشريع مخالف للشريعة الإسلامية باطل لا تجب طاعته ومحرم على المسلمين، ولو أباحته السلطة الحاكمة، ومن يستحدث من المسلمين أحكاماً لم ينزلها الله فهو كافر ظالم فاسق[3].

ويعتبر القصد الجنائي أساس في جريمة الردة، أي بأن يعلم أن هذا القول أو الفعل يؤدي للكفر[4].

وسبب هذه العقوبة ومقصدها هو اعتبارها إخلالاً بالتزام المسلم واستخفافه بنظام الدولة التي اتخذت الإسلام أساساً لكيانها ونظامها[5].

فعقوبة المرتد عن دين الإسلام إذاً هو القتل، أما إذا تاب سقط عنه القتل، فيعود معصوم الدم كما كان قبل الردة، فإذا قتله شخص اقتص منه، أما قبل التوبة يكون المرتد مهدور الدم فإذا قتله شخص لم يعتبر قائلاً بل يعزر فقط لافتياته على السلطة وإحلال نفسه محل الدولة في تنفيذ العقوبة، حتى لو كان المرتد امرأة أو صبي أو رجلاً لأنهم مهدوري الدم[6].

---

(1) الجوارنة، أسامة رضوان، مرجع سابق، ص١٩٠، عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ٢، ص٧٠٦- ٧٠٧.، زيدان، عبدالكريم، مرجع سابق، ص٣٤٠.

(2) سورة البقرة، آية ٢١٧.

(3) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ٢، ص٧٠٩.

(4) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ٢، ص٧١٩.

(5) زيدان، عبدالكريم، مرجع سابق، جزء ٢، ص٣٤١.

(6) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ٢، ص٧٢٧.

سابعاً: البغي:

تعاقب الشريعة على البغي بالقتل[1].

البغاة هم الذين يخالفون الإمام بالخروج عليه وترك الانقياد والامتناع من توفية ما توجه عليهم من الحقوق[2]، والبغي هو الثورة أو الدعوة إلى قلب الأنظمة من غير الطريق المشروع أو بالقوة. وهي مأخوذة من المعنى اللغوي وهو (التعدي والاستطالة)[3] والأصل في ذلك قوله تعالى: **﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾**[4].

ويعتبر القصد الجنائي الركن الرئيسي في جريمة البغي ويشترط لاعتبار الخروج على الإمام بغياً أن يقصد الباغي (خلعه، وعدم طاعته، والامتناع عن تنفيذ ما يجب عليه شرعاً) فإذا قصد الخارج الامتناع عن المعصية فهو ليس بغياً[5]، والبغي جريمة سياسية، وهي ليست جريمة فردية، ولكنها نوع من الانشقاق بين الأمة ويأخذ معظم الفقهاء أحكام جريمة البغي مما حدث بين علي ﷺ، والخوارج وعلى ذلك فهم يرون أن الجريمة هي جريمة الخروج على ولي الأمر[6].

---

(1) أبو الفتوح، أبو المعاطي، مرجع سابق، ص٢٤٢.

(2) الجوارنة، أسامة رضوان، مرجع سابق، ص١٨٣.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (بغا) جزء ١٤، ص٧٨، الشربيني، محمد، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، جزء ٤، ص١٢٣.

(4) سورة الحجرات، آية ٩.

(5) عودة، عبدالقادر، مرجع سابق، جزء ٢، ص٦٩٧.

(6) أبو الفتوح، أبو المعاطي، مرجع سابق، ص٢٤٢- ٢٤٣.

القيم التربوية المتضمَّنة في الحدود

أ- القيم التربوية المتضمنة في الزنا:

أشارت الآيات القرآنية إلى أن القيم التربوية المتضمنة في حد الزنا هي كما يلي:

١. قيمة الطاعة:

أي أن صاحب الحق في تطبيق الحكم الشرعي عليه أن يستجيب لخطاب الشارع عز وجل في تطبيق حد الزنا، والاستجابة تعكس الاتجاهات والقيم الموجودة لديه نحو تطبيق الأحكام الشرعية. كما يعكس قوة الإرادة والعزم والتصميم. وهذا مأخوذ من قوله: ﴿فَاجْلِدُوا﴾.

٢. قيمة العدل:

أي أن يكون تطبيق الحد على كل زانٍ، فلا يطبق على زان دون آخر، وهذا له دور كبير في تغيير بعض الاتجاهات السلبية للأفراد تجاه تطبيق الحكم الشرعي، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾.

٣. قيمة المساواة:

بمعنى أن يكون عدد الجلدات لكل زان غير محصن هو مئة، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾.

٤. قيمة حفظ الأعراض:

وذلك لأنه لابد أن يتوفر أربعة من الشهداء في إثبات حد الزنا. قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾.

وقوله ﷺ لهلال بن أميّة: "البينة وإلا حدٌّ في ظهرك".

٥. قيمة تعديل السلوك:

أي أن تطبيق الحد الشرعي على الزاني يؤدي إلى تعديل سلوكه، ويصبح سلوكاً إيجابياً. وهذا مأخوذ من قوله ﷺ: "البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام".

٦. قيمة حفظ النفس:

فإن شعور الفرد بأن عقوبة الزاني المحصن هي الرجم حتى الموت فإنه سوف يترك هذا السلوك الغير السّوي وتكون اتجاهاته نحوه سلبية. وهذا مأخوذ من قول الرسول ﷺ: "الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة".

٧. قيمة الزجر:

إذ أن تطبيق حد الزنا أمام الناس سيكون ذلك زاجراً لاتجاهاتهم نحو الزنا، وبالتالي يبتعدوا عنه، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٨. قيمة الرحمة:

إذ أن تطبيق الحكم الشرعي على الزاني أو الزانية إنما هو تخليص له من الذنب، ومن العقاب يوم الآخرة. ولأن الحد إنما هو تطهير للإنسان مما اقترفه.

ب - القيم التربوية المتضمنة في حد السرقة:

١. قيمة حفظ الأموال:

لأن تطبيق حد السرقة بالقطع يمنع ويزجر الآخرين عن القيام بمثل هذه السلوكات الغير مرغوبة لقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾.

٢. قيمة المساواة:

أي أن تطبيق حد السرقة يتساوى فيه الجميع، ذكوراً وإناثاً، حاكماً ومحكوماً، لقوله ﷺ: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".

٣. قيمة العدل:

إن تطبيق الحد الشرعي على السارق بقطع يده إنما يمثل العدل المطلق، وهو يناسب الدوافع والجوانب النفسية والانفعالية لسلوك السرقة. وإن منع هذه الدوافع هو السبيل الوحيد لمنع سلوك السرقة، كما أن إزالة الوسيلة الوحيدة لتحقيق أهداف سلوك السارق إنما يكون بقطع يده.

٤. قيمة الزجر:

إن إيقاع عقوبة السرقة على السارق إنما هي زجرٌ لغيره من القيام بتلك السلوكات، كما أنها تدفع سلوكه ليكون سلوكاً إيجابياً، هذا إضافة إلى أن السارق إذا عرف ما يترتب على سلوكه فإنه حتماً ستزول كل دوافع ذلك السلوك.

٥. الإصلاح والتهذيب:

يشعر السارق بعد أن تقطع يده بمشاعر الذنب وعدم قبوله لسلوكاته عندما سرق، كما أن دوافعه ورغباته، والحوافز الدافعة لسلوكه سوف تتغير وستكون إيجابية بعد قطع يده، وهو ما يسمى بالتعزيز السلبي.

ج- القيم التربوية المتضمنة في حد الشرب:

١. قيمة حفظ العقل:

جعل الله سبحانه وتعالى عقل الإنسان مناط التكليف وبه يستطيع أن يرتفع إلى أعلى الدرجات، وبه ينزل إلى أسفل الدركات، وقد أعطى القرآن الكريم الاهتمام الكبير بالعقل. ولذلك وضع القواعد اللازمة للحفاظ على هذا العقل، وسن الشرائع اللازمة لحفظه، والعقوبات المناسبة للإضرار به من جعل حد الشرب هو الجلد.

فالشارب يريد أن ينسى وأن يكون في غير الحياة الواقعية، فكان الضرب علاجاً لأوهامه، وانفعالاته الغير سويّة.

٢. قيمة حفظ المال:

إن إقبال الإنسان المسلم على شرب الخمر يجعله يصرف نقوده وأمواله فيما لا فائدة منه، ولا حاجة فيه، وإن شرب الخمر يفسد المال، وهو إضاعة له.

والمال وضع وأعطي للإنسان للابتلاء والامتحان، وليستطيع أن يقوِّم به حياته، وتستقيم أموره وليس لإضاعته، ومن هنا كان من أول ما يسأل عنه المرء يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

٣. قيمة الرحمة:

إن عقوبة شرب الخمر هي رحمة للشارب، لأنها إنهاء لما بداخله من أوهام، وانفعالات متعددة سلبية، وهي رحمة له لأنها تحافظ على عقله، وتحافظ على ماله، وهي رحمة للمجتمع ليكون مجتمعاً نظيفاً من كل ما يؤثر عليه.

٤. قيمة الزجر والردع:

إن معرفة الشارب أن مصيره هو الضرب والتعزير أمام المسلمين يجعله يفكر ملياً قبل قيامه بالسلوك الغير سوي، وهو رادع له ولغيره بعد الفعل، وبعد تطبيق العقوبة عليه لأنه سيشعر بأنه سيكون منبوذاً من المجتمع وسينظر إليه نظرة ازدراء ومهانة.

د- القيم التربوية المتضمنة في حد القذف:

١. قيمة حفظ الأعراض (الكرامة):

إن شيوع ظاهرة القذف في أي مجتمع ما إنما هو اعتداء كبير على كرامة الإنسان، لأنه اتهام بالباطل، وهذا سيؤدي إلى تفكك المجتمع وأن لا يكون متعاوناً ومتراحماً فيما بينه. وفي حد القذف حفظ لكرامة وإنسانية الإنسان لأنه مخلوق مكرم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

٢. قيمة الصدق:

طلب الإسلام من كل مسلم أن يكون صادقاً في كلامه وفي أفعاله، فطلب منه أن يتحرى الصدق، وأن يكون صادقاً، وكرهه في سلوك وخلق الكذب، لأن الإنسان المسلم قد يكون زانياً وقد يكون سارقاً لكنه لا يكون كاذباً لأن الكذب ضد الإيمان ومن هنا اشترط الشرع أربعة شهداء حتى تكون الشهادة مقبولة وفيه ترغيب إلى المسلم بأن يكون صادقاً ويبتعد عن الكذب.

٣. قيمة الترهيب:

جعل الحق سبحانه وتعالى عقوبة على كل قاذف لم يكن له شهود أربعة، وهذه العقوبة تمثل تعزيزات سلبية، وترهيب له من أن يكون كاذباً في كلامه.

٤. قيمة التهذيب:

إن في عقوبة وحد القذف تهذيب لنفس القاذف وإصلاح له وهي تهذيب له من الحسد الذي قد يدفعه لقذف الآخرين، وقد يكون دافعه الانتقام منه، وبذلك كان حده الضرب والجلد الذي يمنعه من سلوك القذف الغير سوي، وغير المرغوب فيه، والمتعارض مع قيم الإسلام.

هـ- القيم التربوية المتضمنة في حد الحرابة:

١. قيمة حفظ النفس:

يعتبر حفظ النفس من مقاصد الشريعة الإسلامية، وبين القرآن الكريم، أن قتل النفس بغير الحق يعدل قتل الناس جميعاً. وإن في وضع عقوبة الحرابة إنما هو حفظ نفوس المسلمين، لأن المحارب قد يكون من مقاصده قتل الآخرين.

٢. قيمة حفظ المال:

يشكل المال دافعاً قوياً لمريضي النفوس، وأصحاب الهمم غير العالية نحو أخذ المال من غير سبب شرعي، وإرضاء لأهواء النفس وشهواتها، ومن هنا جعل الشارع عز وجل عقوبتهم كما هي للتخلص من الدوافع السلبية.

٣. قيمة حفظ العرض:

تشكل الكرامة الإنسانية التي أعطاها الحق تعالى للإنسان أساس حياته واعتزازه، وإن الاعتداء على هذه الكرامة والإنسانية هو جريمة عظيمة فيها إفساد للإنسان، والمجتمع، ولهذا كان حد الحرابة علاجاً واقياً وفاعلاً.

٤. قيمة حفظ المجتمع :

يشكل المجتمع الإسلام مجموعة الأفراد والأشخاص الذي تحكم عقيدة التوحيد وإن هذا المجتمع بكل أنظمته الاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية وغيرها لابد أن يكون قوياً ، وفعالٌ ، ومحققاً لأهدافه وإن جريمة الحرابة إنما هي قتل للمجتمع وتمزيق له ، وتفريقاً لأفراده لأن بها قضاء على الأموال ، والأنفس ، والأعراض. فأي مجتمع فعال نظيف يسلب منه الأموال ، وتقتل فيه الأنفس ، وتنتهك فيه الأعراض يتحول إلى غاية مليئة بالوحوش التي تنهش ببعضها ، فيتحول عندها المجتمع الإنساني إلى مجتمع بهيمي حيواني متوحش ، تنعدم به صفات الإنسانية.

و- القيم التربوية المتضمنة في حد البغي :

١. قيمة حفظ النظام :

يعتبر الأمن أساساً لكل مجتمع ولا يمكن أن يكون هناك مجمعاً أو أمة من دون أمن ، وهي حاجة لكل فرد من الحاجات الأساسية لذلك قال تعالى : ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

٢. قيمة حفظ الأنفس :

إن في سلوك البغي هو إزهاق للأرواح وقتل للنفوس ، ولزوال الدنيا عند الله هو أهون من إزهاق روح مسلم لذلك كان حفظ الأنفس من خلال تطبيق عقوبة البغي.

ز- القيم التربوية المتضمنة في حد الرّدة:

١. قيمة حفظ النظام:

ذلك أن ارتداد المسلم عن دينه إنما هو استخفاف بنظام الإسلام، والدين الحنيف، وفيه تحطيم لمعالم الدين داخل الفرد من هنا جاءت عقوبة المرتد، لتحافظ على نظام المجتمع والفرد.

٢. قيمة حفظ النفس:

إن شعور المسلم بأن نفسه ستزهق بسلوكه الذي يقوم عند الارتداد عن دين الله عز وجل سوف يزول عندما يعلم أن مصيره القتل وأنه يموت كافراً.

٣. قيمة الإصلاح النفسي:

إن تردد الإنسان في إسلامه وإيمانه وعدم معرفته الدين الحق ولا يمكن تغييرها إلاّ من خلال عقوبة مناسبة لهذه الانفعالات والسلوكات، وهذا العلاج هو حد الرّدة.

٤. قيمة الترهيب:

أشار الرسول ﷺ إلى أن التارك لدينه المفارق للجماعة، إنما هو إنسان خرج من دين الله، وخرج من المجتمع الإسلامي، وعليه يستحق صاحبه القتل، والخلود في النار وهذا ترهيب له يرجعه عن السلوك الغير مرغوب فيه إلى ما هو مطلوب منه.

إجمال القيم التربوية المتضمنة في الحدود الشرعية:

١- قيمة الطاعة.

٢- قيمة العدل.

٣- قيمة المساواة.

٤- قيمة حفظ الكرامة الإنسانية.

٥- قيمة حفظ الأعراض والأنساب.

٦- قيمة حفظ النفس.

٧- قيمة حفظ المال.

٨- قيمة حفظ العقل.

٩- قيمة حفظ الدين.

١٠- قيمة تعديل السلوك.

١١- قيمة الزجر.

١٢- قيمة الرحمة.

١٣- قيمة الإصلاح.

١٤- قيمة الصدق.

١٥- قيمة الترهيب.

الأصول الإسلامية لتربية الأطفال المعوقين

مع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين وحتى اليوم اعترف كُتّاب غربيون كثيرون بأن نظرة الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة (المعوَّقين) سبقت وفاقت جميع التشريعات الغربية والشرقية الحديثة التي زعمت أنها تسعى لتأمين حقوق تلك الفئة من فئات المجتمع.وسعت إلى تأطير تلك الحقوق وبلورتها في مواثيق واتفاقيات دولية.

ويدفعنا هذا إلى محاولة البحث عما تضمنته الشريعة الغراء من حقوق لذوي الحاجات الخاصة ممثلة في الكتاب والسنة اللذين يغطيان كل جوانب حياة الإنسان، من حيث هو إنسان، تشريعاً وتأديباً. والمتدبر لآي الذكر الحكيم، والأحاديث النبوية الشريفة يجد أنهما اختصا المعوَّقين بعدد من التشريعات التي تكفل لهم كثيراً من حقوقهم.

وبدايةً لم يجعل الإسلام الصورة البدنية معياراً للتفاضل بين أفراد المجتمع المسلم، بل نصّت آيات القرآن الكريم على أن التقوى هي معيار التفاوت بين أفراد الإنسانية جمعاء.

كما أن حرص الشريعة الإسلامية على التسوية بين المسلمين في الحقوق والواجبات واضحٌ في الكثير الشائع من نصُوصِ الكتاب والسنّة، فالمسلمون "يسعى بذمتهم أدناهم"، ومثلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسَّهَرِ، والحمّى. وفي هذا الإطار، تأتي رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يُعبَّر عنهم في نصوص الشريعة بألفاظ عامة مثل:

١- الضعفاء. ٢- المرضى.

٣- أولي الضرر. ٤- أصحاب الأعذار.

إشارة إلى ما يُعانُونه من ظروف خاصة، كما قد يُشار إليهم باسم العاهة التي ابتلى بها كل منهم مثل (الأعمى - الأعرج - الأصم - السفيه "التي تدل على المرض العقلي"). ولكن القرآن الكريم حين يستعمل أسماء العاهات يشير بوضوح إلى أن استعمال هذا اللفظ أو ذاك إنما هو للتعريف فقط، ولا يقصد به الإهانة أو الازدراء، إذ مفهوم العمى الحقيقي أو الصمم الحقيقي في التعبير القرآني إنما ينصبّ على عمى القلوب التي في الصدور، أو الصمم عن الاستماع إلى الحق.

وعلى ذلك فلا حرج من أن نستعمل الاسم العربي لهذه الفئة وهو (المعوقون) بديلاً عن التعبير الإنجليزي المعرب (ذوو الحاجات الخاصة)؛ لأن في اللفظ العربية استدعاء لروح التعاون والتكافل الاجتماعي، وحفزاً لأصحاب الهمم العالية من الأسوياء لمدّ يد العون والعطف والرعاية لإخوانهم أصحاب الابتلاء. أما اللفظ الإفرنجي ففيه ما يُشعر بالتمييز الاجتماعي، فضلاً عما فيه من اتساع لا يقف عند حدود أصحاب البلاء، بل قد يضم إليهم كثيراً من الأسوياء ممن لهم احتياجات خاصة.

الأصول الإسلامية العامة لرعاية المعوقين:

إن نظرة الإسلام إلى الأطفال المعوقين جزء من نظرته المتكاملة للإنسان المكرّم المستخلف في الأرض، وعلى هذا الأساس فقد كفلت الشريعة الإسلامية للمعوقين حقوقاً تنطلق من الأصول العامة لرعاية هذه الفئة. وهذه الأصول يمكن إجمالها فيما يلي:

(١) حماية الطفل المعوق من السخرية والازدراء:

والمستند الشرعي لهذا الأصل هو قوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيرًا مِنهُمْ﴾[١]، وقول الرسول ﷺ: (بحسب امرئ من الشرّ أن يحقّر أخاه المسلم).

(٢) النظرة إلى الإعاقة على أنها ابتلاء من الله تعالى:

والستند الشرعي لهذا الأصل هو قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الْصَابِرِينَ﴾[٢]، وقول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (ما يصيب المؤمن من وصَبٍ ولا نصبٍ ولا هَمٍّ ولا حُزنٍ ولا غمٍّ حتى الشوكة يشاكَهَا إلا كفَّر الله بها من خطاياه)[٣].

وقوله ﷺ: (المصائب حطة تحط الخطايا عن صاحبها، كما تحطّ الشجرة القائمة ورقها)[٤].

(٣) المساواة بين البشر تشمل المعوّقين:

إن الإسلام لم يُقِم وزناً للفروق العرقية، أو الجسدية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية بين الناس، والمستند الشرعي لهذا الأصل هو قوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

---

[١] الحجرات/ ١١٠.

[٢] البقرة/ ٥٥.

[٣] رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض –حديث ٥٦٤٠، ٥٦٤١ –ومسلم في صحيحه،كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه –حديث ١٩٩١- ٢٥٧١.

[٤] البخاري –كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل، حديث ٥٦٤٨.

عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...﴾[2]، وقوله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وألوانكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[3]، وقوله: (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى)[4].

(٤) مسؤولية الدولة عن رعاية المعوقين مؤكدة إسلامياً:

للمعوقين على الدولة حقوق عامة، وحقوق خاصة. أما الحقوق الخاصة فسوف نتناولها بعد قليل، أما الحقوق العامة فهي تترتب لهم بوصفهم أفراداً في المجتمع الذي تقع مسؤولية تأمين حاجاته جميعاً على عاتق الحاكم، والمستند الشرعي لهذا الحق هو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)[5]، وقوله: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفَقَ بهم، فارفُق به)[6].

في إطار هذه الأصول الإسلامية العامة، يأتي تناول الشريعة الإسلامية لما للمعوقين من حقوق على الدولة والمجتمع سنفصلها في السطور القادمة:

---

(١) الحجرات/ ١٣.

(٢) الأنعام/ ١٣٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة —حديث ١٩٨٧.

(٤) مسند أحمد، جـ٢، ٢٨٥.

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه مسلم في صحيحه، جـ١٢ : ٢١٢.

حقـوق المعـوقيـن:

(١) الحق في الأمن النفسي:

لا يخفى على أحد أن المعوّق يحتاج إلى قدرٍ أكبر من الرعاية الصحية والنفسية وحاجته إلى الأمن النفسي أشد من حاجة غيره، نظراً لما قد يعتريه من شعورٍ بالنقص نتيجة إحساسه -أحياناً- بالعجز عن فعل ما يفعله الآخرون، وحرمانه المستمر من التمتع بحرية الحركة في الحياة. ومن هنا فقد راعت الشريعة الغرّاء تلبية هذا الجانب فوردت النصوص الشرعية التي تدلّ على أحقية المعوّق في الشعور بالأمن النفسي:

أ- فقد أخرج مسلم في صحيحه [٢٢٩٥/٤] عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ أنه قال: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، إن أصابته ضرّاء صفر فكان خيراً له).

ب- وروى الترمذي [٥٢٠/٤] وابن ماجه [٤٠٢٣] وأبو يعلي في مسنده [١٤٣/٢] والحاكم في المستدرك [٤٢/١] والدارمي [٣٢٠/٢] وغيرهم، من أكثر من طريق، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سُئِل: "من أشد الناس بلاءً؟" فقال: (الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زِيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خُفِّف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة).

فهذان الحديثان -ومثلهما كثير في السنة- فيهما تطمين لمن ابتلاهم الله تعالى بآفة من الآفات، أو عجز في البدن، أو اختبار في النفس أو المال أو الولد.

كما ورد في السنة ما يدلّ على أن من أصابته الإعاقة ولم تكن فيه بدءاً، فهو محفوف برعاية الله ولطفه. فقد أخرج أحمد في مُسنده [٢٤٨/٣، ٢٥٨] وأبويعلي [٢٣٢/٧] والبخاري في الأدب المفرد [٢١٧] وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاءٍ في جسده قال الله "للملائكته" اكتبوا له صالح عمله الذي كان يعمله، فإن شفاه غسّله وطهّره، وإن قبضه غفر له ورحمه).

ومثل ذلك ما رواه أحمد في مسنده [١٢٣/٤] والطبراني في الكبير [٣٣٦/٧] أنه ﷺ قال: (إن الله عز وجل يقول: إني إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب عز وجل: أنا فديت عبدي، وابتليته فأجروا له أجره كما كنتم تجرون له وهو صحيح).

كما روى أحمد [٩٨/٤] والحاكم [٣٤٧/١] عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كفّر الله عنه به من سيئاته). وقد كان بعض المسلمين في العهد الأول يتحرّجُون من الأكل مع العميان والمرضى وذكروا لذلك أسباباً:

- فقيل: إنهم كانوا يتقزّزُون من الأكل مع العميان ويستقذرونهم.
- وقيل: إن الأعرج لا يستطيع المزاحمة والمدافعة مع غيره حتى يصل إلى ما يريد من الطعام.
- وقيل: إن الأعمى لا يبصر كيف يصل إلى أطايب الطعام.
- أو أن الأعمى يخجل من مراقبة المبصرين إياه إذا أكل معهم فقد يخطئ أو يسقط بعض طعامه عل ملابسه .. الخ.

وتيسيراً على أولئك وهؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ..﴾[1].

ونقل الإمام الطبري رحمه الله عن السلف في تفسير هذه الآية[١٨٦/١٨] أنها نزلت ترخيصاً للمسلمين في الأكل مع ذوي العاهات كالعميان وغيرهم "من أجل أنهم امتنعوا أن يأكلوا معهم خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيئاً مما نهاهم الله عنه" أي أنهم ربما كانوا يتخوّفون من أن يظلم بعضهم بعضاً دون قصد، فكان تحرّجهم من الأكل الجماعي تورعاً عن الظلم. فكان نزول هذه الآية توسعة على الناس في أمور الطعام والشراب بين الأهل والأصدقاء. ولا شك في أن ذلك منُوط بالرضا المتبادل بين الأطراف المختلفة، والرغبة في تخفيف حدة التكلف في علاقات القرابة والجيرة والصداقة، وتقوية صلات الأخوة الإسلامية.

وهذه الآية حجّة في أهمية تحقيق الأمن النفسي بالنسبة للمعوقين، لأنهم إذا عاشوا حياة طبيعية مع إخوانهم طابت نفوسهم ولم يعد لعاهاتهم تأثير كريه في نفسياتهم.

كل هذه النصوص تؤكد حق المعوق في الأمن النفسي، فهي تبعث في نفسه الطمأنينة حين يشعر بقربه من الله تعالى، وأنه محل عطفه وعفوه في الآخرة فيحيا في دنياه آمناً مطمئناً حامداً شاكراً مقبلاً على حياته متقبلاً بلاءه وهو صابر محتسب). كما أنه من جوانب الأمن النفسي للمعاق ما أشرنا إليه سابقاً من نهي

---

[1] النور/ ٦١.

القرآن الكريم عن سخرية قوم من قوم أو نساء من نساء، ففي السخرية من أصحاب العاهات إهانة تجدد إحساسهم، كلما تكررت، بالضعف والهوان، ولذلك نقل الترمذي [٥/ ٤٦٠] عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم جميعاً في تفسير حديث (من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثيرٍ من خلقه تفضيلاً، إلا عوفي من ذلك البلاء)[١] أن أبا جعفر قال: "يقول المتعوذ ذلك في نفسه ولا يُسمع صاحب البلاء"، فهذا التفسير من سليل بيت النبوة يدلّ عل الفهم الصحيح للنص النبوي الكريم حتى لا يُساء فهمه.

(٢) الحق في التعليم:

كان عند رسول الله ﷺ رجلٌ من كبار المشركين، والنبي محتفٍ به مقبلٌ عليه، وجاء ابن أمّ مكتوم- وهو صحابي كفيف- فجلس في مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: أرشدني. والرسول عليه السلام مُعرض عنه، مُنشغل بالمشرك يقول له: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: (لا). وابن أم مكتوم يواصل إلحاحه: أرشدني.

هذا ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها عن سبب نزول العتاب الإلهي الشديد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ❖ أَنْ جَآءَهُ الأَعْمَى ❖ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ❖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ❖ أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى ❖ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ❖ وَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ يَزَّكَّى ❖ وأَمَّا مَنْ جَآءَكَ يَسْعَى ❖ وَهُوَ يَخْشَى ❖ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[٢].

---

[١] حديث حسن رواه الترمذي (٥/ ٤٥٩) وغيره.

[٢] عبس/ ١- ١٠.

هذه الآيات الكريمة وما ورد في تفسيرها دليل قاطع على مراعاة الإسلام لحقوق المعوقين في التعليم والإرشاد. ويسير معها على تأكيد هذا الحقّ نفسه - الحق في التعليم- ما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن أنواع الصدقة لمن لا يملك مالاً فأجابه الرسول الكريم ﷺ: بقوله: (إن من أبواب الصدقة التكبير، وسبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأستغفر الله، وتأمر بالمعروف: صدقة، وتنهى عن المنكر: صدقة، وتعزل الشوكة عن طريق الناس، والعظمَ والحَجَرَ، وتهدي الأعمى وتُسمع الأصم والأبكم حتى يفقه، وتدلّ المستدل على حاجة له قد علمت مكانها وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك..)[1].

فقوله عليه السلام (تَسمع الأصمّ والأبكم حتى يفقه)؛ يدلّ على ضرورة تعليم المعوقين بأية وسيلة كانت من وسائل الإفهام والتعليم. يظهر ذلك من استخدام الحرف (حتى) الذي وُضع في اللغة لبيان الغاية، أي يجب بذل الجهد بكل أنواعه لتحقيق الغاية المنشودة وهي: التفقيه والتعليم.

(٣) الحق في العمل:

يظن بعض قصار النظر أن الإسلام حين أعفى الأعمى والأعرج والمريض من المشاركة في الجهاد، فإنما قصد بذلك إلى عزل فئات هؤلاء المعوّقين عن كل نشاط اجتماعي، وهذا غير صحيح، فقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيَّن ابن أم مكتوم -الأعمى- مؤذناً مع بلال بن رباح رضي الله عن كليهما، فقد أخرج البخاري بسنده في صحيحه قول النبي ﷺ في شهر

---

[1] أحمد بن حنبل، المسند، ١٦٨/٥.

رمضان: (إن بلالاً يؤذن بليلٍ، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم)[1]. بل وأكثر من ذلك، فقد استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في بعض أسفاره على نحو ما نراه في فتح الباري [٢/٩٩]، قال: "وشهد القادسية في خلافة عمر واستشهد بها." وكان دوره في تلك المعركة حمل الراية لعدم قدرته على المنازلة بالسلاح.

فكل هذا يؤكد حق المعوق في الحصول على وظيفة تناسب قدراته بما يحقق له الاندماج مع مجتمعه وتخفيف حدة الشعور بالنقص لديه. وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن إعفاء المعوّقين من القتال لا يعني إعفاءهم من أي أدوار اجتماعية، بل عليهم واجب النصح للأمة -وهو ميسور بالنسبة لهم- لتتحقق لهم الفاعلية في مجتمعاتهم ويكون لهم وظيفة علمية وخلقية تناسب قدراتهم فذلك حيث يقول تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

(٤) الحق في الرعاية الاجتماعية:

إذا كان الإسلام قد كفلَ لذوي الحاجات الخاصة حق التعليم وحقّ العمل، كما أسلفنا، فإن كفالة هذين الحقّين إنما يكون جزءاً من منظومة أكبر من الحقوق تستهدف في النهاية إدماج المعوّقين في مجتمعهم بحيث لا يشعر الواحد منهم أنه عبء عل غيره؛ فتصيبه العُقد النفسية، وينزوي وينطوي ويكتئب، وقد يتحول -مع تزايد العقد النفسية- إلى طاقة مدمرة تؤذي نفسه وغيره.

ولذلك شدّد رسول لله ﷺ على الحُكّام وأولي الأمر أن يهتموا بحاجات الفقراء والضعفاء [ومنهم المعوقون]، فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده

---

[1] البخاري/ ١/١١٦.

[2] التوبة/ ٩١.

[٥/ ٣٨] عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (من وليَ من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولي الضَّعْفة والحاجة، احتجب الله عنه يومَ القيامة).

وقد ورد في قصص الخلفاء الراشدين مواقف كثيرة تدلّ على رعايتهم رضي الله عنهم للضعفاء والمرضى والمعوقين حتى لو كانوا من غير المسلمين؛ لأنهم جزء من المجتمع وفي رعايتهم صيانةً للمجتمع ولهُم.

(٥) الحق في إعفائهم مما لا يُطيقون:

كَفَلَ الإسلام لذوي الحاجات الخاصة الحقّ في الإعفاء من كل ما لا طاقة لهم به -لظروفهم الخاصة- فقد رفع الله تعالى عنهم الجهاد بقوله سبحانه: **﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ..﴾**[1].

وقد أجمع المفسّرون على أن هذه الآية خاصة بإعفائهم من الجهاد؛ لما يحتاجه من قوة الجسد والحواسّ وسلامتها من الآفات التي تعُوق حرية الحركة وسرعتها وهما مما يتطلبه الجهاد آنذاك.

ولكن هذا الإعفاء من الجهاد ارتبط بتأكيد حق هؤلاء المُعْفَيْن في الثواب، فقد روى الإمام البخاري بسنده في صحيحه [٢/ ١٤٤] عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في غزوة من غزواته -قيل إنها تبوك- ذكر لأصحابه وهم في طريق الغزوة أن المعوقين الذين لم تمكنهم ظروفهم من المشاركة وبقُوا في المدينة مشاركون للمجاهدين في الأجر والثواب، فقال عليه السلام: (إن أقواماً بالمدينة خلفنا، ما سلكنا شِعْبًا ولا وادياً إلا وهم معنا فيه حَبَسَهُم العُذْرِ). وفي هذا السياق أطلق القرآن الكريم على فئة المعوقين تعبير **﴿أُوْلِي الضَّرَرِ﴾** أي: الذين قعدت بهم

[1] الفتح/ ١٧.

ظروفهم الخاصة عن الجهاد، فاضطروا اضطراراً للتخلف، فذلك حيث يقول جلّ شأنه: ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُون مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وقد حكى الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه قصة نزل هذه الآية كما شاهدها، فقال: "كنت قاعداً إلى جنب النبي ﷺ يوماً، إذْ أُوحيَ إليه وغشِيَتْهُ السكينة، ووقع فخذه على فخذي حين غشيته السّكينة فلا والله ما وجدت شيئاً قطّ أثْقل من فخذ رسول الله ثم سُرِّي عنه فقال: (اكتب يا زيد)، فأخذت كتفاً -أداة للكتابة عليها- فقال: اكتب: ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُون مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... الآية كلها إلى قوله .. أَجْرًا عَظِيمًا﴾، فكتبت ذلك في كتف، فقام حين سمعها ابن أمّ مكتوم، وكان رجلاً أعمى، فقام حين سمع فضيلة المجاهدين فقال: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمى أو أشباه ذلك؟.

قال زيد: فو الله ما مضى كلامه حتى غشيت النبيّ السكينةُ فوقعت فخذه على فخذي فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الأولى، ثم سرّي عنه فقال: (اقرأ) فقرأت عليه ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُون مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾ فقال النبي: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ قال زيد: فألحقتها فو اللهِ لكأني أنظر إلى مُلحَقِها عند صدعٍ كان في الكتف"[2].

ومما يتصل بتقدير الشرع الإسلامي الحنيف لظروف المعوقين الخاصة، وإعفائهم مما لا طاقة لهم به ما أخرجه الإمام مالك في [الموطّأ: ١/١٧٢] أن رجلاً أعمى اسمع عتبان بن مالك، كان يؤمّ قومه للصلاة على عهد رسول الله ﷺ.

---

(١) النساء/ ٩٥.

(٢) مسند ابن حنبل، ٤/ ٢٨٢.

وذات يوم كان النبي ﷺ يزوره في بيته، فقال له عتبان: "يا رسول الله. إنها تكون الظلمة والمطر والسيل. وأنا رجل ضرير البصر، فصلِّ يا رسول الله في بيتي في مكانٍ أتخذه مصلًّى. فقال النبي ﷺ: (أين تحب أن أصلي)؟ فأشار إلى مكان من البيت. فصلى فيه رسول الله ﷺ، ففي هذا الحديث دلالة على:

- حب النبي ﷺ لصحابته وتقديره لظروفهم.
- تفقده إياهم بالزيارة حين يطلبون ذلك.
- تلبية رغباتهم في التبرك به عليه الصلاة والسلام.
- إسقاط صلاة المسجد (الجماعة) في حالة الضرورة كالمطر والسيل.
- تقدير ظروف الأعمى الذي لا يجد قائداً؛ لأنه لو كان له قائد لما شكى للرسول صلى الله عليه وسلم ولما قبل عذره.

أفلا يحقّ للتربويين المعاصرين الذين يبحثون الآن عن حقوق المعوقين أن يعودوا إلى مثل هذا التراث الثري فينهلون منه؟!.

نظـرات تربـويـة في فقـه البيـع والشـراء والإعـلان

مفهوم (التجارة) في الأسلوب القرآني
ودلالاته التربوية

التجارة بمعنى تبادل السلع، أو مبادلة السلع بالعملات، هي قوام حياة الناس منذ بدأت الإنسانية تتشكل على هيئة تجمعات بشرية، لكل تجمع أو جماعة منها قدرات اقتصادية - مادية أو بشرية - معينة، واحتاجت تلك الجماعات، من أجل تحقيق مصالحها واستمرار بقائها، إلى تبادل المنافع والخبرات.

وتزداد أهمية التجارة في حياة الناس، بازدياد تعقد الحياة، واختلاف نظم المعيشة من بلد إلى أخرى، أو من جماعة إلى أخرى، إذ تحتاج كل جماعة إلى غيرها لسد احتياجاتها من الغذاء والكساء ولوازم العمران ومتطلبات الرفاهية.

ولما كان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين، وبلغة قريش، وهم أهل التجارة الذين سجل القرآن الكريم رحلاتهم التجارية في الشتاء والصيف لما كان ذلك كذلك، فقد يكون من المهم أن نلقي نظرة إلى الأساليب المختلفة التي استخدم فيها لفظ (التجارة) في القرآن الكريم في سياقات مختلفة لننظر بعد ذلك فيما تدل عليه تلك الاستخدامات من الوجهة التربوية.

التجارة في السياق المعنوي:

١- استخدم القرآن الكريم لفظ التجارة في سياق معنوي، بهدف الموازنة بين الحق والباطل، ليدرك السامعون والقارئون لكتاب الله، مدى ضلال الضالين، وانحراف المنحرفين، بمنظور اقتصادي بحت.فالكفار والعصاة حين

يعرضون عن منهج الله ﷻ، ويختارون الزيغ والضلال فكأنهم بذلك يبيعون الغالي، ويشترون الرخيص، ويؤثرون الفاني على الباقي، يقول ﷻ: **﴿أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾**[1].

فإن قال قائل: وكيف اشترى هؤلاء القوم الضلالة بالهدى، وإنما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم إيمان فيقال فيهم باعوا هداهم الذي كانوا عليه بضلالتهم حتى استبدلوها منه؟ ومعنى الشراء المفهوم اعتياض شيء ببذل شيء مكانه عوضا منه. والمنافقون الذين وصفهم الله بهذه الصفة لم يكونوا قط على هدى فيتركوه ويعتاضوا منه كفرا ونفاقا؟

قال الإمام ابن جرير الطبري في إجابة هذا السؤال :

"روي عن ابن عباس أن المراد بقوله تعالى: **﴿أولَئِكَ الّذِينَ اشتَروا الضّلالَةَ بالهُدى﴾** أي الكفر بالإيمان، وقيل أخذوا الضلالة وتركوا الهدى. وقيل: استحبّوا الضلالة على الهدى. وقيل: أي: آمنوا ثم كفروا.

قال أبو جعفر: فكأن الذين قالوا في تأويل ذلك: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى، وجهوا معنى الشراء إلى أنه أخذ المشتري مكان الثمن المشترى به. فقالوا: كذلك المنافق والكافر قد أخذا مكان الإيمان الكفر، فكان ذلك منهما شراء للكفر والضلالة اللذين أخذاهما بتركهما ما تركا من الهدى، وكان الهدى الذي تركاه هو الثمن الذي جعلاه عوضا من الضلالة التي أخذاها.

وأما الذين تأولوا أن معنى قوله: «اشتروا»: «استحبوا»، فإنهم لما وجدوا الله جل ثناؤه قد وصف الكفار في موضع آخر فنسبهم إلى استحبابهم الكفر على الهدى، فقال: وأمّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهمْ فاستَحَبّوا العَمَى على

---

[1] البقرة/ ١٦.

الهُدَى صرفوا قوله: اشْتَروا الضّلالَةَ بالهُدَى إلى ذلك وقالوا: قد تدخل الباء مكان «على»، و«على» مكان الباء، كما يقال: مررت بفلان ومررت على فلان بمعنى واحد. وكقول الله جل ثناؤه: وَمنْ أهْلِ الكِتابِ مَنْ إنْ تأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤدّهِ إلَيْكَ أي: على قنطار. فكان تأويل الآية على معنى هؤلاء: أولئك الذين اختاروا الضلالة على الهدى. وأراهم وجهوا معنى قول الله جل ثناؤه: اشْتَروا إلى معنى «اختاروا». لأن العرب تقول: اشتريت كذا على كذا. و«اشتريته» يعنون اخترته عليه. ومن الاشتراء قول أعشى بني ثعلبة:

فقَدْ أُخْرِجُ الكاعبَ المُشْتَراةَ[1] مِنْ خِدْرِها وأُشْيِعُ القِمَارا

ولكن الإمام الطبري لم يمل إلى هذا الوجه من التأويل. لأن الله جل ثناؤه قال **﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ﴾** فدل بذلك على أن قوله تعالى **﴿أولَئِكَ الّذِينَ اشْتَروا الضّلالَةَ بالهُدَى﴾** يتضمن معنى الشراء الذي يتعارفه الناس من استبدال شيء مكان شيء وأخذ عوض على عوض.

وقال "والذي هو أولى عندي بتأويل الآية ما روينا عن ابن عباس وابن مسعود من تأويلهما قوله تعالى: **﴿اشْتَروا الضّلالَةَ بالهُدَى﴾** أي أخذوا الضلالة وتركوا الهدى. وذلك أن كل كافر بالله فإنه مستبدل بالإيمان كفرا باكتسابه الكفر الذي وجد منه بدلاً من الإيمان الذي أمر به".

وذلك لأن المنافقين بشرائهم الضلالة بالهدى خسروا ولم يربحوا، لأن الرابح من التجار المستبدل من سلعته بدلاً هو أنفس من سلعته أو أفضل

(١) يعني بالمشتراة: المختارة.

من ثمنها الذي يبتاعها به فأما المستبدل من سلعته بدلاً دونها ودون الثمن الذي يبتاعها به فهو الخاسر في تجارته لا شك.

٢- كما استخدم القرآن الكريم لفظ التجارة في سياق معنوي آخر، بهدف تقريب القيمة المعنوية إلى الإدراك الحسي الإنساني. وذلك حين أراد أن يقنع المؤمنين بالعمل الصالح وأهمية حبه وإيثاره والإقبال عليه فشبه ذلك بالتجارة الرابحة فقال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١].

وقد روى المفسرون أن هذه الآية نزلت في عثمان بن مظعون، وذلك أنه قال لرسول الله ﷺ: لو أذنت لي فطلّقتُ خَوْلة, وتَرهّبْتُ واخْتَصَيْتُ وَحرّمْتُ اللّحم, ولا أنام بليل أبداً, ولا أُفطر بنهار أبداً! فقال رسول الله ﷺ: «إنّ مِن سُنّتي النكاح ولا رَهْبَانِية في الإسلام إنما رهبانِيةُ أمتي الجهادُ في سبيل الله وخِصاءُ أُمتي الصومُ ولا تُحَرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم. ومِنْ سُنّتي أنام وأقوم وأفْطِر وأصوم فمن رَغِب عن سُنّتي فليس مني» فقال عثمان: والله لَوددْتُ يا نبي الله أي التجارات أحبّ إلى الله فأتّجر فيها[1] فنزلت تلك الآية.

وقوله تعالى: ﴿تُنجِيكُم﴾ أي تخلصكم ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي مؤلم وقراءة حفص عن عاصم وعامة القراء: ﴿تُنجِيكُم﴾ بإسكان النون من الإنجاء وقرأ الحسن وابن عامر وأبو حيوة «تُنَجيّكم» مشدّدا من التنّجية.

---

[١] الصف/١٠- ١٢.

وفي قوله تعالى ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ ذكر الأموال أوّلا لأنها التي يبدأ بها في الإنفاق. و﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي هذا الفعل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أموالكم وأنفسكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: «تُؤمِنُونَ بالله ورسوله » عند المبرد والزجاج : فعل مضارع جاء بمعنى فعل الأمر أي : ﴿آمنوا﴾ ولذلك جاء جواب هذا الأمر المتضمن ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مجزوماً على أنه جواب الأمر. وقال الفراء ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جواب الاستفهام . قال القرطبي : "وهذا إنما يصح على الحمل على المعنى وذلك أن يكون «تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَتُجَاهِدُونَ» عطف بيان على قوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ كأن التجارة لم يدر ما هي فبُيّنت بالإيمان والجهاد فهي هما في المعنى. فكأنه قال: هل تؤمنون بالله وتجاهدون يغفر لكم." أما الزّمَخْشريّ فقد وجه قول الفراء بأن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسّرة بالإيمان (والجهاد). كأنه قيل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم.

التجارة في السياق المادي :

أما التجارة في السياق المادي ، فقد أشار إليها القرآن الكريم بصفتها مظهراً من مظاهر حركة الحياة الاقتصادية التي يمارسها الناس بشكل طبيعي.

وتضمنت هذه الإشارة :

١- تبادل السلع :

فقد أشار القرآن الكريم إلى التجارة عن طريق تبادل السلع في معرض الحديث عن أهمية كتابة الديون بين المتعاملين ، فقال تعالى ﴿ .. إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ .. ﴾[1].

---

[1] البقرة/٢٨٢.

قال ابن كثير عن هذه التجارة الحاضرة : وقوله: **﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها﴾** أي إذا كان البيع بالحاضر يداً بيد. فلا بأس بعدم الكتابة لانتفاء المحذور في تركها.

فأما الإشهاد على البيع فقد قال الشعبي و الحسن: هذا الأمر منسوخ بقوله: **﴿فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي ائتمن أمانته﴾** وهذا الأمر بالكتابة محمول عند الجمهور على الإرشاد والندب لا على الوجوب.

والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث خزيمة بن ثابت الأنصاري أن النبي ﷺ، ابتاع فرساً من أعرابي. فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه. فأسرع النبي ﷺ وأبطأ الأعرابي. فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس. ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي ﷺ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته. فقال النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي، قال: أوليس قد ابتعته منك ؟ قال الأعرابي: لا والله ما بعتك. فقال النبي ﷺ «بل قد ابتعته منك» فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ، والأعرابي، وهما يتراجعان فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك إن النبي ﷺلم يكن يقول إلا حقاً حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ، ومراجعة الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك، قال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال «بم تشهد»؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

وقد ذهب ابن كثير في تفسيره إلى أن الاحتياط بالكتابة-حتى مع الائتمان- هو الأرشد والأفضل لما رواه الإمامان الحافظ أبو بكر بن مردويه. والحاكم

في مستدركه عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، قال «ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل دفع مال يتيم قبل أن يبلغ، ورجل أقرض رجلاً مالاً فلم يشهد».

٢- **الأثر النفسي للنشاط التجاري :**

أشار القرآن الكريم إلى ما يعبر عنه الاقتصاديون المعاصرون بقولهم (رأس المال جبان) ومعناه خوف المستثمرين على رؤوس أموالهم أن تنهار لأسباب مجهولة، وقد جاءت هذه الإشارة في قوله تعال **﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾** من قوله تعالى **﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**[1].

قال الإمام القرطبي في هذا المعنى:

"لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه والأبُ لابنه والأخُ لأخيه والرجل لزوجته: إنا قد أمِرنا بالهجرة" فمنهم من تسارع لذلك، ومنهم من أبى أن يهاجر، فيقول: والله لئن لم تخرجوا إلى دار الهجرة لا أنفعكم ولا أنفق عليكم شيئاً أبداً. ومنهم من تتعلّق به امرأته وولده ويقولون له: أنشدك بالله ألاّ تخرج فنضيع بعدك، فمنهم من يَرِقّ فيَدَع الهجرة ويقيم معهم فنزلت **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾**.

وقوله تعالى (إن اختاروا) أي: الإقامة مع الكفر بمكة على الإيمان بالله والهجرة إلى المدينة **﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾** بعد نزول الآية **﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ**

---

[1] التوبة/ ٢٤.

الظَّالِمُونَ﴾. ثم نزل في الذين تخلّفوا ولم يهاجروا: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ والعشيرة هي الجماعة التي ترجع إلى عقَدْ واحد كعقدِ العشرة فما زاد ومنه المعاشرة وهي الاجتماع على الشيء ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ يقول: اكتسبتموها بمكة. وأصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه إلى غيره ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ ذهب ابن المبارك إلى أن المقصود بالتجارة هنا: البنات والأخوات إذا كسدن في البيت لا يجدن لهن خاطباً. أخذ ذلك من كلام العرب، فقد قال الشاعر:

كسَدْن من الفقر في قومهنّ وقد زادهنّ مقامي كُسودا

وفي الآية دليل على وجوب حبّ الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأُمة، وأن ذلك مقدّم على كل محبوب.

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ صيغته صيغة أمرٍ ومعناه التهديد.أي: انتظروا ﴿حَتَّىَ يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ﴾ يعني بالقتال وفتح مكة أو بعقوبة آجلة أو عاجلة. وفي قوله تعالى: ﴿وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ دليلٌ على فضل الجهاد، وإيثاره على راحة النفس وعلائقها بالأهل والمال.

وفي الحديث الصحيح: «إن الشيطان قَعَد لابن آدم ثلاثَ مقاعد قعد له في طريق الإسلام فقال لِمَ تَذَر دينَك ودينَ آبائك فخالفَه وأسلم وقعد له في طريق الهجرة فقال له أتذر مالك وأهلك فخالفه وهاجر ثم قعد في طريق الجهاد فقال له تجاهد فتُقتل فينْكح أهلك ويُقسم مالك فخالَفه وجاهد فحق على الله أن يدخله الجنة».

وقال تعالى في هذا السياق المعنوي أيضاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[1].

٣- **التعامل الخلقي في التجارة:**

أكد القرآن الكريم في حديثه عن التجارة بمعناها المادي، أهمية السلوك الخلقي القويم في التعامل التجاري بين الأفراد، وذلك ما عبر عنه بقوله تعالى ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ من الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾[2]. والتراضي بين الطرفين المتعاملين ينفي بالضرورة سائر المعاملات المنفرة التي لا يشوبها الرضا مثل:

- الربا في التعامل.
- الغرر في البيوع.
- الغش في البيوع.

وغير ذلك مما يحوّل التجارة من عمل خلقي إلى جشع يدمر ما بين الناس من علاقات أخوة وتعاون وتكافل.

٤- **التجارة قوة بناءة لا هدامة:**

فحين ينشغل الإنسان بماله وتجارته عن دينه وحقوق غيره عليه، يكون بذلك قد انتقل من الجد إلى الهزل، وأصبح شغله الشاغل جمع المال وتكديس الثروة. وقد أنكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا

---

[1] فاطر/ ٢٩.

[2] النساء/ ٢٩.

تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِماً قُلْ مَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ مّنَ اللّهْوِ وَمِنَ التّجَارَةِ وَاللّهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾[1].

وقال تعالى ﴿رِجَالٌ لاّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَإِقَامِ الصّلاَةِ وَإِيتَآءِ الزّكَـاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأبْصَارُ﴾[2].

مضامين تربوية:

من العرض السابق نستطيع أن نستنتج دروساً ودلالات تربوية يستفيدها المسلم من استعراضه لآيات التجارة في القرآن الكريم منها:

١- بمنطق اقتصادي بحت، الموازنة بين الدنيا والآخرة في مصلحة الآخرة، لأن ما عند الناس ينفد وما عند الله باق، فالأفضل للمسلم أن يسعى للآخرة سعيها وهو مؤمن، ويكتفي من الدنيا بما يحقق له الراحة دون انغماس وتهالك على ملذات الحياة. فقد دعا رسول الله ﷺ على المتهالكين على الدنيا في حديث أخرجه البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ.
وقال ﷺ أيضاً " .. وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ... ".

٢- التجارة إذا كانت هي كل هم المسلم أصبحت قرينة للهو واللعب من حيث صرفها للسلم عن ذكر الله وعن عبادته.

٣- لابد للتجار والمستهلكين على السواء أن يتحلوا في معاملاتهم بالأخلاق السامية التي شرعها الإسلام واستقرت في نظرة الإنسان مثل نبذ الغش والخداع والتزوير والتدليس والربا .. إلخ.

---

[1] الجمعة/ ١١.

[2] النور/ ٣٧.

٤- على المتعاملين في التجارة أن يسعوا إلى معرفة ما يترتب على هذا النشاط الاقتصادي من حقوق كالضرائب والزكاة والصدقة لما في ذلك من إزالة لآثار الحقد في نفوس ضعاف النفوس، ولما في ذلك من ستر وعون لفقراء المسلمين وقضاء لحاجاتهم.

٥- النشاط الاقتصادي للفرد المسلم يجب أن يتم في إطار الشعور بالأخوة العامة مع المسلمين كافة.

مفهوم ملكية الإنسان في ضوء القرآن الكريم:

تختلف النظرة الإسلامية للملكية عن النظرات الاقتصادية التي اختلقها البشر، والمطلع على المفاهيم الاقتصادية الحديثة من اشتراكية ورأسمالية، يكتشف بسهولة أبعاد هذا الاختلاف، ففي السياق القرآني تفيد الدلالة اللغوية لمفردات الملكية أن الله سبحانه وتعالى خلق كل شئ فقال في كتابه الكريم: **﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا إله إلا هو﴾**[١]. وقد أنكر هذا الخلق على غيره من مخلوقاته. فقال متحديا الكفرة الذين يعبدون آلهة غير الله: **﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾**[٢] ثم استأثر سبحانه بملكية كل ماخلق وأوجد فقال تعالى: **﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾**[٣] وقال تعالى: **﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾**[٤] وقال أيضاً: **﴿فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾**[٥].

---

(١) غافر/ ٦٢.

(٢) لقمان، ١١.

(٣) البقرة، ١٠٧.

(٤) يس/ ٧١.

(٥) النساء/ ٥٤

وفي ضوء ذلك الفهم لمعنى الملكية كما اتضح من الآيات السابقة، يأتي السؤال التالي: ما مفهوم الملكية المنسوبة إلى الإنسان وقد علمنا مما سبق من آيات أن الله تعالى ليس له شريك في الملك؟

ملكية الإنسان استخلاف إلهي:

لقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يستخلف الناس في هذه الأرض وأن يسخر لهم ما في السموات والأرض من نِعَم. وكلمة الإستخلاف تدل من حيث جذرها اللغوي على إقامة خلف يقوم مقام المستخلف على شئ ما. وإذا طبقنا هذا المعنى على استخلاف الله تعالى لآدم وذريته في الأرض قلنا إن البشر خلفاء الله كما هو واضح من قوله تعالى: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾**[1] أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل.

فالله تعالى استخلف البشر وحدد وظيفتهم وهي تعمير الأرض واستثمار مواردها بقوله تعالى: **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾**[2]، والمراد بقوله تعالى **﴿هو أنشأكم من الأرض﴾** أي ابتدأ خلقكم من الأرض، وذلك أن آدم خلق من الأرض وهم منه، **﴿واستعمركم فيها﴾** أي جعلكم عمارها وسكانها. قال مجاهد: ومعنى **﴿استعمركم﴾** أعمركم وقال قتادة: أسكنكم فيها؛ وقال الضحاك: أطال أعماركم، وكانت أعمارهم من ثلاثمائة إلى ألف. وقال ابن عباس: (أعاشكم فيها).وقال زيد ابن أسلم: أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن، وغرس أشجار. وقيل: المعنى ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها.

---

[1] البقرة/ ٣٠.

[2] هود/ ٦١.

فمعنى اللفظ القرآني يدل على جميع هذه التوجهات التي قال بها المفسرون لأن الله سبحانه قال: **﴿واستعمركم﴾** بمعنى أعمركم؛ فأعمر الرجل الصالح فيها مدة حياته بالعمل الصالح، وبعد موته بالذكر الجميل والثناء الحسن؛ وبالعكس الرجل الفاجر؛ فالدنيا ظرف لهما حياة وموتا.

كما أن قوله تعالى: **﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾**[1]، فيه دلالة على أنه -سبحانه - حث على الإنفاق مما هو مع الناس على سبيل العارية، فإنه كان في أيدي من قبلهم ثم صار إليهم، وقوله **﴿مما جعلكم مستخلفين فيه﴾** دليل على أن أصل الملكية لله سبحانه، وأن العبد مجرد وكيل ونائب في تصرفاته.

وقال جل جلاله: **﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون﴾**[2] أي جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها، والجعل في الآية الكريمة بمعنى الإنشاء والإبداع أي أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها أسباباً تعيشون بها أي جعلناها لكم قرارا ومهادا، وهيأنا لكم فيها أسباب المعيشة. والمعايش جمع معيشة، أي ما يتعيش به من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة.

أشكال الاستخلاف:

وقد جعل الله سبحانه الإنسان خليفة في الأرض والمال. فقال تعالى: **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾**[3]، و"جاعل" هنا بمعنى خالق، كما ذكر الطبري و"خليفة" يكون بمعنى فاعل، أي يخلف من كان قبله من الملائكة في الأرض، أو

---

(1) الحديد/ ٧.

(2) الأعراف/ ١٠.

(3) البقرة/ ٣٠.

من كان قبله من غير الملائكة على ما روي. ويجوز أن يكون "خليفة" بمعنى مفعول أي مخلف، كما يقال: ذبيحة بمعنى مفعولة. قال القرطبي: والخلف (بالتحريك) من الصالحين، وبتسكينها من الطالحين.

ولكن الإنسان مهما تبلغ قدراته وتقو استعداداته وتعظمت مواهبه، لا يستطيع أن يعيش إلا بين الجماعة، عضوا نشطا فيها تربطه بها صلات وتنشأ بينه وبين أفرادها علاقات ومعاملات، لتحقيق المصلخة الشخصية والمصلحة العامة في آن واحد.

والإسلام يحترم شخصية الفرد ولا يلغيها حتى يظل مسؤولاً عن تصرفاته وحتى يشعر بذاتيته ويكون مصدر قوة للجماعة لا نقطة ضعف فيها، فللفرد أهمية في المجتمع الإسلامي لأن المجتمع المسلم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ومن ناحية ثانية فإن الإسلام لا يلغي شخصية الجماعة بحيث تذوب في شخصية الفرد حتى لا تخضع المصلحة العامة للمصلحة الشخصية - كما هو الحال في الفلسفة الوجودية-. لما أخرجه البخاري في صحيحه من قول النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، وهذا يعنى أن اكتمال إيمان الفرد مرتبط بالتسامي عن الأنانية، وبحبه الخير للآخرين، لذلك نرى الإسلام يعنى بالفرد والجماعة، فلكل منها كيانه الذي لا يذوب في الآخر والاستخلاف هو مصدر المسؤولية الاجتماعية لذلك جاء الاستخلاف في المفهوم القرآني وله صورتان هما:

١- الاستخلاف الاجتماعي:

حيث تدل الآيات القرآنية والحديث النبوى الشريف وآراء الفقهاء على أن المسلمين كافة مستخلفون في المال الذي منحهم الله إياه، وأن كل مسلم له حق

المشاركة والإستفادة منه بكافة أنواعه. ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: **﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾**[1]، **﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾**[2]، وقوله تعالى: **﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾**[3].

وقد أضاف الله أموال السفهاء الى المجتمع كله لا إلى السفهاء وحدهم لأن الثروات الخاصة في أيدي الأفراد هي في الحقيقة مشتركة المنفعة بين الناس جميعاً، فإذا أساء مسلم التصرف فيما يملك من مال، كان من حق المجتمع أن يوقفه عند حده، ويحجر على تصرفه.

وقد روى أبو يوسف في كتاب الخراج قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "عادى الأرض لله ورسوله ثم هي لكم"، و الارض العادية هي القديمة التي لا عمارة فيها -نسبة إلى عاد الأولى التي أهلكها الله في الدهور الأولى -والمراد بالحديث أنه لا ملكية للأرض ابتداء إلا لله ثم هي منه للناس، أي هي من الله للرسول بصفته رئيساً للدولة الإسلامية ممثلاً للجماعة المسلمة.

ويذهب الشيخ محمود شلتوت في كتابه "الإسلام عقيدة وشريعة إلى أن فائدة المال تعم المجتمع كله وتقضي به حاجته إضافه الله تعالى تنويهاً بشأنه تارة إلى نفسه. وإضافة تارة أخرى إلى الجماعة وجعله بتلك الإضافة ملكاً لها ليرشد إلى أن الاعتداء على مال الجماعة والتصرف السيئ فيه هو اعتداء على الجميع أو تصرف سيئ واقع على الجميع.

ومما يستدل به كذلك على أن المال في الأصل للجماعة وأنها مستخلفة في المال الذي منحها الله إياه . جماعية الرقابة على أموال المجتمع الإسلامي إذ إن هذه الرقابة يقوم بها المسلمون كافة وليس لأحد أن يحجب مسلماً عنها.

---

[1] الحديد/ ٧.

[2] النور/ ٣٣.

[3] النساء/ ٥.

وخير دليل على الاستخلاف الاجتماعي أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الإنسان ليعمر الأرض كان الهدف من وراء ذلك إقامة أحكام الله فيها، ولما كان في الناس استعداد للأهواء والغفلة عن شرع الله. وكانت العمارة لا تتحقق مع الانتشار والتشتت. فقد كان قيام الدولة لتولي ذلك وتنفيذ مشيئة الله أمراً لا بد منه، والدولة ممثلة للأمة ونائبة عنها واستخلافها استخلاف للأمة كافة.

كما أن إختلاف موارد الأرض كثرة وقلة، ووجودا في مناطق وانعداما في أخرى، دليل على أن ما أودعه الخالق سبحانه في الأرض من موارد هو للناس جميعاً وأن حاجاتهم الضرورية لا يمكن أن تستوفي إلا بتعاون الناس جميعاً بعضهم مع بعض، عن طريق البيع والشراء والتصدير والاستيراد، فالانغلاق الاقتصادي غير متصور في حياة البشر، لأنه ضد مراد الله تعالى.

ولذا يمكن القول أن الاستخلاف الاجتماعي أمر لا بد منه، لأنه لا بد من مصدر مسؤول يتولى إدارة وتنظيم الحياة وتطبيق أحكام الله التي أمر الإنسان بتنفيذها. وبذلك تصبح الأمة نائبة ومستخلفة عن الله تعالى.

٢- الاستخلاف الفردي:

وليس الأستخلاف مقصوراً على الجماعة فقط بل إنه يشمل الفرد كذلك لما بين الفرد والجماعة من ترابط وثيق. فبرغم أن الإسلام يعد الفرد كائناً حراً مستقلاً. فإنه يرى أن هذه الحرية ليست مطلقة بل مقيدة بمراعاة المصلحة العامة إلى جانب المصلحة الخاصة.

وبكلمات أخرى نستطيع أن نقول إن الإسلام لا يأخذ بالفردية المطلقة ولا بالجماعية المطلقة كما هو الشأن في النظم الوضعية، بل يأخذ بهما معاً دون أن تطغى إحداها على الأخرى، والفرد كالجماعة مستخلف نائب عن الله فيما

استخلفه فيه، لأنه مكلف مسؤول من قبل الله تعالى وقد أتته المسؤولية من عقيدة الاستخلاف التي هي مصدر الالتزام بالأوامر والنواهي الشرعية.

فلو أخذنا الزكاة مثالاً على الالتزامات التي وجبت على المسلم بسبب استخلافه لرأينا أنها "نقل ملكية" وليست منة أو تفضلاً أو هبة من صاحب المال تجاه مستحقيها من الفقراء والمساكين وغيرهم، ولذلك وصفها الله تعالى بأنها حق لآخذها، لاهي هبة، ولا هي تفضل، قال تعالى: **﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾**[1]، وهي الركن الثالث في الإسلام وفريضة واجبة على المسلم لا يتم إسلامه إلا بها ولا يستطيع المسلم أن يؤديها إن لم يكن مالكاً للمال، ولهذا السبب تقرر لكل مسلم الحق في أن يملك، وأن يسعى في كسب المال من أجل تحصيله وأداء ركن من أركان الإسلام.

ومما يؤكد الاستخلاف الفردي أيضاً أن الله جعل من المال وسيلة يتقرب بها الفرد من الله حين قال: **﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾**[2]، فقد ربط الله بين الإيمان والإنفاق فكلما ازدادت النفس إنفاقاً في مرضاة الله، دل ذلك على قوة إيمانها. وهذا هو أحد الأهداف التي من أجلها خلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض.

وقوله تعالى: **﴿وأنفقوا﴾** أي تصدقوا. وقيل: أنفقوا في سبيل الله. وقيل: المراد الزكاة المفروضة. وقيل: المراد غيرها من وجوه الطاعات وقوله تعالى: **﴿مما جعلكم مستخلفين فيه﴾** دليل على أن أصل الملك لله سبحانه، وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه على ذلك بالجنة.فمن أنفق منها في حقوق الله وهان عليه الإنفاق منها، كما يهون عل الرجل، النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه، كان له الثواب الجزيل والأجر العظيم. وقال الحسن: "مستخلفين فيه"

---

[1] الذاريات/ ١٣.

[2] الحديد/ ٧.

بوراثتكم إياه عمن كان قبلكم. وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة النواب والوكلاء، فاغتنموا الفرصة فيها بإقامة الحق قبل أن تزال عنكم إلى من بعدكم".

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى **﴿مما جعلكم مستخلفين فيه﴾** فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفا عنك فلعل وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك أو يعصي الله فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان، واستشهد ابن كثير بما أخرجه الإمام أحمد عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول "ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت".

ولما أمرهم أولا بالإيمان والإنفاق ثم حثهم على الإيمان وبين أنه قد أزال عنهم موانعه أيضا، حثهم أيضا على الإنفاق فقال **﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض﴾**[1] أي أنفقوا ولا تخشوا فقرا وإقلالا فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السماوات والأرض وبيده مقاليدهما وعنده خزائنهما وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل **﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾**[2] وقال **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾**[3] فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذي العرش إقلالا وعلم أن الله سيخلفه عليه.

وقد تناطحت النظريات الاقتصادية البشرية وتنازعت، فلم يجن منها الإنسان إلا كل مرارة وحقد وضغينة فعلى حين قيدت الشيوعية الملكية الفردية وأضعفت ذاتية الفرد بزعم حماية المجتمع، سارت الرأسمالية الغربية في طريق

---

(١) الحديد/ ١٠.

(٢) سبأ/ ٣٩.

(٣) النحل/ ٩٦.

الحرية الفردية إلى غير غاية حتى انتهت بمعتنقيها إلى ما لا حد له من استحلال الحرمات وانتهاك المقدسات والعبث بالأخلاقيات.

ولكن النظرية الاقتصادية الإسلامية تميزت من بين النظريات الاقتصادية الوضعية بعدة مزايا من أهمها:

١- إطلاق الملكية الفردية إلى غير حد ما دام المسلم ملتزماً إخراج حقوق الله مما يكسب من مال فلا حرج عليه إذا زاد ماله مهما يبلغ.

٢- الدافع للعمل والإنتاج فى الاقتصاد الغربى هو الحاجة الشخصية، وفى الفكر الاشتراكى هو الخوف من العقوبات القانونية أما فى الاقتصاد والتشريع الإسلامى فإن الدافع إلى العمل والإنتاج هو تحقيق عمارة الأرض من خلال:

٢/أ عدم كنز المال.

٢/ب مجاورة النبيين والصديقين والشهداء لمن كان تاجراً صدوقاً.

٢/ج إعفاف النفس والأهل بالرزق الحلال.

٢/د كراهية البطالة شرعاً.

٣- التزام الضوابط الشرعية فى استثمار المال وتنميته عن طريق التجارة والصناعة والزراعة وليس عن طريق الربا.

٤- محاربة الاحتكار بكافة أشكاله وألوانه.

٥- تحريم الغش فى البيع والشراء والكيل والوزن.

شروط البيع فى الإسلام:

البيع والشراء هما عماد الاقتصاد بل عماد الحياة جميعاً فالإنسان لا يستطيع الحياة بدونهما. ولذلك أهتم الإسلام بوضع ضوابط لهذه العملية الحيوية

فنص الفقهاء على أن التراضي هو أساس البيع والشراء لقوله تعالى: ﴿بالا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾[1] واشترطوا إلى جانب التراضي:

١- أن يكون المبيع مما أحل الله فلا تصح التجارة شرعا فى المحرمات كالخمور وما فى حكمها.

٢- أن يكون البائع بالغاً مكلفاً فإن الصغير إذا باع شيئاً كان محتاجاً إلى إذن وليه لقوله تعالى ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلْ﴾[2]

٣- وأن يكون البائع مختاراً قال الإمام الشوكانى"لأن المناط التراضى وطيبة النفس والمكره لا رضا منه ولا طيبة نفس" (١)

٤- وأن يكون المشترى قد عاين الشىء المبيع أو رآه قبل أن يتم البيع حتى لا يتضرر منه بعد معاينته.

٥- ويجب على كل متبايعين أن يشهدوا على بيعهما رجلين أو رجلاً و امرأتين إن تيسر ذلك فإن لم يتيسر صح البيع وإذا كان هناك جزء مؤجل من الثمن وجب عليهما أن يكتباه لقوه تعالى﴿إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَىً فَاكْتُبُوهُ﴾[3].

٦- أن يتم البيع والشراء والتراضى فى مجلس واحد لقوله ﷺ "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا.فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما"(٢).

---

(١) النساء/ ٢٩.

(٢) البقرة /٢٨٢.

(٣) البقرة/ ٢٨٢.

بهذه الشروط الدقيقة، وما يتفرع عنها من أحكام نظم الإسلام عملياً البيع والشراء تنظيماً محكماً لضمان حقوق الطرفين. وقد راعت الشريعة الإسلامية السمحة إلى جانب الشروط السابقة أن تضع آداباً وأخلاقيات لهذه العملية الأساسية في حياة الناس فيما يلي بيانه.

أخلاقيات البيع :

أولاً : النهى عن الغش : لما ورد من أن النبى ﷺ مر برجل يبيع طعاما فسأله كيف تبيع؟ فأخبره فأوحى إليه أن أدخل يدك فيه فأدخل يده فإذا هو مبلول فقال النبى ﷺ "ليس منا من غش" رواه أبو داود ومسلم (٣).

ولا ينبغى أن يفهم المسلمون من هذا الحديث أن الغش مقصور على الطعام والشراب فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. والتعميم فى لفظ الحديث واضح.

ثانياً : النهى عن الكذب : فقد روى الترمذى عن رفاعة رضى الله عنه أنه خرج مع النبى ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال: يا معشر التجار فرفعوا أبصارهم وأعناقهم إليه إجابة له فقال : إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق" وفى رواية أخرى عن الترمذى أيضاً"التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء"(٤).

ومن هنا يتبين أن الربح المبنى على الكذب والتضليل والخداع مال حرام يجب أن يتورع عنه المسلم عموماً والتاجر خصوصا .ولا يخفى أننا فصلنا القول بالنهى عن الكذب عن القول بالنهى عن الغش مع انهما يخرجان من باب واحد هو التغرير بالمشترى غير أن الغش أخص من الكذب فالغش قد يدخل فى المبيع ولكن الكذب يشمل القول والفعل معاً فهو أعم من الغش.

ثالثاً: النهى عن بيع الحاضر للبادي: الحاضر هو الذي يعيش في الحضر والبادى هو الذي يعيش في البادية، وكان من عادة العرب أن يتولى أهل الحضر البيع لأهل البادية فنهى الرسول ﷺ عن تلك العادة القبيحة لأن فيها إضراراً وظلماً .وكذلك ورد عن عمر رضى الله عنه عن بيع الحاضر للبادي -أي أن يكون سمساراً- قال عمر "اخبروهم بالسعر ودلوهم على السوق"(٥) وذلك لأن بيع الحاضر للبادي سيؤدى إلى أن يتهاون الحاضر بالسعر، فيبيع بسعر أدنى، لأن الذي يهمه هو الحصول على الأجر أو السمسرة.

رابعاً: النهى عن تلقى الركبان: كذلك نهى الرسول ﷺ عن تلقى الركبان.وذلك بأن يخرج التاجر إلى الطريق فيتلقى القادمين لبيع سلعهم فيشتريها منهم قبل أن يصلوا بها إلى مكان السوق مما قد يدفعه إلى الظلم بشراء السلعة بأقل من سعرها فى السوق.

خامساً: النهى عن النجش: النجش في اللغة تنفير الصيد وأثارته من مكان إلى مكان.وفى الشرع النجش هو الزيادة في السلعة وذلك يتعرض بعض الناس لسلعة لا يريد -في قرارة نفسه- شراءها فيزيد في سعرها ثم يتركها مما يجعل صاحبها بعد ذلك في حيرة أمام ما يعرض عليه فيها أقل من أثمان أقل مما سمعه من ذلك الرجل.

سادساً: النهى عن الاحتكار: وقد حرم الرسول ﷺ الاحتكار فقال"من احتكر فهو خاطئ"(٦) وتوسع فقهاء المسلمين فى شرح معنى الاحتكار فلم يقفوا به عند حدود قوت المسلمين الضرورى وإنما جعلوه يشمل كل ما من شأنه تضييق حياة الناس .فاحتكار مواد البناء أو الذهب أو الفضة أو غير ذلك مثل احتكار الطعام سواء بسواء.

سابعاً: جواز الإقالة: من أخلاقيات البيع في الإسلام السماح بأن يتراجع أحد المتبايعين عن البيع إذا ندم على بيعه أو شرائه. فقد ورد الحض على ذلك من

النبي ﷺ وسلم فيما رواه أبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أقال نادماً أقال الله عثرته "(٧). ولا تناقض بين ما ذكرناه هنا عن الإقالة وبين ما ذكرناه من شروط البيع من قوله ﷺ "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا " فإن الإقالة ليست نقضا للبيع ولا فسخاً له -وإن قال بذلك بعض الفقهاء - وإنما هي مسألة إنسانية تعود إلى رضا الطرفين بعد أن يثبت لأحدهما أن أخاه غير قادر على إنفاذ التزامه. وفي هذا إثارة لجانب التراحم والتواد في النفوس المؤمنة.

ثامنا: تحريم بيع الماء: الماء والكلأ والنار ثلاثة موارد نهى الإسلام عن الاتجار فيها لأنها مشاع بين الناس لا يصح احتكارها حتى لا تتوقف حياة الناس على رضا من يدعي ملكيتها. قال الإمام ابن حزم:

"ولا يحل بيع الماء بوجه من الوجوه لا في ساقية ولا من نهر أو من عين ولا من بئر . ولا في صهريج . ولا مجموعاً في قربة ولا في إناء. لكن من باع حصته من بئر أو ساقية جاز ذلك"(٨) وما نراه في بعض البلاد من بيع ماء في سيارات مخصوصة فإنما هو نوع من الإجارة أي تأجير السيارة لحمل الماء. أما إذا كان المال المدفوع ثمنا لماء محمول من مكان كنهر جار ففي بيعه شبهة. والأولى بالحكومات الإسلامية أن تسعى لتوفير خدمة توصيل مياه الشرب النقية إلى جميع المنازل حتى ترفع الحرج عن الناس.

تاسعاً: النهي عن السوم على السوم: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال "لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ولا يسوم على سومه"(٩).

وصورة السوم أن يأخذ الرجل سلعة ليشتريها. فيقول له قائل: ردها لأبيعك خيرا منها. أو لأشترى لك مثلها بأرخص من هذا السعر. أو يقول للبائع: استردها لأشتريها منك بسعر أكبر.

أي أن عملية السوم يقصد بها أن تتم أثناء عملية البيع أو قبيل اتفاق المتبايعين على إتمام البيع.

عاشراً: النهي عن البيع على البيع: ويتصل بما سبق ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من النهي عن البيع على البيع بقوله في رواية غير السابقة إلا بيع أحدكم على بيع أخيه)(٧). وصورة البيع على البيع أن يقول قائل لمن اشترى سلعة: افسخ شراءك لأبيعك بأنقص. أو يقول للبائع: افسخ البيع لأشترى منك بأزيد.

أي أن الفرق بين السوم على السوم والبيع على البيع، أن الأول يتم خلال عملية البيع وقبل إتمامها. والثاني يكون بعد إتمام البيع وافتراق المتبايعين.

استنتاجات تربوية:

من مجمل العناصر العشرة السابقة نرى أن البيع والشراء بوصفهما عماد الاقتصاد في كل ملة ومذهب ودين ومجتمع. يخضعان في التصور الإسلامي لضوابط أخلاقية تربوية سامية تستهدف خير الأمة وسعادتها ويمكننا من العرض السابق أن نستنتج النتائج التربوية التالية:

١- إن الاقتصاد الإسلامي ليس عملية ميكانيكية مادية. بقدر ما هو مشاركة اجتماعية - نفسية بين أطراف الأمة المتعاملة بالشرع الحنيف.

٢- إن الاهتمام الأساس للتشريع الإسلامي - في مجال البيع والشراء - تركز في حماية حقوق جميع الأطراف على السواء ولم يتميز لطرف دون طرف.

٣- أن المنهيات الكثيرة التي أوردناه تستهدف إشاعة جو من الثقة بين طرفي العملية التجارية: البائع والمشتري.

٤- أن التراحم والتواد أصل من أصول التشريع الإسلامي في جوانبه كافة.

الإعلان .. من منظور فقهي تربوي:

استطاع الإعلان منذ ظهر أن يغتال حواسّ الناس، فصار يحدّد لهم ما يأكلون وما يشربون وما يلبسون وما يستخدمون من عطور ومن وسائل تسلية وترفيه. ويتم ذلك كله عبر ضخ إعلامي مستعر ليل نهار؛ يستهدف في النهاية إعادة إنتاج حواسّ المستهلك المسكين!!، فإذا كانت المصانع تنتج السلع، فإن الإعلانات تنتج المستهلكين لهذه السلع حتى لو كان ذلك بالتزييف والتزوير.

ومن أهم العوامل التي أجّجت نار الإعلان في حياة البشر ما يلي:

١- التوسع الصناعي غير المحدود، وما أدى إليه من إنتاج سلع وأجهزة، تتحول يوماً بعد يوم من حالة الكماليات إلى حالة الضروريات.

٢- الحاجة المستمرة إلى التخلص من فوائض الإنتاج المكدس في مخازن الشركات والمؤسسات الصناعية تجعل من الإعلان الوسيلة المثلى لتصريف الإنتاج الراكد.

٣- ظهور الشركات عابرة القارات أو عابرة الجنسية التي تتخذ لها فروعاً في دول عديدة؛ مما أدى إلى توسيع الأسواق، ومن ثم تزداد الحاجة إلى الإعلان للترويج عن منتجات تلك الشركات لتلبية احتياجات السوق الواسعة.

٤- اشتداد حمى المنافسة التجارية بين الشركات في ظل الاتفاقيات الدولية التي تحمي حقوق الشركات، أدى هذا الاشتداد في التنافس إلى الحاجة للإعلان عن السلع المختلفة بوصفها الأرخص سعراً، أو الأيسر استعمالاً، أو الأقل استهلاكاً للطاقة .. إلى غير ذلك من المزايا.

٥- ارتفاع دخول الأفراد وتزايد السَّفَه الشرائي؛ أدى إلى تزايد الإعلان لتلبية هذا السَّفَه المتزايد بفعل تراكم القوى الشرائية لدى بعض فئات المجتمع.

ومنذ ظهور الإعلان التجاري كوسيلة لترويج السلع والخدمات، وتزايدت -مع تزايد انتشاره- أفكار وكتابا شتى تدعمه أو تهاجمه، منها ما يرى فيه أسلوباً عملياً مفيداً لتنشيط الأسواق والتجارة، ومنها ما يرى فيه إجحافاً للمستهلك، من حيث تكالبه على الشراء، وإجحافاً بالمنتجين المنافسين الذين لا تمكّنهم مواردهم من دخول المنافسة الإعلانية نظراً لارتفاع تكلفتها.

من أجل ذلك رأينا من الضروري أن نناقش هذه القضية من وجهة نظر الفقه الإسلامي، والتربية الإسلامية. أما من جهة الفقه فلأن المسلم لا ينفك -في أي حال-عن كونه إما بائعاً أو مشترياً. وفي الحالين: لابد له من النظر في العواقب، بحكم كون سلوكه -في كل حال- مجال للمحاسبة الإلهية. وأما من جهة التربية فلأن الفقه الإسلامي نبعٌ ثريّ من منابع التربية الإسلامية. فما من حكم شرعي إلا وله صلة ما بسلوك الناس الفردي والاجتماعي، ومن ثم فإن التربية تقوِّم السلوك من حيث كونه مرغوباً فيه أو مرفوضاً اجتماعياً، والفقه يقوم السلوك من حيث كونه حراماً أو حلالاً - بدرجاتهما المعروفة.

الضوابط الفقهية للإعلانات:

تضمنت الشريعة الإسلامية قواعد للسلوك تحقق السعادة للفرد المسلم في دنياه وآخرته، انطلاقاً من الآية الجامعة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] والإعلان بوصفه سلوكاً بشرياً اقتصادياً يخضع في إطار الشريعة الإسلامية لعدد من الضوابط الفقهية/ التربوية، أهمها:

---

[1] الأنعام/ ١٦٢.

١- الصـدق:

وأساس هذا الضابط آيات كثيرة في كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾[٢]، وقوله: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُو اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٣].

وأما في السنة فهناك أحاديث كثيرة تحض على تحري الصدق واجتناب الكذب، منها ما أخرجه البخاري في صحيحه "كتاب الإيمان/ باب علامة المنافق-جـ١ ص ١١١" وهو قوله ﷺ: (أربعٌ من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر".

وبناءً على هذه الأسس من الكتاب والسنة، يجب على مخططي الإعلان ومنفذيه أن يتحرّوا الصدق، فلا يصفوا السلعة بما ليس فيها، ولا يذكروا من مزاياها إلا ما هو حقيقي من جهة الاستعمال والتكلفة والأمان والفائدة والعمر الافتراضي ... إلخ. فالكذب في ذكر صفات للسلعة لا تتفق مع الحقيقة والواقع- فيه ظلم للمستهلك، وتغرير به، وإفساد لما له، وهذا كله مما يحرمه الإسلام، وتأباه المروءة ويعدّ افتئاتاً على قواعد التربية المجتمعية السليمة.

وباستعراض هذا الضابط في الفقه الإسلامي، نجد أن الفقهاء تحدثوا عن "وصف" السلعة المراد بيعها، وهذا الوصف هو عين الاعلان في الاقتصاد المعاصر، فإن الوصف يتضمن حتماً الإغراء بالشراء والحثّ عليه.

---

(١) الأحزاب/ ٨.

(٢) الأحزاب/ ٢٤.

(٣) التوبة/ ١١٩.

وقد أجاز الشافعية بيع سلعة غائبة بناءً على وصفها، كما أجاز ذلك المالكية والحنفية فيما نقله عنهم ابن حزم في المحلى (٧/٢١٤) "بيع الثوب الواحد المطوي، أو في جرابه، أو الثياب الكبيرة كذلك، إذا وُصف كل ذلك. فإن وُجد كل ذلك كما وصف فالبيع لازم، وإلا فالبيع باطل"[١].

٢- الأمانة:

من الأصول الإسلامية لتربية السلوك الإنساني بعامة: التزام الأمانة في كل ما يأتي الإنسان المسلم وما يدع، لقوله عز وجل في وصف المفلحين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٢]. وقد استنبط الفقهاء المسلمون من قصة موسى عليه السلام كون الأمانة أحد شرطين من شروط الإجارة على أي عمل، فذلك حيث يقول عز وجل على لسان إحدى ابنتي الرجل الصالح- وقيل إنه نبي الله شعيب عليه السلام والله أعلم- ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[٣].

والأمانة لازمة للمسلم في دينه، وفي معاملاته لقوله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

وقد روى المنذري في "الترغيب والترهيب" أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تشدد على أهمية الأمانة في حياة المسلم بوجهٍ عام، وفي المعاملات بوجهٍ خاص، وفي البيوع وما إليها من كيل ووزن وأداء بنوع أخص فليرجع إليها القارئ إن شاء.

---

[١] المحلى/ جـ٧، ص ٢٢٤.

[٢] المؤمنون/ ٨.

[٣] القصص/ ٢٦.

[٤] الأنفال/ ٢٧.

وفيما نحن بصدده، من أهمية التزام الأمانة في الإعلان، يجب على من ينظم حملة إعلانية أو ينفذها، أن يراعي حقوق الأمانة وحدودها، وأن يضع نصْب عينيه قوله عز وجل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١]، فإذا علم أنه محاسب على كل ما يصدر عنه لم يغرّر بالمستهلكيم ويزين لهم من السلعة ما ليس فيها.

وقد نص فقهاء الشافعية على ذلك، فقال الإمام الغزالي في "الإحياء" [٧٥/٢] "إن من واجب من يعرض سلعة ما أن يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها، ولا يكتم منها شيئاً فذلك واجب، فإن أخفاه كان ظالماً غاشاً والغش حرام، وكان تاركاً للنصح في المعاملة والنصح واجب، ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشاً، وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة، وكذلك إذا عرض أحسن فردي الخفّ أو النعل وأمثاله، ويدل على تحريم الغش ما روي: أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاماً فأعجبه، فأدخل يده فيه فرأى بللاً فقال: (ما هذا؟) قال: أصابته السماء، فقال: (هلاّ جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا)[٢].

ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روي أن النبي ﷺ لما بايع جريراً على الإسلام ذهب لينصرف، فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم[٣]، فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصّر عيوبها ثم خيره وقال: إن شئت فخذ وإن شئت فاترك، فقيل له: إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع، فقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم.

---

(١) ق/ ١٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة.

(٣) رواه الشيخان.

وكان واثلة بن الأسقع واقفاً فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم، فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة، فسعى وراءه وجعل يصيح به: يا هذا، اشتريتها للحم أو للظهر؟ فقال: بل للظهر، فقال: إن بخفها ثقباً قد رأيته، وإنها لا تتابع السير، فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لوائلة: رحمك الله أفسدت علي بيعي، فقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يحل لأحد يبيع بيعاً إلا أن يبين آفته، ولا يحل لمن يعلم ذلك لا تبيينه)[1].

فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه، ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات، بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم، وهذا أمر يشق على أكثر الخلق، فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس؛ لأن القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها إلا الصدّيقون، ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين:

أحدهما: أن تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه، بل يمحقه ويذهب ببركته، وما يجمعه من مفرّقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة. وقد قال ﷺ: (البيعان إذا صدقا ونصحا بُورك لهما في بيعهما وإذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما)[2]. وفي الحديث: (يدُ الله على الشريكين ما لم يتخاونا، فإذا تخاونا رفع يده عنهما)[3]. فإذاً لا يزيد مال من خيانة، كما لا ينقص من صدقة.

والثاني: والذي لابد من اعتقاده؛ ليتم له النصح ويتيسر عليه: أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا، وأن فوائد أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العُمُر، وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجيزُ العاقل أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، والخير كله في سلامة الدين.

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه أبو داود والحاكم.

٣- التزام الأخلاق الكريمة:

من الضوابط التربوية للإعلان في الفقه الإسلامي أن يلتزم المعلن بالأخلاق الحميدة، فلا يروج سلعته باليمين الكاذبة، أو بالصور الخليعة للأجساد العارية، أو بالكلمات البذيئة، والألفاظ الجنسية الموحية بالرذيلة، كما هو الحال في أكثر الإعلانات السائدة في أيامنا هذه. وهذا الضابط وإن لم يرد به نص في كتب الفقه القديم، فإنه من كبريات المسائل العصرية التي تنطوي تحت القاعدة الفقهية (سدّ الذرائع) فإذا كان الإعلان ذريعة للفحش والمنكر من القول والعمل صار حكمه بين الحرمة والكراهة سدًّا للذريعة.

٤- لا ضرر ولا ضرار:

هذا الضابط التربوي الفقهي إحدى القواعد الخمس الكبرى في الفقه الإسلامي، ويُقصد منه هنا ألا يقوم نجاح الحملة الإعلانية على تغرير بالمستهلك وتضليل له كما تحدثنا في البندين الأولين (الصدق، الأمانة) ومن جهة ثانية ينبغي ألا يتضمن الإعلان عن سلعة الإساءة إلى سلعة أخرى تنتجها شركة منافسة، ففي هذا إضرار بالآخرين، لأن من شأن هذا النوع من الإعلانات التنافسية أن يشيع بين الشركات روح العداء، مما يترتب عليه:

١- إما المبالغة في الكذب واختراع فنون جديدة للإضرار بالمستهلك.
٢- أو محاولة حبس السلع حتى ينسى المستهلكون عيوبها ثم إعادة طرحها تحت اسم جديد، أو بإعلان جديد. وفي هذا غش وتدليس.
٣- رفع الأسعار بدون مسوِّغ؛ فيضر ذلك بالمستهلك.
٤- أو خفض الأسعار بدون مسوِّغ سوى التخلص من المخزون الراكد، وفي ذلك إضرار بالمنتج. وكلاهما شر.

أهداف الصيام التربوية والاجتماعية:

هدفت عبادة الصيام إلى تحقيق أهداف تربوية مخصوصة، من خلال الامتثال لتلك الفريضة بكل أبعادها الروحية من جانب، وبما تتضمنه من التالي:

أ- استشعار التكافل الاجتماعي مع الآخرين من خلال زكاة الفطر والجود بالصدقات، على الفقراء والمحتاجين، فضلاً عن اتحاد المشاعر معهم وتدفق العواطف الإنسانية في قلب الفرد المسلم تجاههم.

ب- ومن أهداف الصيام في ذلك الاتجاه أيضاً "المساواة فيه بين الأغنياء والفقراء والملوك والسوقة وفيه تعليم الأمة النظام في المعيشة، فجميع المسلمين يفطرون في وقت واحد، والصوم يحمل الصائم على التذكر لمن لا يجد قوتاً، فيحمله التذكر على الرأفة والرحمة الداعيتين إلى البذل والصدقة"[1].

ج- يوثق الصوم الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم ووسائل ذلك متعددة تربوياً من تبادل الزيارات والتهادي بطرائقه المختلفة، بحيث يستشعر المحلل تربوياً لملامح تلك الفريضة التربوية في زمانها المخصوص كل عام تواصلاً اجتماعياً بين الأفراد وتماسك أسرياً، مستقاة من الخصوصية الاجتماعية لتلك الفريضة في اتجاهها التربوي.

والشعور بالوحدة بين المسلمين والترابط في أداء شعائر العبادة، بالصوم في يوم واحد والإفطار في يوم واحد لما لها من أثر اجتماعي في الشعور بالوحدة.

---

[1] محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٢، ص١٤.

هذه المضامين التربوية الفردية والاجتماعية، إنما تظهر إذا فهم المسلم حقيقة معنى عبادة الصيام، طاعة الله تعالى، وتهذيباً للنفس الأمارة وتزكية لها (قد أفلح المسلم حقيقة معنى عبادة الصيام، طاعة لله تعالى، وتهذيباً للنفس الأمارة وتزكية لها (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)[1].

تلك المضامين تتحقق للمقيم الصحيح، الذي حقق الصوم في نفسه ومجتمعه، ما حقق من سلوك سوي وتهذيب للنفس.

أما من لا يشارك المسلمين بالصوم لأسباب طارئة كالمرض، أو السفر وهم الصنف الثاني فإنهم يفطرون، إذ يصوم الناس، لكن هذه المجموعة ليست الغالبية، وإنما هم قلة قياساً إلى عدد الصائمين الأصحاء، فالحكم ينسحب على الأكثرية ثم إن هؤلاء سيصومون بعد زوال العذر.

وأما الصنف الثالث وهم الذين لا يصومون ألبتة، وإنما يدفعون الفدية لكونهم مرضى لا يرجى شفاؤهم أو لهرم، فهؤلاء كانوا قد صاموا إبان صحتهم وقدرتهم وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على رحمة الله بعباده، أن يسر عليهم ورفع الحرج عنهم وهو مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية وبالتالي يتحقق فيهم أثر عدم القيام بالفريضة، بشعورهم بتيسير الله تعالى ورحمته بهم وهؤلاء ينطبق عليهم المضمون التالي:

رفع الحرج ومنع الضرر من خلال الرخصة الشرعية:

تضمنت فريضة الصيام مراعاة أحوال العباد، ومستويات الطاقات لديهم، ومدى ما تتسع له، وسأتناول مفهوم الرخصة الشرعية والتيسير ورفع الحرج، عن العباد في تلك الفريضة ومواطنها من خلال النصوص الشرعية الآتية:

---

[1] الشمس ٩/١٠.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾[1].

وفي النداء لفتة تربوية يستشعرها المؤمنون، لأن الله عز وجل شرفهم وخاطبهم بهذه الصفة المحببة لقلوبهم.

"وفي النداء تأكيد الحكم وترغيب فيه، وتطييب لأنفس المخاطبين، لأن الصوم عبادة شاقة، فالتشبيه عائد إلى أصل إيجاب الصوم لا إلى كمية الصوم المكتوب"[2].

بعد تأكيد الحكم على المؤمنين، يبين الله تعالى لهم أنه ليس للامتحان فقط، أو مشقة ليس من ورائها قصد. "وإنما هو رياضة وتربية وإصلاح وتزكية ومدرسة خلقية يتخرج منها الإنسان فاضلاً كاملاً يملك نفسه[3]، وشهواته لذلك قال تعالى: ﴿لعلكم تتقون﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾، أن الصوم فرض على الأمم السابقة قبل المسلمين ففي ذكره فوائد تربوية كبيرة منها:

- "الاهتمام بهذه العبادة والتنويه بشأنها إذ شرعها -سبحانه- لإتباع النبي ﷺ ولإتباع الرسل الذين سبقوه في الدعوة إلى توحيد الله وهذا يقتضي وفرة ثوابها ودوام صلاحها"[4].

---

[1] البقرة، آيه ١٨٣.

[2] إسماعيل حقي البرسوي، روح البيان، (دار إحياء التراث، بيروت)، (د. ت)، ص٢٨٩.

[3] أبو الحسن الندوي: الأبحاث الأربعة في ضوء الكتاب والسنة، ط٤، (الكويت، دار القلم)، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م)، ص٢١٠.

[4] عبد العزيز موسى، التفسير الموضوعي لآيات الصوم في القرآن الكريم، ط١، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ص٢٢.

- تسهيل هذه العبادة على المسلمين، لأن الإنسان إذا علم أن غيره قد قام بالعمل المكلف به، خفت مشتقة العمل على نفسه، لأنه عرف أن هناك من سبقه، في القيام بهذه الفريضة.
- قوله تعالى ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾[1]، وهذه الخيرية تقتضي إثارة الهمم والعزائم للنهوض بهذه العبادة، حتى لا يحدث التقصير فيها، والإخبار بفرضيتها على الغير يؤدي هذا الغرض في إثارة الدافعية.

أما في مجال الرخص الشرعية والأخذ بها فقد جاء قوله تعالى: ﴿**فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**﴾[2].

فهذه الآية تبين أصناف المكلفين، الذين تحول بينهم وبين القيام بالفريضة، الموانع مثل السفر والمرض، فقد رخص الله تعالى لهم تيسيراً ورفعاً للحرج بالإفطار وقضاء هذه الأيام، عند زوال العذر فيتحقق مقصود الصيام، عند القضاء كما لو تم في الأصل[3].

"وفي هذا التعبير ضرب من الترغيب والتعريض في إتيان الرخصة ﴿**يريد الله بكم اليسر**﴾ إرادة حكمة تشريع لا إرادة تكوين ﴿**ولتكملوا العدة..**﴾ أي من الأحكام النافعة لكم بأن عظمته وكبرياءه وحكمته في إصلاح عباده وإنه يربيهم بما

---

[1] آل عمران، الآيه ١١٠.

[2] البقرة، آيه ١٨٥.

[3] وهبه الزحيلي، الفقة الإسلامي وأدلته، ط٣، (دمشق، دار الفكر)، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، ص٢٦٠.

يشاء من الأحكام ويؤدبهم بما يختار من التكاليف ويتفضل عليه عند ضعفهم بالرخص اللائقة بحالهم"[1].

وقوله تعالى: **﴿أياماً معدودات﴾**[2]، يقول ابن كثير: "لكي لا تشق على الأنفس وكان هذا في بداية الإسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان" ورحمة من الله تعالى لم يفرض على المسلمين صيام الدهر كله"[3].

وقوله تعالى: **﴿ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾**[4].

"إن المؤمنين على أقسام في الصيام المقيم الصحيح، القادر بلا ضرر يلحقه ولا مشقة ترهقه، الصوم واجب عليه حتماً وتركه من الكبائر، أما المريض والمسافر يباح لهما الإفطار مع وجوب القضاء، لأن من شأن السفر والمرض التعرض للمشقة وكذلك الحامل والمرضع والمريض، الذي لا يرجى شفاؤه"[5].

فجميع هؤلاء الأصناف رخص الله تعالى لهم الإفطار مع القضاء، إذا زال عنهم سبب المشقة والحرج وتيسرت العبادة لهم لأنهم يحققوا الأهداف المرجوة، من فريضة الصيام عند زوال العذر والقضاء.

"شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر (لتكملوا) علة الأمر،

---

(1) محمد علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، دمشق ، دار إحياء التراث، ص٢٢٠.

(2) البقرة آيه ١٨٤.

(3) ابن كثير، الحافظ عماد الدين (ت ٧٧٤)، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، (بيروت، دار الخير)، ١٤١٠- ١٩٩٠م.

(4) البقرة الآية ١٨٥.

(5) محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٢، ص١٥٧.

بمراعاة العدة (لتكبروا) علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر (لعلكم) علة الترخيص والتيسير"[1].

﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.

"وهذه هي القاعدة الكبرى في تكاليف هذه العقيدة، كلها فهي ميسرة لا عسر فيها وهي توحي للقلب الذي يتذوقها بالسهولة واليسر، في أخذ الحياة كلها وتطبع النفس بطابع خاص من السماحة، التي لا تكلف فيها ولا تعقيد"[2].

فهذه القاعدة والتي تنطلق منها أحكام الدين عقيدة وشريعة لذلك نجد التطبيق العملي لها بالرخصة الشرعية من الله عز وجل، لأن الصوم بعيد عن الإرهاق والإجهاد والمشقات التي لا تطيقها النفوس.

- قوله تعالى: **﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾**[3].

"من لا يستطيع الصوم إلا بمشقة شديدة وعلى الذين يشق عليهم الصيام فعليهم فدية طعام مسكين عن كل يوم يفطرون فيه من أوسط ما يطعمون أهليهم في العادة"[4].

ومثل هذه الأحكام غالباً ما تقترن بمظنة المشقة تحقيقاً للرخصة، فهذه الفئة لا يستطيعون الصيام ولا القضاء فيدفعون الفدية.

وقوله تعالى: **﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم**

---

(1) الزمخشري، أبو القاسم جاد الله محمد بن عمر الخوارزمي، (ت ٥٣٨هـ) الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (تحقيق)، محمد مرسي، ط٢، القاهرة، دار المصحف، ١٩٧٧، ج١، ص١١٢.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٦.

(3) البقرة، الآية ١٨٢.

(4) محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٢، ص١٥٥.

فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾[1].

جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن البراء رضي الله عنه قال: "كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر، لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: **﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾** ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت **﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾**، يقول ابن حجر "فرحوا بنزول الآية وفهموا منها الرخصة وهذا وجه مطابقة ذلك لقصة قيس"[2]، والرخصة هنا تيسيراً عليهم ورحمة بحالهم.

وفي إباحته تعالى جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور، لأنه من باب الرخصة والأخذ بها محبوب"[3].

﴿الرفث إلى نسائكم﴾ "كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة"[4].

وقد علمنا القرآن الكريم النزاهة في التعبير، عن هذا الأمر عند الحاجة إلى الكلام، وهذه لفتة تربوية رائعة في تعليم الله عز وجل لنا آداب الخطاب في الحديث في الأمور التي يقبح ذكرها صراحة.

﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾[1].

---

(1) البقرة، الآيه ١٨٧.

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (لبنان، دار الفكر، ١٩٩٣م ج٤، ٦٢٩.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج١، ص٢٣٧.

(4) محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٢، ص١٧٥.

فيها من اللمحات التربوية، في مجال الرخصة الشرعية بالرفث إلى النساء في ليالي رمضان دون النهار.

"والنهي هنا عن القرب لتكون هناك منطقة أمان، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، والإنسان لا يملك نفسه في كل وقت فأحرى به ألا يعرض إرادته للامتحان، بالقرب من المحظورات المشتهاة، اعتماداً على أنه يمنع نفسه حين يريد، ولأن المجال هنا مجال حدود للملاذ والشهوات، كان الأمر فلا تقربوها والمقصود هو المواقعة، لا القرب ولكن هذا التحذير على هذا النحو له إيحاؤه في التحرج والتقوى"[2].

"بولغ في ذلك فنهى أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل"[3].

وفي الآيات التي نصت على الكفارات كان الصيام من باب الترخيص والتسهيل من الله تعالى على عباده.

فتلك الفوائد التربوية للرخص الشرعية، التي أباحها الله عز وجل تيسيراً للعباد ورفعاً للحرج والمشقة عنهم ومن هذه الرخص ما اختص بأداء فريضة الصيام.

---

(1) البقرة الآيه ١٨٧.

(2) سيد قطب، ج١، ص٢٤٧.

(3) الزمخشري، مرجع سابق، ج١، ص١١٤.

الصوم وسيلة لجبر النقص في الطاعات وتكفير الذنوب:

تشكل الكفارات وسائل مخصوصة شرعاً للبراءة من تجاوزات شرعية حددتها النصوص الشرعية، والدارس لمضامين تلك الكفارات يلحظ ارتباطها بالصيام كإحدى المكفرات للتلك التجاوزات الشرعية، ويعد ذلك مؤشراً تربوياً لاعتبار الصيام مكفراً للذنوب والآثام لخصوصياته التربوية والانفعالية في ذات الفرد، إذ تفضي به إلى استشعار التوبة الصادقة، والإنابة المخلصة لله تعالى وتعينه لبلوغ القرب من الله عز وجل بعد التعدي والتجاوز. ويمكن أن نحصر تلك الكفارات على النحو الآتي:

وردت في ست آيات كريمات هي:

الآية الأولى: قوله تعالى: **﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾**[1].

جاءت هذه الآية الكريمة لبيان بعض مناسك الحج والعمرة، ولما بين الله تعالى أن المحرم لا يجوز له الحلق ما دام مستمراً على إحرامه بين الأعذار التي تبيح له الحلق من استمراره على إحرامه[2]، فقال الله تعالى: **﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى ..﴾**.

والشاهد في هذا النص، أن الصوم جعله الله عز وجل جبراً لنقص وقع في عبادة الإحرام، وهذا إن دل على شي فإنما يدل على أهمية الصوم في تهذيب النفس.

---

[1] البقرة، آيه ١٩٦.

[2] سعيد حوى، الأساس في التفسير، مج١، القاهرة، دار السلام، ١٩٨٥م، ص٢٢٥.

الآية الثانية: قوله تعالى: **﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾**[1].

وفي هذه الآية جاء الصوم بدلاً من الهدي، عند التمتع في أداء فريضة الحج والعمرة، وهذا رخصة من الله عز وجل وزيادة في رحمته ورفقه وتيسيره على العباد.

الآية الثالثة: **﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً﴾**[2].

ورد هذا النص الكريم في كفارة القتل الخطأ، فمن لم يجد عتق رقبة أو ثمنها فصيام شهرين متتابعين.

يقول الزمخشري في قوله تعالى **﴿توبة من الله﴾** "قبولاً من الله ورحمة منه، من تاب الله عليه إذا قبل توبته، يعني شرع ذلك توبة منه أو نقلكم من الرقبة إلى الصوم توبة منه، وهذه الآية فيها من التهديد والإبعاد والإبراق والإرعاد أمر عظيم وخطب غليظ"[3].

فالصوم كان هو الكفارة عن بعض الأخطاء ومنها القتل الخطأ وهذا من أبواب رحمة الله بعبادة أن شرع لهم من الطاعات ما يكفرون عما فرط منهم من ذنوب أو وقع منهم من مخالفات قال الله تعالى: **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾**[4].

الآية الرابعة: قوله تعالى: **﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾**[5]. ورد هذا النص في كفارة الحنث في اليمين، فالذي يحنث في

---

(١) البقرة آيه ١٩٦.

(٢) النساء، آية ١٩٦.

(٣) الزمخشري، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٤.

(٤) هود، الآية ١١٤.

(٥) المائدة، الآية ٨٩.

يمينه يحتاج إلى كفارة، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة، فإن لم يجد أو كان غير قادر كان الصوم بديلاً عن ذلك.

الآية الخامسة: قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره﴾**[١].

كفارة قتل الصيد وهو محرم معتمداً جزاء من النعم مماثل له أو كفارة إطعام مساكين، أو ما يعادل ذلك الطعام من الصيام[٢].

والشاهد هنا هو أن الصوم جعل كفارة الصيد للمحرم، فهو الذي يمحو الأثر السيئ لهذا الفعل، وبالصوم يغفر الله تعالى الذنوب.

يقول ابن كثير[٣] "أي إذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من النعم أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات الأمثال أو قلنا بالتخير في هذا المقام بين الجزاء والإطعام والصيام".

الآية السادسة: قوله تعالى: **﴿والذين يظاهرون من نسائكم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلك توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً﴾**[٤].

الصيام في كفارة اليمين لم يجعل مساوياً للإطعام بل تخفيفاً على من لم يستطع الإطعام وإلا لخير بينهما، وقد علم من كفارة الظهار أن صيام شهرين

---

(١) المائدة، آية ٩٥.

(٢) رشيد رضا، مرجع سابق، ج٧، ص١١٠.

(٣) ابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص١١٣.

(٤) المجادلة ٣، ٤.

متتابعين أعظم من إطعام ستين مسكيناً، أو فرض الإطعام على من لم يستطع الصيام وهي على الترتيب لا على التخيير"[1].

والشاهد هنا إن الصوم جعل كفارة عن عمل قبيح، وذنب عظيم وصفه الله تعالى بأنه منكر من القول وزور وهو الظهار.

فجميع هذه الذنوب جعل الصوم كفارة لها، وهذا يدل على أن فريضة الصيام لها من الآثار التي تهذب النفس وتصقل الشخصية، لذلك اختارها الله عز وجل كفارة للذنوب.

خامساً: المضامين التربوية المستنبطة من قيام ليلة القدر:

عظم الله تعالى من شأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم قال تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر"[2]، إذ تنزل فيها الرحمة والملائكة والبركة ويتحقق معها السلام النفسي قال تعالى: ﴿**سلام هي حتى مطلع الفجر**﴾[3].

"وذلك السلام هو سلام الضمير، وسلام البيت وسلام المجتمع الذي وهبها إياه الإسلام، لقد انطفأ النور الجميل الذي أشرق في روحها مرة وغاب السلام الحقيقي، الذي فاض على الأرواح والقلوب"[4].

ويقول ابن كثير[5]: "سلام هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى".

ويتحدد في تلك الليلة المباركة أقدار العباد، قال تعالى: ﴿**فيها يفرق كل أمر حيكم**﴾[6].

---

(1) محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٧، ص١١١.

(2) القدر آيه ١.

(3) القدر، الآية ٢.

(4) سيد قطب، مرجع سابق، ج٨، ص٦٢٧.

(5) ابن كثير، مرجع سابق، ج٤، ص٥٦٤.

(6) الدخان، الآية ٤.

"ولقد فرق فيها من كل أمر حيكم وقد وضعت فيها من قيم وأسس وموازين وقد قررت أقدار أكبر من أقدار الأفراد أمم ودول وشعوب بل أكثر وأعظم وأقدار حقائق وأوضاع وقلوب"[١].

وقد تغفل البشرية عن عظم هذه الليلة فتخسر السعادة والسلام اللذين تحققهما هذه الليلة في نفوس البشر وهما من أجمل نعم الله علينا.

ووجهت السنة المسلم إلى اختصاص تلك الليلة المباركة التي لم تحدد تفصيلاً للاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك لمضاعفة القيام والتضرع بالدعاء والاعتكاف في المساجد منضبطة بالإخلاص لله تعالى.

وسألت السيدة عائشة النبي ﷺ قالت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها! قال: "قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعفو عني"[٢].

يقول الهيثمي[٣] يجود الله تعالى على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، ولا سيما في ليلة القدر وفي هذا الدعاء سر عظيم إذ العفو هو المتجاوز عن سيئات عبادة الماحي لآثارها، عنهم وهو يحب العفو عن عباده ويتجاوز عن سيئاتهم ويمحو أثارهم عنهم، ويحب أيضاً من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض.

فقيام ليلة القدر إحياؤها بالتهجد والصلاة والدعاء وأن يبذل غاية جهده في إحياء العشر الأواخر، والاعتكاف إن استطاع ذلك لعله يدرك ليلة القدر.

---

(١) سيد قطب، مرجع سابق، ج٨، ص٦٢٧.

(٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ): الجامع الصحيح (السنن) موسوعة الكتب السنة، (تحقيق) محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، تونس، دار سحنون، ١٩٩٣م، ج٥، ص٥٣٨، حديث ٣٥١٣.

(٣) احمد بن حجر الهيثمي، اتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام، (صححه) محمد الديوي، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٩٦١م، ص١٨٨.

وارتباط ليلة القدر بشهر رمضان وفريضة الصيام له أثار نفسية وسلوكية على الفرد حين يستشعر عظمة هذه الليلة المباركة التي تشرفت بنزول القرآن الكريم وعظمة هذا الشهر، وهذه الفريضة التي تحقق السعادة والراحة، والطمأنينة للفرد والمجتمع.

فيرى المؤمن مقدار عزته على أعدائه، وتحقيق العبودية لله تعالى فيتزود من تلك الليلة بزاد تربوي تهذيبي يجعله منتظماً في سلك السالكين، إلى الله تعالى بأقوالهم وأفعالهم[1].

وبذلك يتحقق مبدأ الاستمرارية، في إثارة دافعية الفرد تجاه التربية الروحية، وتحفيز سمو الفكر عند الفرد المسلم في ذلك الشهر المبارك المرتبط بفريضة الصيام، وبذلك يبلغ المسلم في بنائه الشخصي، بشكل عام وفكره وانفعالاته على وجه الخصوص الصورة التربوية المثالية، المنشودة من فريضة الصيام.

المضامين التربوية في أحاديث الصيام الواردة في صحيح البخاري:

أولاً: إثارة الدافعية

- إثارة دافعية المسلم تجاه مضاعفة الطاعات والأعمال الصالحة.
- إثارة دافعية الفرد للصيام من خلال الربط بالجزاء الآخروي.

فأما إثارة دافعية الفرد تجاه مضاعفة الطاعات والأعمال الصالحة، والتسابق على الخيرات في شهر رمضان المبارك، فبدلالة قوله ﷺ: "إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وصفدت الشياطين"[2].

والمراد أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات وبقراءة القرآن والذكر

---

[1] محي الدين متسو، الصوم فقهه وأسراره، دمشق، دار القلم، ١٩٨٦م، ص١١٩.

[2] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ج٤، ص٦٠٥، حديث رقم ١٨٩٨.

(صفدت)، سلسلت –أي شدت بالأصفاد وهي الأغلال، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو أو منع الشياطين من أذى المؤمنين في هذا الشهر المبارك.

وبذلك يتسنى للفرد التأسي بسمة العابدين الطائعين الذاكرين الله كثيراً كهدف مهم من الصيام في إثارة دافعية التربية الروحية عند المتلقين ومضاعفة درجات الإيمان في قلوبهم.

يقول ابن حجر "فائدة فتح أبواب السماء، توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين، وأنه من الله بمنزلة عظيمة، وفيه إذا علم المكلف ذلك بأخبار الصادق، ما يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحية"[1].

ثانياً: توجيه الصائم إلى إخلاص النية والصيام لله تعالى

بدلالة قوله ﷺ "والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهواته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشرة أمثالها"[2].

حتى تقع آثار الصيام التربوية موقعها الحسن في إحداث التغيير السلوكي في حياة الفرد والمجتمع في الاتجاه الإيجابي الفعال من خلق مهذب وحلم جميل عن الآخرين واستاراً من النار وقلباً مخلصاً وطلباً للجنات وعملاً زكياً وعلماً غزيراً وخيراً واتقاء للشهوات لذا ارتبط الصيام بالله عز وجل لعظيم قدره وجزيل فضله وأثره على إثارة دافعية الفرد تجاه الطاعات والتسابق إلى الخيرات.

لقوله ﷺ: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به"[3].

---

[1] المرجع السابق، ج٤، ص٦٠٨.

[2] ابن حجر، فتح الباري، ج٤، ص٥٩٢، برقم ١٨٩٤.

[3] المرجع السابق.

والإضافة تشريف وتعظيم كما أن الاستغناء عن الطعام، وغيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله، فلما تقرب العبد إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه"[1].

"وفقه الحديث فيه: فضائل الصوم ومزاياه فمن فضائله إصلاح الغريزة، وترويضها، على الوقوف عند حدود الشرع، والعقل والالتزام بمنهج الدين وتقوية الإرادة، وسد مداخل الشيطان مما يؤدي إلى تحقيق السعادة، النفسية في الدنيا والنجاة من النار في الآخرة"[2].

ولا يخفى أثر وتلك الطاعات ودورها في بعث الهمة الأخروية، في المسلم وتوجيهه إلى إعداد الزاد ليوم لقاء الله تعالى، فضلاً عن تقوية عزيمته في عدم الركون إلى الدنيا ومتاعها، وجعلها موضع عينه ومسعى قلبه وعلمه وبدنه، فضلاً على دورها في استثارة الروحانيات في قلب المسلم وصقل شخصيته بالتربية الروحية، المنضبطة بمبادئ الشريعة.

ثالثاً: تهذيب سلوك الفرد وإمداده بالإرادة والعزيمة في مقاومة الشهوات

للصيام أثر في تهذيب سلوك الفرد وإمداده بالإرادة والعزيمة والقوة المعنوية في مقاومة الشهوات وكبح جماعها عنه، لذا بوب الإمام البخاري في صحيحه (باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة) ثم أورد فيه قوله ﷺ "من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[3].

---

(1) ابن حجر مرجع سابق، ج٤، ص٥٩٩- ٦٠٠.

(2) حمزة محمد قاسم، منار القارئ في شرح مختصر صحيح البخاري (راجعه عبد القادر الأرناؤوط، بيروت، مكتبة المؤيد، ١٩٩٠، ص٢٠٣.

(3) البخاري، ج٤، ص٦١٣، حديث رقم ١٩٠٥.

ونستنتج من هذا الحديث جانب مهم من جوانب الشخصية وهو (ضبط الذات) ويقوم المربون عادة بتدريب التلاميذ على مثل هذا الجانب لأهميته في التربية فالصيام حسب هذا الحديث ينمي عند الصائم هذا السلوك الإيجاب الحسن.

ويتضمن الحديث حثاً وحضاً على الصيام لمن خاف من العزوبة، لما ينشأ عنها من إرادة الوقوع في العنت وذلك عندما لا يجد الشاب أهبة النكاح، لأن في الصيام قمعاً لشهوة النكاح.

وفي الصيام تدريب للفرد على الصبر والتحمل ومقاومة هوى النفس، ومضاعفة تعلق قلبه بربه عز وجل وتطلع إلى الجزاء الأخروي وإعراض عن متاع الدنيا الزائل وما تقبح به من شهوات وأثام وإكساب له من سمة الملائكة بالروحانيات العالية، وعلو الهمة فضلا عن إغناء قلبه بالطاعة والإيمان وتهذيب سلوكه بالتحلي بالآداب الراقية، وفي مقدمتها غض البصر وتحصين الفرج طلباً لرضوان الله تعالى ومحبته وذلك في الإطار الفردي[1].

وتلك الآداب السلوكية السابقة، الذكر تعد هدفاً مهماً من أهداف الصيام في المجال السلوكي في حياة الفرد ليكون تعامله الذاتي محط الثناء والإعجاب في المجتمع.

رابعاً: تنمية الآداب السلوكية الاجتماعية

ومن ذلك ترك قول الزور بدلالة قوله ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[2].

---

(1) أبو حامد الغزالي، ت (٥٠٥) إحياء علوم الدين، بيروت دار المعرفة) مج٣، ص٧٧.

(2) البخاري، متن الفتح، ج٤، ص٦١٠، حديث رقم ١٩٠٣.

أي لا يكون صيامه مرضياً عنه، ولا يقبل قبولاً كاملاً ولا يثاب عليه ثواب الصائمين الذين يوفون أجرهم بغير حساب، وإن كان الصوم مسقطاً للفرض (ليس له حاجة) مجاز يراد به عدم القبول.

ومن فقه الحديث: تحذير الصائم من الأقوال والأفعال المحرمة، لأنها تسبب غضب الله عز وجل وتنقص من ثواب الصوم فلا يستحق الصائم الثواب الكامل إلا إذا صام عن المحرمات حتى يتحقق فيه المفهوم الحقيقي للصوم.

ليس الغرض من الصيام الحرمان من الطعام والشراب، بل ما يترتب عليه من تهذيب النفس وتقويم السلوك الإنساني، أي ليس المقصود الجوع والعطش بل ما يتبعه من حبس الشهوات وقهر النفس الأمارة وانقيادها للنفس المطمئنة.

لذا فإن الصيام وقاية وستراً للمسلم من النار في الآخرة، وذلك إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا بدلالة قوله ﷺ: (الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن إمرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم –مرتين- والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)[1].

ففي الصوم الأثر الكبير في تربية النفس وترويضها على اتباع الشرع والانزجار عن كل ما يغضب الله تعالى فيضمن الأمن النفسي والاجتماعي في حياته وسلوكه، لأن روح الصوم وسره في كسر تلك القوى التي يستخدمها الشيطان للشرور، ولن يحصل هذا الأمر إلا بالتزام الفريضة وبالآداب الناتجة عنها فيرقى إلى مرتبة عالية، وسمو في الأخلاق، فإذا أساء له شخص لم يعامله بالمثل بل تركه وشأنه، قائلاً إني صائم احتراماً لحرمة هذا الشهر وهذه الفريضة.

---

[1] البخاري، متن الفتح، ج٤، ص٥٩٤، حديث رقم ١٨٩٤.

خامساً: الانعكاسات السلوكية للصيام على المجتمع:

وتستثير فريضة الصيام في المسلم المشاعر المرهفة تجاه الفقراء والمحتاجين في الأرض فتترجم تلك المشاعر الصادقة سلوكاً إيجابياً، في المجتمع في إطار الصدقات والتكافل الاجتماعي، في شهر رمضان تأسياً بالنبي ﷺ.

فقد (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة[1]، أي فيعم بره وخيره من هو بصفة الفقر والحاجة ومن هو بصفة الغنى والكفاية أكثر مما يعم الناس من الغيث الكثير الناشئ عن الريح المرسلة.

لذا يتسنى بتلك الفريضة المباركة إغداق الخير، على الآخرين بدافع الحس الاجتماعي المرتبط بالعقيدة الإسلامية.

"وشهر رمضان وهو شهر المواساة، فمن عجز فيه عن الإيثار على نفسه الذي هو أفضل الدرجات، فلا يعجز عن درجة أهل المواساة، فقد كان كثير من السلف يواسون مما يفطرون عليه أو يؤثرون به ويطوون"[2].

من حكم مشروعية الصيام ليشعر الأغنياء بجوع الفقراء فلا ينسون الجائع، وفيه اجتماع الطوائف الكثيرة من المسلمين على عمل واحد، في زمن واحد حيث يشجع بعضهم بعضاً فيكون لهم المعونة على الفعل، ويكون الأمر ميسراً عليهم.

---

(١) البخاري، ج٤، ص٦١٠ حديث رقم ١٩٠٢.

(٢) الهيثمي، أحمد بن حجر، اتحاف اهل الإسلام بخصوصيات الصيام، مرجع سابق، ص ١٤٩.

سادساً: دور الوالدين في تدريب الأبناء على الصيام:

دور الآباء والأمهات في تربية الطاعات، عند الأبناء ومنها الصيام من خلال الأسوة الحسنة، وتدريب الأبناء على الطاعات وتعويدهم عليها منذ الصغر.

إن في أعناق الآباء والأمهات مسؤوليات خطرة، تجاه ما ينشؤن بين أيديهم من جيل واعد للأمة المسلمة، في أدق الأمور وجلها من مهام التربية العملية، ومن ذلك الأسوة الحسنة وتدريب الأبناء على الطاعات من الصغر.

ففي الجانب الأول: من مهام التربية العملية في النطاق الأسري يقتضي خضوع أرباب التربية في المحيط الأسري إلى برامج تربوية في ذات أنفسهم لصقل وترسيخ المفاهيم التربوية في سلوكهم العملي وترسيخها حتى يتسنى لأبنائهم المشاهدة الجلية والمعايشة الواقعية لتلك النماذج العملية، حتى يتمكنوا من اقتباس السلوك والتعامل معهم، دون إسقاطهم في دائرة التناقض والاضطراب بين المعرفة، والواقع المعاش ومن ذلك مفاهيم التربية الروحية، بكافة أنواعها ومنها عبادة الصيام، وطاعة الصيام، وطاعة القيام في ليالي رمضان المباركة والاجتماع العائلي لحضور مائدة الإفطار وحضور السحور إيذاناً لابتداء الصيام من يوم جديد.

وفي الجانب الثاني: تدريب الأبناء على الطاعات، منذ الصغر والاجتهاد في إنتاج وابتكار المثيرات العملية، والوسائل المنشطة في إثارة دافعية الأبناء الصغار، تجاه الصيام ومجاهدة النفس على مشاقه، وشغل أوقاتهم باللهو المباح والألعاب إيناساً لهم وحثاً لهم على المصابرة لإتمام العبادة دون قطعها من خلال المنشطات الروحية، والملاطفة والإيناس مع المتابعة والإشراف من الوالدين للأبناء.

وذلك يشكل جزئية من تبعات الوالدين تجاه أبنائهم بدلالة قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**﴾[2].

ويقاس على ذلك تربوياً عبادة الصيام، ولذلك يفسر الفقه التربوي عند الربيع بنت معوذ حديث الربيع بنت معوذ قالت"أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائماً فليصم، قالت فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار"[3]، وهو تمرين الصبيان على الصيام وتشجيعهم على ذلك وابتكار الوسائل المنشطة لمساعدتهم إذ تكون بمثابة أدوات مؤانسة، وأشكال باللهو المباح حتى يتمكنوا من مواصلة الصيام حتى الإفطار.

دور ولي الأمر في تربية أهله:

ودلالته حديث الرسول ﷺ عن عائشة رضي الله عنها: "كان النبي إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله"[4].

شد مئزره: أعتزل النساء شد مئزره حقيقية فلم يحله واعتزل النساء وشمر للعبادة فمهمة ولي الأمر تربية أهله وحثهم على العبادات، وذلك لقوله تعالى: ﴿**"وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**﴾[5]، ﴿**يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم ناراً**﴾[6].

---

(1) التحريم الآيه ٦.

(2) طه آيه ١٣٢.

(3) ابن حجر، ٧١٥/٤ حديث برقم ١٩٦٠.

(4) البخاري، ٨٠٢/٤، حديث برقم ٢٠٤١.

(5) ابن حجر، مرجع سابق، جزء ٤، ص٧١٥، حديث برقم ١٩٦.

(6) البخاري مرجع سابق، ٨٠٢/٤، حديث برقم ٢٠٤٢.

وهذه اللفتة التربوية في حديث عائشة، (وأيقظ أهله) فالنبي ﷺ كان حريصاً على الصلاة والذكر وتلاوة القرآن، وحريصاً على دوره كولي أمر في حث أهله على العبادات من صيام وقيام.

والفقه التربوي للحديث:

١- كان يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في غيرها وفيها الحث لنا على الاقتداء بسيدنا محمد ﷺ وفي إحياء العشر الأواخر من رمضان.

٢- استحباب الاجتهاد في العبادة وإحياء الليل وإيقاظ الأهل في هذه العشر اقتداء به، والحرص على حث الأهل للقيام بالعبادات ومنها إحياء العشر الأواخر.

وفي قيام الليل الأثر الكبير، في بعث التربية الروحية في الفرد المسلم، وتنشيط الدافعية في اتجاهها في ذلك الشهر المبارك.

وفي قولها العشر الأواخر –لفتة تربوية رائعة عند الإمام ابن حجر بالحرص بإغداق الخير ويدخل في ذلك قياساً استثمار المسلم أواخر عمره خاصة بالطاعات والصالحات، وحسن الأوبه إلى الله عز شأنه وجلاله والكف عن المنبهات والمسابقة إلى الخيرات.

في الحديث الحرص على مداومة القيام في العشر الأواخر إشارة إلى الحث على تجويد الخاتمة[1].

---

[1] البخاري، متن الحديث، ج٤، ص٦٣٦، حديث برقم ١٩٢٠.

مبدأ الاستعداد والتزود للعبادات من خلال السحور:

بدلالة قوله ﷺ (تسحروا فإن في السحور بركة)[1]، لأن فيه تقوية وتنشيط للصائم وتخفيفاً المشقة عليه، فضلاً عما يحصل به من بركة، وإتباع السنة، والتقوي به على العبادة، والزيادة في النشاط، ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع والتسبب للذكر والدعاء وقت مضنة الإجابة، وفيه قوة البدن على الصوم وتيسيره من غير إضرار بالصائم.

وفي السحور رد على أولئك الذين يتشددون في العبادات والصوم خاصة فيستخدمون الصوم كنوع من المشقة والتعب: لذلك عالجت الشريعة الإسلامية هذا الباب بالحث على السحور والترغيب فيه واستحبابه.

وعن سهل بن سعد ﷺ قال: (كنت أتسحر في أهلي ثم تكون سرعتي أن أدرك السجود مع رسول الله)[2].

فنلمح حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الالتزام بالسنة وأصابتها فضلاً على أن في النص الشرعي السابق ذكراً للفتة تربوية مهمة وهي تثبيت حقيقة الاجتماع العائلي، في الأسرة المسلمة وتأكيداً عليه حتى في أدق الطاعات ويتجلى الترابط الأسري في أبسط مظاهره ودلالته (كنت أتسحر في أهلي) أي إن الله أودع في السحور خيراً كثيراً ونفعاً عظيماً لأنه ينشط البدن ويقوي الجسم ويعين على الصيام الذي هو من أفضل القربات وأعظم الطاعات، لذلك أمر به النبي في هذا الحديث ورغب فيه.

---

[1] البخاري، متن الفتح، ج٤، ص٦٣٨، برقم ١٩٢٣.

[2] البخاري، متن الفتح، ج٤، ص٦٣٦، حديث رقم ١٩٢٠.

التربية الروحية وآثارها في الفرد المسلم من خلال الصيام والقيام:

إن فريضة الصوم في المجتمع المسلم، عرضة لأن يتغلب عليها التقليد والمسايرة من قبل بعض الأفراد تفادياً للطعن فكان من حكمة النبوة اشتراط الرسول ﷺ للصوم المقبول الإيمان والاحتساب بدلالة حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ بقول لرمضان: من قامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"[1].

(إيماناً: تصديقاً بوعد الله بالثواب عليه، احتساباً: طلبه للأجر لا لقصد آخر من رياء)[2].

ويظهر دور الصيام في تحقيق آثار التربية الروحية عند الفرد المسلم، وإثارة الهمة والنشاط والإقبال لديه من خلال وعد الله عز وجه بإثابته على القيام باشتراط إخلاص العبودية لله تعالى، دون مداخلة الرياء والعجب في ذات الفرد المتلقي، وما يتضمن ذلك من مجاهدة النفس وترتيبها على الطاعة وحب الله تعالى، والتعلق بما عند الله تعالى من النعيم المقيم والخير الجزيل، والإعراض عن تعلق الهمة بمتاع الدنيا وإيثاره عن الآخرة، وما أعد فيها من قرة عين وأمن فضلاً عما في تلك الطاعة من صقل لنفس المسلم وتهذيب لسلوكه الحياتي وتدريبه على تحمل المشاق وإمداده بالهمة العالية، والمعنويات الراقية من تحمل مسؤولياته وأعبائه بكافة أنواعها، بإيجابية مطلقة وإرادة قوية وعزيمة صادقة.

وإخفاء ليلة القدر فيه حث للمسلمين، على الاجتهاد في العشر الأواخر كلها "التمسوها في العشر الأواخر من رمضان".

---

(١) البخاري، متن الفتح، ج٤، ص٧٧٨، حديث برقم ٢٠٠٨.

(٢) ابن حجر، ج٤، ص٧٧٩.

"والقيام في رمضان كما قال النووي: صلاة التراويح ففي الحديث الترغيب في إحياء ليالي رمضان العبادة وقراءة القرآن والتأكيد على استحباب صلاة التراويح لأن النبي جعل قيام رمضان سبباً في غفران الذنوب"[١].

الأسوة الحسنة في الصيام من خلال الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام.

منها صيام سيدنا داود عليه السلام والتأسي بالنبي ﷺ في صيامه وقيامه وجوده برمضان.

ومنها وجود القدوة والمثل الأعلى لكل مسلم في هذه السيرة العطرة، من أجل الإتباع والاسترشاد بها والسير على هداها لأن الإنسان يحب بطبيعته البشرية أن يقتدي بالنماذج الفاضلة من البشر والأنبياء هم صفوة الخلق.

فالممارسة العملية والتدريب لهما أعظم الأثر في التربية الخلقية، فهو أشد وقعاً في النفس البشرية وأوعلى إلى الإتقان العملي والشعور بالثقة، والامتناع كما كان يفعل الصحابة الكرام في تعلمهم وتعليمهم، متأسين بذلك برسول الله ﷺ وهو يدربهم على الأعمال ويمارس ذلك ممارسة عملية، في مختلف الأوقات من المناسبات، يعلم أصحابه بذلك حتى قالت فيه السيدة عائشة أم المؤمنين (كان خلقه القرآن) [٢]، أي بتدبيره وحسن تلاوته والالتزام بآدابه وعدم تجاوز حدوده، ومن هنا كان ضروري تطابق القول مع العمل[٣].

وحديث "أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان"[٤].

أي إن جوده ﷺ لم يكن خاصاً بنوع من أنواع الجود بل اشتمل على جميع أنواع الجود من العلم والمال وغيرهما حتى بذل نفسه لله في إظهار دينه

---

[١] حمزة محمد، ١٩٩٠، ج٣، ص٢٤٢.

[٢] رواه مسلم، ج١، ص٥١٣، حديث رقم ١٣٩.

[٣] محمد منير مرسي، مجتمع الفضيلة، (عالم الكتب) ١٩٩٨.

[٤] البخاري، متن الفتح، ج٤، ص٦٨٠، حديث برقم ١٩٠٢.

وهداية العبادة، فشهر رمضان أعظم المواسم وأجلها وأعلاها، وأكملها فهو عمل جوده الأعظم، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله عز قائلاً مخصصاً به رمضان إيماءً وتلويحاً حيث أنزل فيه ومعمماً به غيره لفظاً وحكماً (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)[1].

وحديث النبي ﷺ للثلاثة الذين جاءوا يسألون عن عبادته، فيه القدوة الحسنة والحث عليها في قوله "فمن رغب عن سنتي فليس مني".

ودلالته قوله عليه السلام "فصم صوم داود عليه السلام"[2]، وحديث أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان[3].

التربية الترويحية:

مراعاة مبدأ الترويح عن النفس في ضبط عبادة الصيام في الأمر والنهي عن صيام يومي الفطر والأضحى.

ودلالته قول النبي ﷺ عن أبي عبيد مولى أزهر قال: "شهدت العيد مع عمر بن الخطاب ﷺ فقال: (هذان يومان نهى رسول الله عن صيامهما: يوم فطركم من صيامكم واليوم الآخر تأكلون فيه نسككم)[4].

"وصف اليومين الإشارة إلى العلة في وجوب فطرهما، وهو الفصل من الصوم وإظهار تمامه وحده بفطر ما بعده، والآخر، لأجل النسك المتقرب بذبحه"[5].

---

(1) البقرة أيه ١٨٦.

(2) البخاري، ج٤، ص٧٤٥، ١٩٧٩.

(3) رمضان، ج٤، ص٦١٠ حديث رقم ١٩٠٢.

(4) الأحزاب، آيه ٢١.

(5) البخاري، متن الفتح، ج٤، ص٧٦٣، حديث رقم ١٩٩٠.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: (ينهى عن صيامين وبيعين: الفطر والنحر، والملامسة والمنابذة)[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (سمعت أربعاً من النبي فأعجبني قال: لا تسافر المرأة مسيرة يومين إلا ومعها زوجها أو ذو محرم، ولا صوم في يومين: الفطر والأضحى، ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب، ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام مسجد الأقصى ومسجدي هذا)[2].

وقد حثت التربية الإسلامية على مراعاة مبدأ الترويح عن النفس، وبعث الهمة والنشاط في نفس الفرد المسلم، وعدم الغلو والتشدد في العبادات خاصة ومنهج الحياة عامة، وذلك الفقه التربوي المستنبط في دائرة الحكم الشرعي، من نصوص السنة الشريفة التي تضمنت النهي عن الصيام في عيد الفطر والأضحى وأيام التشريق، باعتبارها أيام لهو ولعب وترويح عن النفس في الحدود والضوابط الشرعية لذلك، دون ترك الأمر على مصراعيه دون تقيد وضبط اهتمت التربية الإسلامية بالجانب الترويحي للمسلم، في العبادات حيث ذكر النبي ﷺ، العلة التي من أجلها أباح الله عز وجل الفطر في هذين اليومين.

دل هذا الحديث على تحريم صوم يوم الفطر ويوم الأضحى لأن الأول منهما هو اليوم الذي يفطر فيه الناس من صيامهم فيجب عليه إفطاره ويحرم عليهم صيامه، وأما الإناث فيحرم صيامه لأن الله قد شرع للناس ضحاياهم، وسن لهم نبيه ﷺ الأكل منها في هذا اليوم، فيكف يعارضون ذلك بالصوم"[3]، فطريقة الإسلام في التربية هي معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئاً

---

(1) البخاري، متن الفتح، ج٤، ص٧٦٥، حديث برقم ١٩٩٣.

(2) البخاري، متن الفتح، ج٤، ص٧٦٦، حديث برقم ١٩٩٥.

(3) حمزة محمد قاسم، مرجع سابق، ج٣، ص٢٣٧.

ولا تغفل عن شيء جسمه وعقله وروحه وحياته المادية والمعنوية وكل نشاطه في الأرض[1].

التربية الجمالية:

راعت التربية الإسلامية اللمسات الجمالية في طبع عبادة الصيام ونستمد ذلك الفقه التربوي من السنة الشريفة، وأفعال الصحابة رضوان الله عليهم إذ يلحظ المتأمل التناغم الرائع بين التربية الروحية والتربية الجمالية معاً في عبادة الصيام ومن ذلك استخدام السواك.

واستخدام السواك له منافع جمالية حضت عليها التربية الإسلامية، في إطار الجانب الجمالي فيها بدلالة قوله ﷺ: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء)[2].

وكان النبي ﷺ بدوام على ذلك أثناء صيامه، بدلالة ما يرونه عامر بن ربيعة قال: (رأيت النبي ﷺ يستاك وهو صائم مالا أحصي أو أعد)[3].

ويذكر أنس عن النبي ﷺ أنه استاك وهو صائم وقال ابن عمر يستاك أول النهار وآخره[4].

وفي جمال حسن السمت والهيئة في إطار التربية الجمالية، ما قاله ابن مسعود "إذا كان صوم أحدكم فليصبح دهنياً مترجلاً وقد استحب السلف للصائم الترفه والتجمل بالترجل والادهان والكحل ونحو ذلك"[5].

---

(1) عبد القادر عبد الرؤوف، الأخلاق الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، (القاهرة، دار الطباعة المحمدية)، ١٩٩٢م.

(2) البخاري، متن الفتح، ج٤، ص٦٦٢، باب ٢٧.

(3) البخاري، متن الفتح، ج٤، ص٦٦٢.

(4) ابن حجر، مرجع سابق، ص٦٥٦.

(5) ابن حجر، ج٤، ص٦٥٦.

وقال ابن سيرين: لا بأس بالسواك الرطب قيل له طعم: قال: والماء له طعم وأنت تمضمض به ولم ير أنس والحسن وإبراهيم بالكحل للصائم بأسا وقال الحسن لا بأس بالتبرد للصائم[1].

فجميع هذه النصوص تؤكد على عناية التربية الإسلامية، بالنواحي الجمالية للمسلم في أداء العبادات ومن عبادة الصوم، حيث ينقطع فيه المسلم لله تعالى وهذا لا يمنعه من الاعتناء بالناحية الجمالية مما سبق ذكره.

فلا تعارض بين الإقبال على الله تعالى وبين الاعتناء بالجسم فيكون الصوم عبادة تعين المسلم، من الناحية الروحية والجسمية فتحقق له التكامل في الشخصية المسلمة.

---

[1] انظر: ابن حجر، ج٤، ص٦٥٦، باب ٢٥.

أ- المعنى المعجمي للزكاة:

الطهر النفسي كما في قولة تعالى في سورة الكهف: **﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما﴾** ويقال: زكاة الزرع يزكو زكاء – بالفتح – أي نماء وتزكية النفس مدحها ومنة: **﴿فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾** والغالب هو الثناء بالطهر، فهو ثناء بالمعنويات لا الماديات، وهو غاية المؤمن في نحو قولة تعالى أمر موسى-علية السلام -بالذهاب إلى فرعون **﴿انه طغى فقل هل لك أن تذكر﴾** ووسيلة التزكية في الإسلام ننظر إلى الدوافع الإنسانية ممثل حب الاستطلاع والبحث عن الطعام والجنس.

١- معرفة آيات الله والحكمة كما في قولة تعالى: **﴿يتلوا عليهم آيات ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾** والكف عن الفضول: **﴿وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾**.

٢- البحث عن الطيبات من الرزق **﴿فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منة﴾** ولقد يتحرج أناس أن يطعموا مما هو حرام مصدرة .غير انهم ينفقون المال الحرام في لهو ولذة نفس. وقد ورد من الأحاديث النبوية ما يقف الإنسان على اعتدال من أمره (فمن يأخذ مالا بحقة يبارك له فيه. ومن يأخذ مالا بغير حقة فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع)[١] ويقول- ﷺ (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن أدم إلا التراب

---

[١] صحيح مسلم ١٠١/٢.

ويتوب الله على من تاب)[1] إما الغنى الحقيقي ففي النفس موصولة دوافعها بالله تعالى ليس الغنى عن كثرة العرض (ولكن الغنى غنى النفس)[2].

٣- صون الدفع الجنسي عن الحرام يقول الله: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون**﴾[3] وفى قولة تعالى: ﴿**قل إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا**﴾[4] تلقين بان المثل الأعلى في تلك المعجزة الخاصة بمريم أن يكون الغلام طاهرا ﴿**أية للناس**﴾[5] فاستحق بذلك أن يكون ﴿**هبة**﴾ من الوهاب العظيم.

٤- التقوى في البذل ﴿**وسيجنبها ألأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى**﴾[6].

المعنى الاصطلاحي للزكاة:

هي الركن الثالث من أركان الإسلام بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة , ويقصد بها ذلك القدر من المال الذي يعطيه المسلم سنويا لولى الأمر لإنفاقه على مستحقيه وقد وردت كلمة (الزكاة) في القرآن الكريم اثنتين وثلاثين مرة . واكثر ورودها مسبوقة بفعل الأمر بصيغة الجمع وأتوا لما لهذه العبادة من نشر روح التواد في المجتمع ﴿**وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة و أقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خير واعظم أجرا**﴾[7] وإذا كانت تقترن بإقامة الصلاة وفى الصلاة، ركوع فان النص على الركوع بعد

---

(١) مسلم ٢/٩٩/١٠٠.

(٢) مسلم ٢/١٠٠.

(٣) سورة النور ٣٠.

(٤) مريم ١٩.

(٥) مريم ٢١.

(٦) الفيل ١٧- ١٨.

(٧) البقرة ١١٠.

ذكر الزكاة في غير أية يشير عندنا إلى ما يجب أن تكون علية النفس من تضامن غير شامخة بأموالها يقول الله: **﴿وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾** **﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** وقد فرضت الزكاة على الأمم قبل الرسالة المحمدية الخاتمة لتعالج من النفس غرورها بالمال وإهمال حق المستحقين فيه، يقول الله: **﴿ولقد اخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم إثنى عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمنتم بر سلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات ...﴾** [1] ونتأمل ذلك العهد الإلهي على بنى إسرائيل يشير إلى ما اشتهر به بنو إسرائيل من تجارة وبعض معاملات ربوية فإذا الآية تشير إلى قرض الله **﴿قرضا حسنا﴾** أي لا يشوبه رياء أو استغلال إنما تخلص دوافعه إلى الله، وإذا الآية تشير أيضا إلى الثواب بما لا مزيد عليه فالمقابل للرباء هو الزكاة.. هكذا تصح الآيات مفهوم الناس حيث يظنون في الزكاة نقصا **﴿وما أتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾** [2] إن الزيادة أو النماء رغبة في النفس ملحة فإذا لم يوجد النماء فان سعى الناس إليه لا يفتر إذا أرادوا لأنفسهم خيرا. فقد كانت الزكاة في صدر الإسلام ركيزة تعتمد عليها الدولة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويقول الدكتور يوسف القرضاوي ..الزكاة في لغة العرب معنيان معنى الطهارة، والنظافة ومعنى النماء والزيادة فهي طهارة النفس الغنى من الشح البغيض، تلك الأنسة النفسية الخطرة التي قد تدفع من اتصف بها إلى الدم فيسفكه أو العرض فيبذله أو الوطن فيبيعه. ولن يفلح مجتمع

---

[1] المائدة ١٢.

[2] الروم ٣٩.

سيطر علية الشح وملك ناصيته[1] **﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾**[2] يلاحظ الباحث من المفاهيم السابقة للزكاة أنها تتلاقى وتتعانق في كون الزكاة زيادة في الأموال وحصن له ونماء، وكثرة وطهارة للمال، وطهارة للنفس، ورحمة في عيون الفقراء، وتدعوا إلى التماسك، فتذيب الطبقية، وتمنع الأحقاد والدغائن، بل هي علاج هام وبلسم لجروح المجتمعات ويؤكد هذا الكلام د/ سلطان بن محمد على السلطان فيقول: (الزكاة في اللغة تدل على النماء والزيادة يقال: زكى الزرع إذا كثر ريعة، وزكت النفقة إذا بورك فيها وتطلق على تطهير النفس والمال وهى الركن الثالث من أركان الإسلام، يكفر من يجحدها ويفسق من تهرب عن دفعها وتؤخذ بالقوة ممن منعها[3] ويقول الحق تبارك وتعالى: مؤيدا ذلك **﴿قد أفلح من تزكى﴾**[4] ويقول في أية أخرى: **﴿قد أفلح من زكاها﴾**[5] وفى الشرع حق واجب في مال خاص لطائفة مخصصة في وقت مخصص وخلاصة القول إن الزكاة هي العبادة المالية والفريضة الثالثة، فرضت على المسلمين في السنة الثانية من الهجرة لتطهر القلوب من الشح والبخل والحقد، وتغرس بذور الألفة والمحبة في المجتمع وإرساء التضامن الاجتماعي بين أفراده[6] وبالرغم من التعريفات والمفاهيم السابقة للزكاة، إلا أن هناك ثمة تعاريف في بطون الكتب. وكذلك في عقول أولي الألباب من العلماء وربما لو أننا تعرضنا لجميع التعاريف أو السواد الأعظم لاحتاج ذلك إلى أوراق متعددة ربما لا حصر لها ولكن على سبيل الذكر لا الحصر تعرضنا للقدر القليل من المفاهيم والتعاريف ولا أجد غضاضة في أن أذكر هنا في هذا البحث

---

(1) د / يوسف القرضاوى . العبادة فى الاسلام . مكتبة وهبة ١٤ ش الجمهورية وعابدين ط، ١٥ القاهرة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م ص ٢٧٣.

(2) الحشر ٩ . والتغابن ١٦.

(3) د / سلطان بن محمد على السلطان . الزكاة تطبيق محاسبى معاصر . دار المريخ للنشر

(4) الاعلى ١٤.

(5) الشمس ٩.

خلاصة لتعاريف ومفاهيم حول الزكاة في اللغة وفى الشرع وفى ذلك يقول احمد اسماعيل يحيى "الزكاة لغة الطهارة: والنماء والبركة والمدح، وكله قد استعمل في القرآن والحديث ووزنها فعلة كالصدقة، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها ألفا، وهى من الأسماء المشتركة بين المخرج والفعل. فينطلق على العين وهى الطائفة من المال المزكى أو على المعنى وهى التزكية كالمراد في قولة تعالى: ﴿**والذين هم للزكاة فاعلون**﴾ التزكية وهى المعنى لاألعين فالزكاة طهرة للأموال. وزكاة الفطر طهرة للأبدان قال السرخسي: الزكاة في اللغة عبارة عن النماء والزيادة، ومنة يقال زكى الزرع إذا نما فسميت الزكاة زكاة لأنها سبب زيادة المال بالخلق في الدنيا والثواب في الآخرة. وقال الله تعالى: ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه**﴾ وقيل أيضا: عن الطهارة . قال تعالى: ﴿**قد أفلح من تزكى**﴾ أي تطهر. وإنما سمى الواجب زكاة لأنها تطهر صاحبها عن الآثام. قال الله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ وهى فريضة مكتوبة ووجبت بإيجاب الله تعالى، فإنها في القرآن ثالثة أركان الإيمان. قال تعالى: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة**﴾ وفى السنة هي من جملة أركان الدين الخمس. قال ﷺ: (بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إلية سبيلا) فأصل الوجوب ثابت وسبب الوجوب، ما جعله الشرع سببا وهو المال.

الزكاة شرعاً:

أما الزكاة فى الشرع فهى تمليك جزء مال عينة الشارع من مسلم لفقير غير هاشمى ولامولاة مع قطع المنفعة عن المملك من كل وجة. مقيد تمليك فى هذا التعريف للمسلم الفقير لاينفى التمليك للعامل على الزكاة. وفى التعريفات: الزكاة عبارة عن ايجاب طائفة من المال فى المال مخصوص لمالك مخصوص. وفى

ملتقى الابجر تمليك جزء من المال معين شرعا من مسلم لفقير غير هاشمى ولا مولاة مع قطع المنفعة عن أململك من كل وجة للة تعالى وفى مراقى الفلاح شرح نور ألإيضاح تمليك مال مخصوص. فرضت على حر مسلم مكلف، مالك لنصاب من نقد ولو تبرا أو حليا أو أنية أوما يساوى قيمتة من عروض تجارة فارغ عن الدين وعن حاجتة الاصلية، نام ولو تقديرا[1] مما سبق نجد ان الزكاة فريضة وعبادة شرعها الحق تبارك وتعالى من فئة معينة وتعطى لفترة معينة للترابط بين البشر.

حكم مشروعية الزكاة

الزكاة فريضة واجبة . قال تعالى: **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾**[2] وقال صلى الله علية وسلم: (بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إلية سبيلا)[3] وهذه أدلة قوية من الكتاب والسنة تجزم بفريضة الزكاة وضرورة وجوبها على المسلم، ويقول د/ عبد الله محمود شحاتة: (الزكاة فريضة محكمة ثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة والإجماع وقد حث الدين على أدائها وتوعد تارك الزكاة بعذاب السعير.كما تكرر الأمر بها في القرآن الكريم وقرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية فالصلاة والزكاة أساس وطيد لسعادة الأفراد والمجتمعات قال تعالى: **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير﴾** وقال سبحانه وتعالى: **﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾** كما حفلت كتب السنن بالحث على

---

(1) احمد إسماعيل يحيى، الزكاة عبادة مالية وأداة اقتصادية، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٦ ص ١٧-١٨.

(2) المزمل ٢٠.

(3) متفق علية.

الزكاة وبيان فضلها قال ﷺ: في حجة الوداع: (اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمرتم تدخلوا جنة ربكم) رواة الترمذي وصحيحة. وروى الجماعة عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبي ﷺ، لما بعث معاذ بن جبل رضى الله عنة إلى اليمن قال له. انك تأتى قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فان هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم فان هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)[1] وروى الطبراني في الأوسط والصغير عن على كرم الله وجهه أن النبي صلى الله علية وسلم قال: (إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بالقدر الذي يسع فقرائهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنيائهم الا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما)[2] ويرى الباحث مما سبق أن الزكاة: فرض واجب التنفيذ ومن يعطل هذا الفرض يكون قد هدم ركنا من أركان الإسلام فالزكاة ضريبة مالية يجب إخراجها على من يملك نصابا معينا من الأموال والغرض منها هو التكافل الاجتماعي.

الدعوة إلى الزكاة

إن الدعوة إلى الزكاة دعوة لجميع الأمم في سالف الزمان إلى يوم القيامة على مستوى الفرد والجماعة والذكور والإناث لما في إيتائها من تزكية للنفس وهكذا **﴿أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل﴾** وكان موسى علية السلام داعيا اليها وأرسل بها **﴿ولقد اخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر رقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا**

---

(١) د/ عبدالله محمود شحاتة. اركان الاسلام. مكتبة الاسرة ١٩٩٧ م ص ١٩٣- ١٩٥.

(٢) قال الطبراني: تفرد بة ثابت بن محمد الزاهر. قال الحافظ. وثابت ثقة صدوق روى عنة البخارى وغيرة وبقية رواءة لاباس بهم.

حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم﴾ [1] ويقول الله: ﴿هل أتاك حديث موسى إذ نادى ربة بالواد المقدس طوى اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك أن تزكى﴾ [2] وعلى لسان المسيح علية السلام ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا﴾ [3] وفى بيت النبي ﷺ حيث القدوة في أزواجه لنساء العالمين ﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله وإنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ [4] وتأمل حديث بعض أزواج النبي ﷺ: (قلن: اينا اسرع بك لحوقا قال ﷺ اطولكن يدا[5] فكانت سؤدة اطولهن يدا) وايتاء الزكاة امارة عملية على توبة المشركين: (فإذا إنسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) واكثر من ذلك: ﴿فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين﴾ [6] وقد اتخذت الدعوة إلى الزكاة فى الإسلام سبيل الترغيب والترهيب مع الاشادة بالقدوة وضرب الامثال يقول الله ﴿واذكر فى الكتاب اسماعيل انة كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر اهلة بالصلاة والزكاة وكان عند ربة مرضيا﴾ ومن الامر الالهى ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ ويقول رسول الله ﷺ: إمتثالا لهذا الامر (ماتصدق احد بصدقة من كسب طيب ولايقبل الله الا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينة وان كانت تمرة فتربوا فى كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل حتى يربى احدكم فلوة او فصيلة) عن عبدالله

---

(1) المائدة ١٢.

(2) النازعات ١٤. ١٥.

(3) مريم ٣١ .

(4) الاحزاب ٣٣.

(5) البخارى ١/ ٢٤٧.

(6) التوبة ١١.

بن ابى اوتى قال: (كان النبي ﷺ إذا اتاة قوم بصدقتهم قال الهم صل على ال فلان فاتاة ابى بصدقتة فقال الهم صل على ال ابى وأوفى) ومن الترغيب الايحضر الانسان شيئا ضئيلا يتصدق بة فحسبة ان عود النفس العطاء يقول ﷺ (يانساء المؤمنات لاتحقرن احداكن ان تهدى لجارتها ولو كراع شاة محرقا. وقد استطعم مسكين عائشة رضى الله عنها وبين يديها عنب فقالت لإنسان خذ حبة وإعطة إياها فجعل ينظر إليها ويعجب فقالت عائشة أتعجب كم ترى فى هذة الحبة من مثقال ذرة؟[1] لقد صدرت عن فقة استمدتة من القرآن الكريم فى بيت النبوة **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خير يرة ومن يعمل مثقال ذرة شر يرة﴾** [2] ويقول الله: **﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضلة هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا بة يوم القيامة ولله ميراث السماوات والارض والله بما تعملون خبير﴾**[3] ويعرض رسول الله ﷺ: لما تعنية سيوطقون بقولة (ما من رجل لايؤدى زكاة مالة الا مثل لة يوم القيامة شجاعا اقرع يفر منة وهو يتبعة حتى يطوقة فى عنقة) وتأمل ذلك الحديث النبوى الذى يجمع ترهيبا إلى ترغيب باليسير من العطاء مع الحركة من وجهة الكريم تساير اللغة تعميقا لما يريد إيصالة للناس يروى انه ﷺ: (ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهة ثلاث مرات ثم قال: (اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة) [4].

الزكاة قبل الإسلام

---

[1] الموطأ: ص ٦١٦.

[2] الزلزلة ٨٢٧ .

[3] ال عمران. ١٨٠.

[4] مسلم ٨٦/٢ .

الزكاة عبادة قديمة فرضها الله على كثير من الأمم قبل ظهور الإسلام وبعثة النبي ﷺ ودليل ذلك ماثبت بالنص القرآنى إن إسماعيل علية السلام كان يأمر أهلة بالصلاة والزكاة يقول الله تعالى **﴿واذكر فى الكتاب اسماعيل انة كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر اهلة بالصلاة والزكاة وكان عند ربة مرضيا﴾**[١] وفى تفسير القرطبى لهذة الاية كان يأمر أهلة. قال الحسن يعنى أمتة وفى صرف ابن مسعود (وكان يأمر أهلة جرهم وولدة) بالصلاة والزكاة وكذلك نجد الحق تبارك وتعالى يأمر ويوصى إلى اسحق ويعقوب بفعل الصلاة وايتاء الزكاة قال تعالى: **﴿وكلا جعلنا صالحين وجعلنهم أئمة يهدون بامرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾** وقال عيسى علية السلام كما ورد فى النص القرآنى **﴿انى عبدالله اتنى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا﴾**[٢].

الزكاة فى التوراة

حثت التوراة على العطف والرحمة بالفقراء والمساكين وايتاهم حقهم من مال الأغنياء وقد ورد فى الاصحاح من سفر الامثال مانصة (من يسد أذنة عن صراخ المساكين فهو ايضا يصرخ ولايستجاب لة) الهدية فى الخفاء تطفىء كما ورد فى الاصحاح ٢٢ منة (الصالح العبد هو يبارك لأنة يعطى من خبزة للفقير) إما وصف جزاء المحسن والممسك والبخيل ففى الاية ٢٧ من سفر الامثال (من يعطى الفقير لايحتاج ومن يحجب عنة عينية علية لعنات كثيرة كما أمرت التوراة الغنى بالبر بابناء الفقراء والمحتاجين والغرباء والارامل فقد ورد فى الاصحاح ١٥ من سفر التثنية (إن كان فيك فقير من إخوتك فى أحد أبوابك فى ارضك التى يعطيك الرب

---

(١) مريم : ٥٤ . ٥٥.

(٢) مريم : ٣٠ . ٣١.

ألهك فلا تقسى قلبك ولاتقبض يدك عن اخيك الفقير)[1] من هذا يجد الباحث ان الله تبارك وتعالى: امر بالزكاة فى التوراة كما ذكر ذلك فى الاصحاح السابقة وهذا ان دل على شيء فانما يدل على اهمية الزكاة وضرورة اخراجها كما يجب وعلى الوجة الاكمل وكذلك ورد فى الاصحاح ١٤ منة (تعشيرا تعشر وكل محصول زرعك الذى يخرج من الحقل سنة بسنة فى اخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك فى تلك السنة –وتضعة فى ابوابك فيأتى اللاوى لأنة ليس لة قسم ولانصيب معك –والغريب واليتيم والارملة الذين فى ابوابك وياكلون ويشبعون لكى يباركك الرب الهك فى كل عمل يديك الذى تعمل - وفى الاصحاح ٢٢ و٢٣ من العهد القديم (زوايا حقلك لاتحصدة ونثار حصدك لاتجمعة بل للفقير والغريب فتتركة)[2] ويرى الباحث ان الحق تبارك وتعالى يوضح فى التوراة مصارف الزكاة كما جاء ذلك فى متن الاصحاح ١٤ ومعنى هذا ان من بين من يستحقون الزكاة لدى التوراة كل من الغريب وكذلك اليتيم والارملة .

الزكاة فى الانجيل

(غالى الانجيل فى الصدقة والبر وايتاء المحتاجين بما ورد فى الاية ٣٣ من الاصحاح ١٣ من انجيل لوقا (بيعوا مالكم واعطوا صدقة) وأوجب فى الايات الاخرى الزكاة فقد نص فى الايات من ١٠ إلى ١٤ من انجيل لوقا (من له ثوبان فليعط من ليس له - ومن له طعام فليفعل هكذا وفى الاية ٤١ من الاصحاح (بل اعطوا ماعندكم فهو ذا كل شيء نقا لكم)- ومن اراد ان يقترض منك فلاتردة)

---

[1] مرجع سابق . احمد اسماعيل يحيى ص ٥٣.

[2] المرجع السابق : احمد اسماعيل يحيى ص ٥٣ , ٥٤.

وفى الايات ١و٢و٣و٤ من الاصحاح السادس (احترسوا من ان تصفوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم وإلا فليس لكم اجر عند ابيكم الذى فى السموات فما صنعت صدقة فلاتصون قدامك بالبوق كما يفعل المرائون فى المجامع وفى الازمة لكى يمجدوا من الناس، الحق اقول لكم: انهم استوفوا اجرهم - وأما انت فمتى صنعت صدقة فلاتعرف شمالك ماتفعل يمينك تكون صدقتك فى الخفاء فابوك الذى يرى فى الخفاء وهو يجازيك على نيتك[1] يرى الباحث ان الانجيل اهتم بالزكاة وحث على ضرورة البذل والعطاء كما انة نهى عن الرياء والنفاق فى اخراج الزكاة كما جاء ذلك جليا فى قولة (فلاتصون قدامك بالبوق كما يفعل المرائون فى المجامع وفى الازمة) فهم بذلك يتركوا الزكاة والصدقة والبذل فى الخفاء وليس امام الناس وبذلك نجد ان جميع الكتب السماوية الصحيحة تتلاقى فى الحق والبر والتقوى والزكاة وهذة النصوص التى جائت فى التوراة والانجيل توجب على من يملك الأموال ان يعطى الفقراء والمساكين والغرباء والارامل وبهذا تكون الزكاة عبادة وفريضة قوية وهامة تدعوا إلى التماسك والتعاون بين البشر قبل الإسلام وفى الإسلام.

الزكاة فى الإسلام

الزكاة فى الإسلام ركن هام من أركان الإسلام وجاء ذكرها فى القرآن الكريم قرابة اثنين وثمانين اية وموضعا واقترنت كذلك بالصلاة قال تعالى: **﴿وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾**[2] وهى بذل وتنازل عن جزء من المال، والنفس محبة للمال، حريصة علية، لم يترك الله الفقراء ضائعين بل تولاهم بعنايتة فامر بالزكاة ولم يترك

---

[1] مرجع سابق. احمد اسماعيل يحيى. ص ٥٤.

[2] البينة : ٥.

الأغنياء فخورين مذهوين بل هذبهم بالزكاة والإسلام فهو دين المجتمع فرض الزكاة فيما اخرجت الارض من زروع وثمار وفيما استخرج منها من معادن وركاز وفيما جمع الناس من المال ذهبا او فضة او اوراقا مالية مضمونة وفى سائمة الانعام من الابل والبقر والغنم وفى عروض التجارة[1] كما ان الإسلام دعى إلى الإنفاق فى السر والعلن ومما جاء من ذاكرة الباحث، لكونة يدعوا إلى الله منذ اكثر من خمسة عشر سنة يذكر الاتى: ان الإسلام اهتم بالزكاة وحث على ان تكون فى السر لذلك يقول النبي ﷺ: فى الحديث الشريف، (سبعة يظلهم الله فى ظلة يوم لاظل الا ظلة رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شمالة ماتنفق يمينة) وروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها انها كانت إذا تصدقت بصدقة مسكتها اى غمستها فى المسك خاصة إذا كان عملة كدينار او درهم فعندما سئلت عن ذلك قالت انى اعلم بان الصدقة قبل ان تقع فى يد أخذها تقع فى يد الله والله طيب لايقبل الا طيب (وقول معروف خير من صدقة يتبعها أذى) وبهذا نجد ان الإسلام اهتم اهتماما منقطع النظير بالزكاة وهذا واضح مما حدث مع أبى بكر الصديق عندما قال فى شان من حاول ان يمتنع عن الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ: (والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونة لرسول الله ﷺ لقاتلتهم علية) هكذا فهم الصحابة والخلفاء الراشدون والتابعون والمسلمون عامة ضرورة الزكاة ولقد جاء فى الحديث الذى رواة مسلم فى صحيحة عن ابى امامة عدى بن عجلان رضى الله عنة- قال قال رسول الله ﷺ: (يأبن أدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وان تمسكة شر لك ولاتلام على كفاف وإبدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى) وقال المصطفى ﷺ (ان الله عز وجل ليدخل بلقمة الخبز وقبضة التمر ومثلة ماينفع بة المسكين ثلاثة الجنة رب البيت ألأمر بة والزوجة تصلحة) والخادم الذى يناول

---

[1] عبدالمنصف محمود عبدالفتاح . اشراقات نورانية من السنة النبوية . الجزء الاول . مطابع الازهر الشريف ١٩٩٢ . ص ١٣٢.

المسكين فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذى لم ينس خدمنا[1] وما أكثر الادلة القرآنية والاحاديث النبوية التى تدعوا إلى الزكاة ويجد الباحث ان جميع الديانات السماوية والكتب السماوية تتلاقى وتتماثل فى الحديث عن ضرورة الزكاة وذلك لاهميتها لخلق الله وفى السنة الثانية من الهجرة فرض مقدار الزكاة[2].

الشروط العامة لفريضة الزكاة فى الإسلام

للزكاة من حيث فريضتها شروط عامة لابد من توافرها ضمان فيمن يخرج الزكاة وان اختلف الفقهاء فى هذة الشروط وفيما يلى نذكر الشروط المتفق عليها والتى اجمعوا عليها فقهاء الإسلام وهى:

١- الإسلام: فلاتجب الزكاة على غير المسلم ولقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثة إلى اليمن: (انك تاتى قوما من اهل الكتاب) فادعهم إلى شهادة ان لا الله الا الله وان محمدا رسول الله فان هم اطاعوا إلى ذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم اطاعوا إلى ذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم فهذة دلالة واضحة على ان الزكاة لاتجب الا بعد الإسلام وليس هذا البحث مجالة الخوض سردا اراء الفقهاء.

٢- الحرية: الاصل ان العبد يفقد حقة فى الحرية فكيف يتصور وجوب الزكاة علية مادام انة ومامكلت يداة لسيدة ومع ذلك قد يحصل ان المولى يسلط العبد على مال لة فيصبح العبد حائزا لة فهل يحق لولى الامر جباية الزكاة على هذا المال ؟ فان كان يحق لة ذلك فمن الذى تجب علية الزكاة العبد أو مولاة ؟ فقال ابوحنيفة واصحابة والشافعى ان لولى الامر جباية الزكاة عن

---

[1] اخرجة الحاكم والطبرانى.

[2] مرجع سابق د/ عبدالله محمود شحاتة . ص ١٩٥.

هذا المال ولكن المزكى لا يكون العبد بل مولاة لان العبد لايكون مالكا ولما كان لابد للمال من مالك فمالكة هو المولى الذى يملك رقبة العبد وجميع مافى حيازتة من اموال[1].

٣- الملكية المطلقة لمال نام: يجب ان يكون المال مملوكا لمن وجبت علية الزكاة فية فإذا كانت الرقبة لشخص وحق المنفعة لاخر كالوقف.

٤- وجود النصاب النصاب شرعا: هو القدر الذى بلغة المال وجبت فية الزكاة[2] والاصل انة واجب فى كل مال زكاه به لأنه لما كان الأغنياء هم المكلفون باداء الزكاة لزم تحديد القدر الذى يعتبر بة الشخص غنيا اعتبر فقيرا فلايعفى فقط من اداء الزكاة بل يمكن ايضا صرفها الية وإذا النصاب معتبر حد ادنى للحياة بحيث إذا لم يبلغة الشخص استحق من الصدقات.

٥- حولان الحول: القاعدة ان الزكاة لاتجب فى مال حتى يحول علية الحول للحديث السالف الذكر ولان الزكاة لاتؤخذ الا من نماء العين وهو لايتحقق الا بمرور زمن معين جرت العادة بتحديدة بحول كامل ويستثنى من ذلك زكاة الخاسر من الارض فتجب فى كل مايخرج منها ولايشترط فيها الحول لان النماء يتحقق بمجرد حصاد الزرع وجنى الثمار.

---

(١) مرجع سابق . احمد اسماعيل يحيى . ص ٦٢.

(٢) رد المختار: ابن عابدين . ج ٢ . ص ٤.

أنـــواع الــزكـــاة :

الأنواع التي يجب فيها الزكاة شرعا خمسة

أولا : الذهب ، والفضة ، ويلحق بهما النقود .والاوراق المالية. بانواعها واسهم الشركات فتجب فيها الزكاة على اساس قيمتها.

ثانيا : البضائع التجارية.

ثالثا : المحصولات الزراعية وثمار الاشجار والكروم.

رابعا : الحيوانات السائمة من الابل والبقر والغنم.

خامسا : المعادن والكنوز والبترول وماعدا هذة الانواع الخمسة من الأموال لاتجب فية الزكاة[1].

أنصبة الزكاة

١- النقد :- الذهب ، والفضة ، العملة الورقية.

(أ) الذهب: تجب فية الزكاة إذا بلغ النصاب وهو عشرون مثقالا مايعادل ٨٥ جراما فاكثر ، و مر عليها عام هجرى .

(ب) الفضة : تجب فيها الزكاة إذا بلغت ألنصاب وهومائتا درهم فأكثر.

(ج) العملة المتداولة : تحسب بحساب الذهب او الفضة فإن بلغت الأموال ماقيمتة ٨٥ جرام ذهبا او ٢٠٠ درهم فضة فأكثر وجب إخراج الزكاة عنها إذا مامر عليها عام هجرى مقدار زكاة الذهب أو الفضة أو العملة الورقية ٢,٥٪.

٢- الحلى : إذا استخدمت المراة الذهب او الفضة للزينة فلازكاة علية إما إذا اعتبرتة نوع من الادخار فتجب فية الزكاة إذا بلغ النصاب ومر علية عام هجرى ، وإذا استخدمت الذهب او الفضة لاى غرض اخر غير الزينة

[1] مرجع سابق . د/ عبدالله محمود شحاتة . ص ١٩٥ , ١٩٦.

فيجب اخراج الزكاة عنة متى بلغ النصاب وحال علية الحول اى مر علية عام هجرى.

٣- عروض التجارة: قد ينمي المسلم مالة عن طريق التجارة حتى يفيد ويستفيد وعلية ان يحصى اموالة اول كل عام واخرة (الجرد السنوى) وإذا بلغ حد النصاب المذكور في الذهب والفضة فاكثر اخرج عنها الزكاة ٢.٥ ٪ قد يتغير الموقف المالى اثناء العام فيقل عن النصاب او يزيدة المهم اول العام واخرة ولاعبرة بما يحدث اثناء العام تحسب اسعار البضائع بسعر يوم اخراج الزكاة لابالسعر القديم الذى اشترى بة التاجر لايدخل ضمن النصاب الاثاث او مستلزمات التجارة (الجدك).

٤- الزروع والثمار: تجب الزكاة فى الزروع والثمار وكل ماتنبتة الارض لايشترط فية مرور عام هجرة علية بل يخرج المسلم زكاة زرعة يوم الحصاد قال تعالى: (وأتو حقة يوم حصادة) ومقدار زكاة الزروع والثمار العشر فيما يسقى بماء المطر ولايحتاج إلى رى ومجهود ونصف العشر فيما يحتاج إلى رى ومجهود ونصف العشر فيما يحتاج لرى ومجهود بالآلة[1].

مصارف الزكاة

للزكاة مصارف ثمانية تصرف فيها وهى من شروط صحة الزكاة فمن دفع زكاتة فى غير مصرفها فهى باطلة وباقية علية حتى يدفعها لواحد ممن تنطبق عليهم وهم:

١- الفقير: وهو من يملك شيئا لايكفية عامه وقد يكون بيدة نصاب تجب فية الزكاة ولكن هذا النصاب لايكفى لقوتة عامه هو ومن يعولهم فحينئذ يخرج ما عليه من الزكاة لغيره وياخذ ايضا زكاة الاخرين وليس من الفقراء،

---

[1] مرجع سابق : د/ احمد عمر هاشم وأخرون . ص ٩٦ ، ٧٠ .

موظف او شخص لة راتب من الصدقة فى بيت المال وراتبة يكفية حتى اخر الشهر او حتى موعد القسط التالى لان راتبة مضمون فهو فى حكم ما فى يدة.

٢- المسكين: الذى لايملك شيئا أصلا وقد تستعمل الكلمتان بمعنى واحد كما فى قولة تعالى: فاطعما ستين مسكينا او فاطعما عشرة مساكين.

٣- عامل الزكاة: الذى يعينة الحاكم ليجبى الزكاة فهو موظف لدى بيت المال لاياخذ شيئا لنفسة وقد يكون غنيا.

٤- المؤلفة قلوبهم: وهم الكفار الذين يرجى ان يدخلوا الإسلام يعطون من مال الزكاة ومن بيت المال ليسلموا ومنهم من هو قريب عهد بالإسلام لم يتمكن الدين فى قلبة يعطى منها ليثبت على اسلامة حتى تقوى عقيدتة.

٥- الرقيق الذى لاحرية فية: يشترى من سيدة بمال من مال الزكاة ثم يعتق ويكون ولائة لبيت مال المسلمين.

٦- الغارم: وهو المدين الذى ليس لدية مايوفى بة دينة بشرط الايكون قد تداين فى شيء محرم و أو تداين اسرافا وبدارا لكى ياخذ من بيت المال فاذا تاب اى منهما وظهر صلاحة جاز عطائة منهما ولايؤخذ بإقرارة من غير بدو وصلاح علية كما يجوز وفاء دينة منها بعد موتة.

٧- سبيل الله: وهو يشمل كل باب لإعلاء كلمة الله تعالى من الانفاق على المجاهدين او شراء اسلحة لهم وأدخل فى هذا الباب بناء المساجد واصلاح الطرق وشق الترع العامة.

٨- ابن السبيل: وهو الغريب الذى انقطع بة الطريق وليس معة مايوصلة إلى موطنة بشرط ان لا يكون سفرة معصية ويشترط فى هؤلاء جميعا عدا المؤلفة قلوبهم ان يكونوا مسلمين احرارا فلاتصرف النفقة الواجبة لغير مسلم وان لا يكونوا من بنى هاشم لانهم اشراف لايصح ان يعطوا من

اوساخ المسلمين ويستسنى ايضا فى حال الحرب من يساعد المجاهدين بعمل او جاسوسية فانة يعطى منها ولو كان كافرا[١].

القيم التربوية فى الزكاة

للزكاة قيم تربوية متعددة وسوف يذكر الباحث فيما يلى بعضا من القيم التى استوحاها واستقاها من بطون الكتب وعيون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واراء وفكر قادة الفكر الإسلامى المشهود لهم بالورع والمعرفة والتمسك بحبل الله المتين والذى قضوا حياتهم سعيا وراء مرضات الله.

١- الزكاة معونة الفقير بجزء من المال: فهى عبادة قديمة عرفت فى الرسالات السماوية السابقة وذكرها الله فى وصاياة إلى رسلة وفى وصايا رسلة إلى أممهم فيقول عن الخليل ابراهيم وابنة اسحاق وحفيدة يعقوب **﴿وجعلنهم أئمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾** الانبياء٧٣[٢] يتربى الفقير على الحب والود مادام هناك وصال مابينة وبين الأغنياء مادامو يعطونة فى وقت حاجتة.

٢- الزكاة تطهر النفس وتربيها وتهذبها: قال تعالى: فى سورة التوبة وفى الاية رقم ١٠٣ **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** نعم فالزكاة تطهر نفس الفقير من الحسد والضغن على ذلك الغنى الكانز لمال الله عن عباد الله **﴿الذى جمع مال وعددة يحسب ان مالة اخلدة﴾** الهمزة ٣.٢ [٣]-

---

(١) عبدالجليل شلبى . فقة العبادات . وزارة الاوقاف . مراكز الثقافة الاسلامية . الطبعة الثانية . ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م . ص ٢٠٩ –٢١١.

(٢) د / يوسف القرضاوى . العبادات فى الاسلام . مكتبة هبة . ط ١٥ . ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م . ص ٢٤٨.

(٣) مرجع سابق . د/ يوسف القرضاوى . ص ٢٧٤.

فالزكاة طهارة ونقاء مصفاء لقلوب الفقراء والمساكين والمحتاجين تجاة المعطين لها والمنفذين لها وليعلم المعطى بان هذا المال ملك فى الاصل لله.

٣- الزكاة طهارة للمجتمع كلة: وذلك من عوامل الهدم والتفرقة والصراع والفتن والهوج ولعل هذا كلة ماتهدى الية الاية الكريمة ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ التوبة ١٠٣.

٤- الزكاة طهارة المال نفسة: كما جاء فى الحديث الذى رواة ابوداوود فى المراسيل (حصنوا اموالكم بالزكاة) وماأحوج الأغنياء إلى هذا التحصين وخاصة فى عصرنا الذى عرف المبادىء الهدامة والثورات الحمراء.

٥- الزكاة نماء لشخصية الغنى وكيانة المعنوى ﴿**تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ فعطف التزكية على التطهير قد يفيد هذا المعنى فالطهارة نماء وسمو وارتقاء بكيان الغنى ,وقوة . كذلك وارتقاء لشخصية إلى الفضيلة وبعدا عن الرذيلة ويدرك الغنى انة شخص لة قيمة وهو مسئول عن اخوانة من المسلمين فتنشا رابطة الحب فيحتاج الفقير إلى الغنى ويحتاج الغنى إلى الفقير لان الفقير يكون سببا فى فلاح وصلاح وارتقاء وسمو شخصية الغنى وكيانة فى الدنيا والاخرة ويحضر الان ذاكرة الباحث ان للفقراء يوم القيامة دولة قالوا ومادولتنا يارسول الله قال رسول الله ﷺ: (ان الله ينظر فى المحشر يوم القيامة ويقول يافقرائى انظروا فى اهل المحشر ومن تصدق فيكم فى الدنيا بصدقة فخذوة إلى الجنة فانى قد شفعتكم فيهم).

٦- الزكاة وسيلة من وسائل الضمان الاجتماعي الذى جاء بة الإسلام: فان الإسلام يأبى ان يوجد فى مجتمعة من لايجد القوت الذى يكفية والثوب الذى يزينة ويوارية والمسكين الذى يؤدية فهذة ضروريات يجب ان تتوافر لكل من يعيش فى ظل الإسلام والمسلم مطالب بان يحقق هذة الضروريات ومافوقها من جهدة وكسبة فان لم يستطع فالمجتمع يكفلة ويضمنة ولايدعة

فريسة الجوع والعرى والمسكنة فهكذا علم الإسلام المسلمين ان يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضة اشتكى كلة والزكاة مورد اساسى لهذة الكفالة الاجتماعية المعيشية التى فرضها الإسلام للعاجزين والمحرومين[1].

٧- الزكاة تقرب الشقة بين الأغنياء والفقراء: واعترف الإسلام بالتفاوت الطبيعى فى الرزق ليس معناة ان يدع الغنى يزداد غنى والفقير يزداد فقرا بل تدخل بتشريعة القانونى ووصاياة الخلقية لتقريب الشقة بين الأغنياء والفقراء فحد من طغيان اولئك ورفع من مستوى هؤلاء.

٨- الزكاة تنمى ايمان المسلم وضميرة الدينى: الذى يدفعة إلى اداء الواجب ابتغاء مرضات الله ورجاء مثوبتة وخوفا من عقوبتة ومادام المسلم شعر بالخوف من الله يكون الإيمان قد دخل فى قلبة ومادام الإيمان دخل فى قلبة يكثر رجاء المؤمن فى المثوبة وهذا يجعلة يعطى دائما لان هذا المؤمن اخذ القاعدة الإيمانية من الله التى تقول: **﴿ماعندكم ينفذ وما عند الله باق﴾** كذلك نجد الزكاة تقوم على "ايقاظ الضمير الاجتماعي" الذى يتمثل فى الراى العام الإسلامى الذى تكونة فريضة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والتواصى بالحق والصبر[2].

٩- الزكاة تربى قيمة العمل لدى المسلم حتى يساعد الفقير وحتى يحبة الله أمر الإسلام كل قادر ان يعمل ويسعى فى طلب الرزق ليكفى نفسة ويغنى اسرتة ويسهم بالنفقة فى سبيل الله فمن لم يستطع وعجز عن العمل ولم يكن لدية من المال الموروث او المدخر يسد حاجتة كان فى كفالة اقاربة الموسرين ينهضون بة ويقومون بشأنة ولكن ليس لكل فقير قريب قادر

---

(١) مرجع سابق يوسف القرضاوى، ص ٢٧٦.

(٢) يوسف القرضاوى، دور القيم والاخلاق فى الاقتصاد الاسلامى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

موسر لينفق علية فماذا يصنع المسكين الضعيف الذى ليس لة اقارب اقوياء يحملونة من ذوى عصبتة او ذوى رحمة ماذا يصنع المحتاجون العاجزون امثال الصبى اليتيم والمراة الارملة والام العجوز والشيخ الهرم ماذا يصنع المعتوه والاعمى والمريض وذوى العاهة وماذا يصنع القادر الذى لم يجد عملا يرتزق منة والعامل الذى وجد عملا لايقوم دخلة منة بكفايتة هو واسرتة؟ أيترك كل هؤلاء للفقر القاهر؟ والحاجة القاسية تفترسهم افتراسا؟ والمجتمع ينظر اليهم وفية الأغنياء الموسرون ولايقدم لهم عونا؟ ان الإسلام لم ينس هؤلاء لقد فرض الله لهم فى اموال الأغنياء حقا معلوما، وفريضة مقررة ثابتة هى الزكاة فالهدف الاول منها، هو إغناء الفقراء بها فطلب النبي صلى اللة علية وسلم من معاذ عندما بعثة إلى اليمن ان ياخذها من الأغنياء ويردها إلى الفقراء[1].

١٠- الزكاة إمتحان من الله لمن يملكها: بالاضافة إلى ان الزكاة تطهير وتزكية للنفوس كما ذكرت الايات الشريفة ذلك فهى تطهير من وثنية المال وتزكية بتحقيق معنى التوحيد فى نفسة فهى تطهير للنفس من ادرانها وتنقية لها من الشح فالانسان بطبعة محب لنفسة ومالة وفى هذا الصدد يقول احد الفقهاء يمتحن الله بالزكاة درجة المحبة بمقارنة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لانها اداة تمتعهم بالدنيا وبسعيها يأنسون بهذا العالم وينفرون من الموت.

١١- الزكاة تعتبر علاجا لابرز الغرائز لدى بنى الانسان: ألا وهى الشح بما فى يدة ورغبتة فى الاستثمار بالخيرات والمنافع دون غيرة فلقد اشار القرآن

---

[1] د/ يوسف القرضاوى . مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام . مكتبة وهبة . القاهرة . ط ٦ . ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م ص ٦٤.

الكريم إلى هذة الغريزة بقولة **﴿ومن يوق شح نفسة فاولئك هم المفلحون﴾**[1].

١٢- الزكاة تمثل انقيادا وطاعة لامر الله: فالمؤمن لاينتظر الاجر والثواب من المستفيد من الزكاة وإنما من رب العباد قال تعالى: **﴿فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسرة لليسرى﴾**[2].

١٣- الزكاة دعامة قوية من دعائم المجتمع: فالغنى باعطائة جزء من مالة عن طيب نفس يشعر بانة جزء من المجتمع الذى يعيش فية ويدرك دورة فى اسعاد الاخرين و المستحق للزكاة ويدرك انة عضو فى مجتمع انسانى كريم ومن ثم يشارك فى بناء مجتمعة ويتحول إلى طاقة منتجة تبنى من اجل الحياة والخير فالاخوة الإسلامية لن تسود مادام هناك اقوام يبكون وينئون جوعا وهناك اقوام لاهون بملذات الدنيا وزخرفها الامر الذى قد يوقد نار الحقد والحسد والبغضاء والكراهية فى نفوس الفقراء المحرومين ضد الأغنياء والموسرين وهذا مايقف الإسلام دونة ويحول دون وقوعة فالله سبحانة تعالى يؤكد على ذلك بقولة **﴿.. انما المؤمنون..﴾**[3] ويقول الرسول ﷺ (وكونوا عباد الله اخوانا) المسلم اخو المسلم فمن اجل القضاء على افة الحقد والحسد ومن اجل تقوية اواصر الاخوة الإسلامية فرض الإسلام الزكاة على الأغنياء من اجل القضاء على الفقر واضرارة.

١٤- للزكاة قيم اقتصادية وسياسية: الزكاة تطهير لمال المزكى ونماء له فالرسول ﷺ يقول: إذا اديت زكاة مالك فقد اذهبت عنك شرة وبعض السلف يقول " الحجر المغصوب فى الدار رهن بخرابها "إذن المال المستحق للفقير

---

[1] الحشر: ٩.

[2] الليل: ٥- ٧.

[3] الحجرات: ١٢٠.

رهن بتلويثة كلة وبما ان الزكاة تؤخذ من اموال الأغنياء لتعطى للفقراء فان ذلك ولاشك يعد نوعا من انواع توزيع الثروات بما يحقق التقارب بين الطبقات ويحول دون تكديس الأموال فى يد نفر قليل يتحكمون فى اقتصاد البلاد ومقدراتها وبالتالى يتضح لنا الاثر الهام للزكاة فى البنيان الاقتصادى للدولة الامر الذى يجعلة اقتصادا اسلاميا قويا وناميا ومستقرا والزكاة تقضى على افة الفقر التى تهيىء الفرصة لتسلل الشيوعية واليهودية والمسيحية الفرصة الملائمة فى هذا المناخ السىء للهجوم على العقيدة الإسلامية[١].

١٥- الزكاة علاج اقتصادى هام ولقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنة سياسة التوزيع فى الاقتصاد الإسلامى بقولة مامن احد إلا وله فى هذا المال حق الرجل وحاجتة والرجل وبلاؤة اى عملة ثم قولة انى حريص على ألا ادع حاجة إلا سددتها وما اتسع بعضنا لبعض فاذا عجزنا تاسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف[٢].

الأسس الخلقية في الزكاة

الزكاة ركن من أركان الإسلام يقوم على معاملات مالية ولما كان الدين المعاملة كما يقال فان محكا صادقا لحسن تدين المرء ان نراة فى طريقة كسبة للمال وانفاقة ملتزما بخلق الإسلام وقد كان من ترغيب الإسلام فى طهارة النفس ان فرض الزكاة وحبب فى الصدقات وسمى بعض السلوك الذى لايقوم على المال صدقة فتبسمك فى وجة اخيك صدقة

---

(١) مرجع سابق. سلطان بن محمد على السلطان. ص ١٧- ٢٠.

(٢) د/ محمد شوقى الفنجرى . الاسلام والتوازن الاقتصادى بين الافراد والدول . وزارة الاوقاف : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية العدد ٤٦ . القاهرة ١٤١٩ هـ-١٩٩٩ م – ص ١٢٦ . ١٢٧

وان تكف شرك عن الناس صدقة منك على نفسك[1] وهذا يدل على ان الدين يحث على الانفاق ويعرف المرء المتدين من خلال مدى انفاقة وعطائة واخراجة للزكاة وتختلف اخلاق الزكاة باختلاف مصنع المرء إذا كان متصدقا او متصدقا علية او عاملا على الصدقات واساسها الطهر والصدق مع الله والناس وهو ماتكشف عنة الكلمتان الزكاة والصدقة فى المعنى المعجمى إما فى المصطلح فينظم هذا الاساس فيما يشبة القانون او اللائحة بتعبيرنا المعاصر.

١- أخلاق المتصدق

(أ) يجب على المتصدق ان لايضن على اهلة لقولة ﷺ (كفى بالمرء اثما ان يحبس عن من يملك قوتة)[2].

(ب) ايتاء الزكاة والصدقات عمل طيب فى ذاتة فاذا اظهرت فنعم ظهورها وان اخفيت فهو خير للمتصدق سدا لذريعة الرياء وصونا للمتصدق علية يقول الله: **﴿ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾**[3].

(ج) ان تكون جميع الاعمال لله وحدة حتى يظفر المسلم بالجزاء من الله قال تعالى: **﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وماتنفقوا من خير فلانفسكم وماتنفقون الا ابتغاء وجة الله وماتنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون﴾**[4].

---

(١) صحيح مسلم ٦٢/١

(٢) مسلم ٢/٧٨

(٣) البقرة: ٢٧.

(٤) البقرة: ٢٧٢.

(د) عدم التهرب من دفع الزكاة لاى سبب من الاسباب حتى يصبح الفرد من عباد الرحمن الذين قال عنهم الحق ﴿**والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**﴾[1].

(هـ) يحسن ان يتسم بطول اليد فعن عائشة رضى الله عنها ان بعض ازواج النبي ﷺ قلن للنبى ﷺ: اينا اسرع بك لحوقا قال ﷺ اطولكن يدا فعلمنا بعد ان كانت طول يدها الصدقة وكانت اسرع لحوقا بة وكانت تحب الصدقة والمطلوب هو طول اليد فى الانفاق والاعطاء بهذا تتحقق المثوبة وحسن الجزاء.

(و) الاسراع بالصدقة فعن عقبة بن الحارث انة قال صلى بنا النبي صلى الله علية وسلم صلاة العصر: ثم اسرع ودخل البيت فلم يلبث ان خرج فقلت او قيل لة فقال كنت خلفت فى البيت تبرا من الصدقة فكرهت ان ابيتة فقسمتة وعن ابى هريرة رضى الله عنة قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ولاتمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان.

(ز) الايثار: وهو اسمى درجات الاخلاق يقول الله ﴿**ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسة فاولئك هم المفلحون**﴾.

٢ – اخلاق المتصدق عليه

---

[1] الفرقان: ٦٧.

(أ) يجب الرضاء بما يمنحة ولى الامردون السخط واللمز يقول الله ﴿ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسولة وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضلة ورسولة انا إلى الله راغبون﴾[1].

(ب) التعفف عن مال الصدقة - إذا لم يكن للمرء حاجة ماسة اليه (وان من ياخذة بغير حقة كالذى ياكل ولايشبع ويكون شهيدا علية يوم القيامة)[2] ويقول ﷺ: (من سال الناس تكثرا فانما يسال جمرا فليستقل او ليستكثر)[3].

١٦- أخلاق المتصدق

وهو الذى ياخذ الصدقات ممن وجبت علية بنصب الامام يقول ﷺ (إذا اتاكم المتصدق فليصدر عنكم وهو عنكم راض)[4].

(أ) الحلم مع شدة الدواعى إلى الغضب.

(ب) الرد على الشكوى وعدم اغفالها فقد قسم رسول الله ﷺ قسما فغضبت قريش فقالوا ايعطى صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله ﷺ انى انما فعلت ذلك لاتألفهم فجاء رجل كث اللحية فقال اتق الله يا محمد فقال رسول الله ﷺ: فمن يطع الله ان عصيتة يأمننى على اهل الارض ولاتأمنونى ثم أدبر الرجل فاستاذن رجل من القوم فى قتلة فقال رسول الله ﷺ: (ان من فئضىء هذا قوما بغير اذن القرآن لايجاوز حناجرهم يقتلون اهل الإسلام ويدعون اهل

---

[1] التوبة: ٥٩.

[2] البخارى: / ٢٥٦.

[3] مسلم ٢٩٦/٢ سبل السلام ١٤٤/٢.

[4] مسلم ١٢١/٣.

الاوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد).

(ج) الامانة : لقول النبي ﷺ (مابال الرجل نستعملة على الصدقات يجمعها فيقول هذا لكم وهذا اهدى إلى أفلا قعد احدكم فى بيت ابية وأمة فينظر ايهدى الية ام لا).

(د) الثقة : فهى واجبة وضرورية وإلا فاقد الشىء لايعطية.

(هـ) العدل : ويتمثل فيما يروى عن مسعد اخى عدى قال جائنى رجلان فقالا ان رسول الله ﷺ: بعثنا نصدق اموال الناس فاخرجت لهما شاة ماخضا أفضل ماوجدت فرداها على وقالا ان رسول الله ﷺ نهانا ان ناخذ الشاة الحبلى فاعطيتهما شاة من وسط الغنم فاخذاها[1] ويفهم الباحث من النص السابق انة لابد من تحقيق العدالة حتى من اخذ الصدقة او الزكاة فلايجوز ولايظلم فى جباية الضرائب.

الزكاة والتربية الجسمية

الزكاة وسيلة هامة وان كانت غير مباشرة فى المحافظة على صحةالانسان وسلامتة فالهدف من الزكاة ليس اعطاء الفقير قروشا محدودة وانما الهدف تحقيق مستوى لائق للمعيشة واشباع الحاجات الاصلية للفرد وادنى مايتحقق بة هذا المستوى الانسانى ان يتهيا لهذا الفقير وعائلتة طعام وشراب ملائم، فكسوة للشتاء واخرى للصيف ومسكن يليق بحالة[2]، معنى هذا ان الزكاة لابد ان تؤدى ضرورا

(1) الام: ١٤/٢.

(2) يوسف القرضاوى. مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام. ط ٤. مكتبة وهبة. القاهرة. ١٩٨١م ص ٩١/٩٢.

هاما فى حياة الفقير وتكون حماية ووقاية له من الحر والقر فالزكاة توفر للمسلم الغذاء المناسب الذى يعمل على تكوين انسجة الجسم وتجديدها وزيادة مقاومتة للامراض وتوفير العناصر الازمة لة لتكوين الاجسام المضاضة وغيرها مما يساعد على الصمود امام المسببات المرضية او بقية امراض سوء التغذية مثل الانيميا والبلاجرا والجوتير المتوطن كما يوفر لة الطاقة والقوة الازمة للحركة والعمل[١]، اذن الزكاة جوهر ولست عرض وهى تلعب دورا هاما وخطيرا فى حياة المسلم فهى الملاذ من الاوبئة القاتلة وهى الستر من الفضائح والجرائم وكذلك يؤدى اخراج الزكاة ايضا إلى رفع البلاء وازالة الاسقام ولذا يقول رسول الله ﷺ: داووا مرضاكم بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكاة[٢] فالزكاة حصن للاموال ونماء وزيادة وليس كما يفهم البعض انها تنقص الأموال فهذا فهم قاصر وكلام واهى فالزكاة علاج للمريض وزيادة للاموال وحصن لها من التلف وذلك على حد تعبير رسول الله صلى اللة علية وسلم: فى الحديث السابق ومن هنا ينبغى ويجب علينا معشر المسلمين ان نسارع بالزكاة ونخرجها كما ينبغى ان يكون دونما زيادة ونخرجها من اجود مانخرج منة لان ماعندنا ينفذ وما عند الله باق.

---

(١) فوزى على جاد. الصحة العامة والرعاية الصحية. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٩ ص ٩٢.

(٢) عبدالحليم محمود. احكام واسرار الصيام والزكاة. دار المعارف. القاهرة. ١٩٦٨ ص ١٢٩.

الزكاة والتربية العقلية

ان اموال الزكاة تستطيع ان تنشا المدارس الإسلامية وتعد المعلمين الاكفاء وتمدهم بالاجهزة والوسائل التى تستطيع ان تنتزع العقول والاذهان من بين براثن الثقافات الاجنبية ومحاولات الغزو الفكرى الذى يقوم بها اعداء الإسلام على مختلف الجبهات الداخلية والخارجية[1] ومن هنا يجب على المسلم مراعاة ذلك وليسخر المسلم مالة فى بناء مدرسة او كلية او مؤسسة تعليمية، بهذا يساعد فى بناء الإسلام عقليا وفكريا وبذلك تستطيع الزكاة ان تسهم فى دفع الجهل عن المسلمين وازالة الظلام عن عقولهم وتحريرها من الافكار السامة والمبادىء الهدامة التى يحاول اعداء الإسلام بثها فى اذهان المسلمين من خلال المؤسسات التعليمية تارة وعن طريق الصحافة ووسائل الاعلام تارة اخرى لذا كان بناء المدارس والعمل على نشر العلم انفاق فى سبيل الله[2] وبهذا يتحقق العلم ويتخرج العلماء الذين قال عنهم الله فى سورة النمل الاية٤٣ **﴿فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون﴾** لذلك لابد لهم من حرية الفكر وحرية الرأى والتعبير وهذا ماتفعلة الزكاة عندما تحرر الانسان من عبودية المادة وطغيان المال.

الزكاة والتربية الخلقية

الزكاة تعمل على محاربة الانحلال والفساد الخلقى لانها تذكر الانسان بان هذا المال نعمة من الله اسداها الية واستخلفة فيها ومن واجب الخلافة شكر النعمة وتصريفها فيما يرضى المستخلف والمنعم من البر بالنفس والاهل والمحرومين والبائسين لانة ينحرف بة إلى طريق الغواية والعصيان والطغيان فالمال قد يكون فى

---

(١) سهير جابر محمد. الاثر التربوى للعبادات فى الاسلام. رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية باسيوط. ١٩٨٥ م ص ١٢٥.

(٢) عبدالحليم محمود. العبادة احكام واسرار. ص ٣٤٤.

بعض الاحيان مبعث الشهوات وعاملا من عوامل الانحراف واذا انحرف الغنى بمالة استفحل شرة وعظم خطرة فاغراء المال لايقاوم واستجابة اصحاب الحاجات لسلطانة استجابة قاهرة لامناص منها وغالبا ماتكون على حساب الشرف والكرامة والاخلاق[1] فالاخلاق سلوك تلعب فية الزكاة دورا رائعا فإننا لو نظرنا حولنا لوجدنا معظم الانحرافات مثل سوء السلوك والسرقات والرشاوى مبعثها الحاجة ودواعيها الفقر فالزكاة تمنع ذلك كلة وتهذب الطباع وتعدل بل وتقوم السلوك وتجعل الانسان سويا ذا خلق ولايمد يدة ويكن ذاكرامة ويجب على المسلم ان يشعر باخية ويفرج عنة كرباتة فمن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنة كربة من كرب الاخرة ومن ستر مسلما فى الدنيا سترة الله يوم القيامة ولانة من العسير جدا ان تملأ قلب انسان بالهدى إذا كانت معدتة خالية او ان تكسوة بلباس التقوى إذا كان بدنة عاريا انة يجب ان يؤمن على ضروراتة التى تقيم اودة كانسان ثم ينتظر بعدئذ ان تستمسك فى نفسة مبادىء الإيمان[2] فعن ابى هريرة ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: (قال رجل لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقتة فوضعها فى يد سارق فاصبحوا يتحدثون تصدق اليلة على سارق فقال اللهم لك الحمد على سارق. لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقتة فوضعها فى يد زانية فاصبحوا يتحدثون تصدق اليلة على زانية فقال اللهم لك الحمد على زانية . لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقتة فوضعها فى يد غنى فاصبحوا يتحدثون تصدق اليلة على غنى فقال اللهم لك الحمد على سارق وزانية وغنى فاتى فقيل لة إما صدقتك على سارق فلعلة ان يستعفف عن سرقتة إما الزانية فلعلها ان تستعفف عن زناها واما الغنى فلعلة يعتبر

---

(1) عبدالفتاح عاشور. منهج القرآن فى تربية المجتمع. ط ١. مكتبة الخافجى. القاهرة. ١٩٧٩م ص ٢٠٧.

(2) محمد الغزالى. الاسلام والاوضاع الاقتصادية. ط ٦. دار الكتب الحديثة. القاهرة. ١٩٦٣م ص ٦٢.

فينفق مما اعطاة)[1] ويحلل الباحث القصة السابقة بقولة ربما يدعوا رسول الله ﷺ إلى انة يجب على الانسان ان يعطى كل الناس بلا استثناء فئة دون اخرى فالمعطى يؤجر باى حال من الاحوال وربما يكون سببا فى عودة إلى الحظيرة الإيمانية وهذا معناة ان الإسلام يدعوا إلى الاصلاح العالمى الشامل لكل طبقات المجتمع سواء اكانت غنية اوفقيرة او شاذة السلوك فالزكاة تقوم السلوك وتنشر الاخلاق الفاضلة وكذلك تحارب كل عمل وضيع وكل رذيلة وجريمة تهدد المجتمع حتى ينمو المؤمن فى جو صاف خال من كل افة وهذا هو سمة الإسلام.

الزكاة والتنشئة الاجتماعية:

الزكاة رابطة قوية بين الانسان وافراد مجتمعة الذى يعيش فية رابطة مودة وتعاطف وتراحم وكان الإسلام بفرض الزكاة أراد ان يلفت نظر المسلم إلى انة عضو فى مجتمع يجب ان يكون متعاونا متساندا كالجسد الواحد إذا اشتكى منة عضو تداعى لة سائر الاعضاء بالسهر والحمى والى انة عضو فى مجتمع يتكفل كل فرد فية بالأخرين فالغنى متكفل بالفقير والقوى متكفل بالضعيف وذو الحاجة متكفل بمن لاحاجة لة وذو العلم متكفل بمن لاعلم لة[2] فالإسلام شىء واحد يدعوا إلى وحدة واحدة فالحق تبارك وتعالى يدعوا المسلمين إلى الاتحاد فيقول: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا﴾** ويقول النبي ﷺ: (ان عليكم بالجماعة فالذئب ياكل الشاردة من الغنم) وهذا يحدث فى ضوء الزكاة لان الحاجة عندما تلبى من قبل مفرجها وملبيها ينشأ عن ذلك الحب وتاتى المودة بين الناس ولذلك نجد ان الزكاة تحقق معنى التكافل والتضامن الذى اوجبة الإسلام بين ابنائة قياما بحق الفقير وسد حاجتة وحفظ ماء وجهة عن ذل السؤال فيحس انة فى مجتمع يهتم

---

(١) صحيح مسلم. بشرح النووى. ج ٧ ص ١١٠- ١١١.

(٢) عبدالحليم محمود. العبادة احكام واسرار. ط ٣. دار الكتاب اللبنانى. بيروت. ١٩٨٠ م ص ٣٠١.

به ويرعاه ويتكفل بحماية فا. مع الإسلامى اسرة واحدة يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فالكل مطالب بواجبات لبناء صرحة وتشييد أركانة وتنشيط حركتة فاذا بات فرد واحد جائعا فالامة كلها تبيت أثمة مالم تتحاض على اطعامة يقول الرسول صلى اللة علية وسلم ايما اهل عرصة اصبح فيهم امروء جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى[1] فالمسلم بذلك مسئول عن المسلمين الجائعين والمحتاجين امتثالا لقول النبي ﷺ المسلم اخو المسلم لايسلمة ولايظلمة ومن كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجتة فالزكاة من اهم الوسائل التى تعمل على اعادة توزيع الثروة داخل المجتمع ومن اسباب نجاحها فى ذلك انها تفرض على جميع الأموال النامية وبذلك تتسم بالشمول واتساع قاعدة تطبيقها وكونها تكرر سنويا فان ذلك يجعل فيها اداة دائمة لاعادة توزيع الثروة وتحقيق التوازن الاقتصادى والاجتماعي وهكذا تعمل الزكاة على تحقيق النماء والاذهار بين المسلمين وتساعد على انشاء مشاريع تساهم فى البناء الاقتصادى والتعليمى او الرياضى وجميع المجالات التى لاغنى للانسان عنها وهكذا تعمل الزكاة على تحقيق النمو للمجتمع وتفتح ابواب جديدة للعمل مما يؤدى إلى اشاعة الأمن بين الناس وقلة الجرائم خاصة المالية منها وبذلك تستطيع الزكاة ان تحقق الكثير من المبادىء الاجتماعية الانسانية التى يتغنى بها بعض المفكرين فى بعض البلدان الاوربية ولايستطيعون تطبيقها لاتها لاترتبط عندهم بدين او عقيدة فقد استطاعت الزكاة ان تربط بين المسلم واخوتة فى الإسلام والمسلم واخوتة فى الانسانية عامة دون النظر إلى جنس او لون[2] وبهذا تكون الزكاة موقف مرب يعيش فية المسلم روح التعاون والتكافل الاجتماعي بين ابناء مجتمعة فهى تطهير للنفس من الحرص والشح والانانية والبخل

---

(١) محيى الدين ابوزكريا. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. دار الفكر العربى. القاهرة. ١٤٠٠ هـ ص ١٩٧.

(٢) سهير جابر محمد. مرجع سابق. ص ٢٤٠.

وتدريب المسلم على البذل والعطاء والتضحية والسخاء والعطف والتعاون فالإسلام ليس عبادات روحية فقط تنظم صلة الانسان بربة بل هى تنظيم اجتماعى للعلاقات البشرية والشئون العامة التى تكفل للفرد والمجتمع السعادة والسلام[١] اذن الزكاة تجمع بين تنمية الروح وتنمية الجسد وتقويهما معا لان العقل السليم فى الجسم السليم فكلما كان الانسان صحيحا بفضل تغذيتة الصحيحة فصحة الاجساد تؤدى إلى صحة الارواح وكما يقال ان الفقر نعمة وكما قيل عن احد الرجال "لوكان الفقر رجلا لقتلتة" بهذا تكون الزكاة فى الإسلام عبادة مالية وسلوك اجتماعى يجب على المسلم ان يؤديها امتثالا لامر الله سبحانة وتعالى وشكرا على نعمائة فهى ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب وكفى وانما هى قبل كل شىء غرس لمشاعر الحنان وتوطيد لعلاقات التعاون بين الناس لان اساس الإسلام ان يكون بين المسلمين اخوة وتعاون والزكاة هى مظهر التعاون وعلاقة الاخوة بين المسلمين ووسيلة التكافل بين افراد المجتمع الإسلامى[٢] بهذا يتبين ان للزكاة قيما تربوية متعددة سبق الحديث عنها فيما تقدم وان هذة القيمة لها اصولها فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وبعد البحث والتنقيب فى بطون الكتب وبعد المعايشة فى هذا البحث ومن خلال معرفة الادلة وتعرض الباحث لتصنيفها تارة وتحليلها تارة اخرى واستنباط بعض الرؤى من خلال النصوص التى تعرض لها افذاذ الفكر الإسلامى.

---

(١) عبدالسميع المصرى، مقومات الاقتصاد الاسلامى، ط ١. مكتبة وهبة، القاهرة. ١٩٧٥ م ص ١٥٢.

(٢) محمد الصادق عفيفى، المجتمع الاسلامى وفلسفتة المالية والاقتصادية. ج ٢. مكتبة الخافجى. القاهرة . ١٩٨٠ م ص ١٢٤ س.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أبو العينين، عبد الفتاح محمد، السرقة الموجبة للقطع في الفقه الإسلامي، مطبعة الأمانة، مصر، ١٩٨٣م.

٣. أبو العينين، علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها، ط١، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم الحلبي، ١٩٨٨م.

٤. أبو الفتوح، أبو العاطي حافظ، النظام العقابي الإسلامي، ١٩٧٦م.

٥. أبو حسان، محمد، أحكام الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٨/١٩٨٧م.

٦. أبو زهرة، محمد، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي.القاهرة د.ت

٧. ابن حزم الأندلس، المحلي بالآثار تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، جـ ٧ . بيروت: دار الكتب العلمية . د . ت، ص ٤٨٣.

٨. ابن عابدين/ رد المختار ح ٢، د . ت.

٩. ابن منظور الافريقي، لسان العرب، دار الفكر ودار صادر – بيروت.

١٠. احمد اسماعيل يحيى، الزكاة عبادة مالية واداة اقتصادية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.

١١. احمد عمر هاشم واخرون، التربية الإسلامية للصف الثانى الثانوى الفنى، طبعة ٩٨/ ١٩٩٩.

١٢. بركات، لطفي، التربية ومشكلات المجتمع، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

١٣. البطش، وليد البناء القيمي لدى طلبة الجامعة الأردنية، مجلة دراسات (م١٧.أ)، ع٣، ١٩٩٠م.

١٤. بكرة، عبد الرحمن الرفاعي، القيم الأخلاقية في التربية الإسلامية من واقع منهج المدرسة الابتدائية العامة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، مصر، ١٩٨٠م

١٥. التراث للجميع، معجم الفاظ القرآن الكريم، المجلد الاول.

١٦. التل، بسام يوسف، القيم الإسلامية وأثرها في الإنتاجية في المؤسسات الصناعية الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الفقه والدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، ١٩٩٦م.

١٧. الجمل، علي، القيم ومنهاج التاريخ الإسلامي (دراسة تربوية)، القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.

١٨. الجوارنة، أسامة رضوان، دراسة وتحقيق الجانب الجنائي من مخطوط الأنوار لأعمال الأبرار ليوسف الأردبيلي، رسالة ماجستير، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٩. الجوهري، الصحاح، ج٥، ط٢، (د.م)، ١٩٨٢م.

٢٠. الحياري، حسن أحمد، أسرار الوجود وانعكاسات التربوية، إربد – دار الأمل، ١٩٩٤م.

٢١. الحياري، حسن أحمد، ماهية القيم وأنواعها إسلامياً، مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، قسم الإرشاد وعلم النفس، كلية التربية والفنون، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٩٩م.

٢٢. الخلف، معين القيم التربوية الواجب توافرها لدى طلبة كليات التربية الرياضية من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإدارة وأصول التربية، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، ١٩٩٦.

٢٣. خليفة، محمد، تنمية القيم العلمية لدى طلاب الجامعة، مؤتمر التربية والنظام العالمي، الجديد، قسم أصول التربية، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، ١٩٩٢م.

٢٤. خوالدة، محمد، البعد الفلسفي في التربية، مدخل إلى التربية، تحرير، مرعي، وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب، سلطنة عمان، ١٩٨٤م.

٢٥. محمد رواس قلعه جي. موسوعة فقه عمر بن الخطاب. ط ١ ١٩٨١، د. ن، ص ١٣٩.

٢٦. دراز، محمد عبدالله، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، الكويت، دار القلم، ١٩٨٠م.
٢٧. الرافعي، عبد الكريم محمد، العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٢٨. زاهر، ضياء، القيم في العملية التربوية، ط٢، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.
٢٩. زيدان، عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت
٣٠. زيدان، عبدالكريم، الوجيز في أصول الفقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.
٣١. السريان، محمد شم، أساليب تدريس القيم والمفاهيم، عمان: مركز التدريب التربوي، وزارة التربية، ١٩٩١م.
٣٢. سلطان بن محمد على السلطان، الزكاة تطبيق محاسبى معاصر، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية. ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٣٣. سهير جابر محمد، الاثر التربوى للعبادات فى الإسلام، رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية، جامعة اسيوط، ١٩٥٢م.
٣٤. الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
٣٥. شومان، علي سعيد، القيم التربوية التي تضمنها السؤال في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم أصول الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، ١٩٩٣م.
٣٦. صحيح مسلم، بشرح النووى ج ٧.
٣٧. العاجز، فؤاد والعمري، عطية، القيم وطرق تعلُّمها وتعليمها، مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، قسم الإرشاد وعلم النفس، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد- الأردن، ١٩٩٩م.
٣٨. عبد الجليل شلبي، فقه العبادات، ط ٢، وزارة الاوقاف، ١٤٠٢هـ.

٣٩. عبد الحليم محمود، أحكام وأسرار الصيام والزكاة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.

٤٠. عبد الحليم محمود، العبادة أحكام وأسرار، ط ٣: دار الكتاب، بيروت، ١٩٨٠م.

٤١. عبد السميع المصري، مقومات الاقتصاد الإسلامى، ط ١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٥م .

٤٢. عبد الغنى عبود الايدولوجيا والتربية فى الإسلام الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٦م.

٤٣. عبد الفتاح عاشور منهج القرآن في تربية المجتمع ط١مكتبة الخافجى القاهرة ١٩٧٩م.

٤٤. عبد المنصف محمود عبد الفتاح إشراقات نورانية من السنة النبوية ج١ مطابع الازهر الشريف ١٩٩٢م.

٤٥. عبدالله محمود شحاتة أركان الإسلام مكتبة الاسرة ط٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.

٤٦. عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي، دار الكاتب العربي، بيروت.

٤٧. فرحان، إسحاق ومرعي، توفيق، اتجاهات المعلمين نحو القيم الإسلامية في مجال العقائد والعبادات والمعاملات كما حددها الإمام البيهقي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ١٩٨٨م.

فريحات، تهاني، مستوى الاعتقاد لمنظومة القيم التربوية الإسلامية ودرجة ممارستها لدى طالبات الجامعات الحكومية في الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإدارة وأصول التربية، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، ١٩٩٨م.

٤٨. فوزى على جاد الصحة العامة والرعاية الصحية دار المعارف القاهرة ١٩٦٩م.

٤٩. الفيومي، أحمد المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة البنان، بيروت، لبنان، المكتبة العلمية، ١٩٨٧م.

٥٠. القرآن الكريم.

٥١. قميحة، جابر، المدخل في القيم الإسلامية، القاهرة، دار الكتاب المصري، بدون تاريخ.

٥٢. لطفى بركات احمد القيم والتربية دار المريخ للنشر الرياض طبعة ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٥٣. مالك بن انس -تعليق محمد فؤاد عبدالباقى الموطا ط الشعب القاهرة د.ت.
٥٤. الماوردي، علي ين محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بغداد، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٥٥. محمد ابراهيم كاظم التطور القيمى وتنمية المجتمعات الدينية المجلة الاجتماعية القومية منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية القاهرة ١٩٧٠م.
٥٦. محمد احمد العسال، فتحى احمد عبدالكريم النظام الاقتصادى فى الإسلام ط٣ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٠م.
٥٧. محمد الصادق عفيفى المجتمع الإسلامى وفلسفتة المالية والاقتصادية ج٢ مكتبة الخافجى القاهرة ١٩٨٠م.
٥٨. محمد الغزالى الإسلام والاوضاع الاقتصادية، ط٦، دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦٣م.
٥٩. محمد بن ابى بكر عبدالقادر الرازى مختار الصحاح دار التنوير العربى بيروت لبنان د.ت.
٦٠. محمد بن على الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار جـ٣ - تحقيق محمود إبراهيم زايد، محمود أمين النوادي، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٠٤ هـ، ص ٨.
٦١. محمد شوقى الفنجرى الإسلام والتوازن الاقتصادى بين الافراد والدول مطابع وزارة الاوقاف العمود ٤٦ القاهرة ١٤١٩ هـ. ١٩٩٩م.
٦٢. محمد فاضل الجبالى تربية الانسان الجديد الشرطة التونسية للتوزيع ١٩٧٦م.
٦٣. محمد قطب منهج التربية الإسلامية ج١ ط ٥ دار تالشروق بيروت١٩٨١م.
٦٤. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، م١ (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٨) ص ٥٥٩ حديث رقم ٢٨٩٦.
٦٥. محيى الدين ابوزكريا رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين دار الفكر العربى القاهرة ١٤٠٠ هـ.

٦٦. مرسي، محمد منير، فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.
٦٧. منصور على ناصف، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول. جـ ٢. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ص ١٩٦.
٦٨. النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٩م.
٦٩. نشواتي، عبد المجيد، البناء القيمي لدى طلبة الجامعة الأردنية، مجلة دراسات (م١٧.أ)، ع٣، ١٩٩٠م.
٧٠. النعمان بن محمد، تأويل الدعائم، تحقيق: محمد حسن الاعظمى٢ ط دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.
٧١. الهاشمي، عبد المجيد محمد، المرشد في علم النفس الاجتماعي، ط٢٠، جدة، دار الشروق، ١٩٨٩م.
٧٢. يوسف القرضاوى العبادة فى الإسلام مكتبة وهبة القاهرة ط١ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٧٣. يوسف القرضاوى دور القيم الاخلاق فى الاقتصاد الإسلامى مكتبة وهبة القاهرة ط١ ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
٧٤. يوسف القرضاوى مشكلة الفقر كيف عالجها الإسلام مكتبة القاهرة ط٦ ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م.

المؤلـف

أ.د. مصطـفى رجـب:

١- عمل بالسلك الجامعي: معيدا فمدرساً مساعداً فمدرساً فأستاذاً مساعداً فأستاذاً فوكيلًا.

٢- ثم عمل عميداً لكلية التربية بسوهاج [١٩٩٥- ٢٠٠١].

كما عمل عميداً للمعهد العالي للدراسات الإسلامية بسلطنة عمان [١٩٨٩- ١٩٩٢].

٣- عضو اتحاد الكتاب المصريين، والمجالس القومية المتخصصة برياسة الجمهورية بمصر، ولجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر.

٤- رئيس جمعية الثقافة من أجل التنمية ورئيس تحرير دوريتها العلمية المحكمة [الثقافة والتنمية].

٥- رئيس مجلس إدارة جريدة [رسالة الجنوب] المرخصة من المجلس الأعلى للصحافة بمصر.

٦- يكتب في عدد من الصحف والمجلات العربية من أكثر من ربع قرن وله أعمدة ثابتة في بعضها.

٧- صدر له أكثر من ثلاثين كتابا وبحثا وثلاثة دواوين شعرية.

٨- عمل أستاذاً زائراً للدراسات العليا بكلية الشريعة -جامعة اليرموك -الأردن.

العنوان الدائم للمراسلة البريدية: مصر - سوهاج - كلية التربية

الهاتف في مصر:

٠٠٢٠١٠١٩٩٨٣٧٧ - ٠٢٠٩٢٣٣٣١٧٠ - ٠٠٢٠٩٤٣٨٩٦٧٠١

البريد الالكتروني: mostafaragab@yahoo.com